سلسلة تفسير القرآن
١٧

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الرّابع عشر

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الرّابع عشر

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

سورة الأحقاف

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا الْآيَاتُ 10 و 15 و 35 فَمَدَنِيَّةٌ]
وَآيَاتُهَا 34 وَقِيلَ 35 آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ الْجَاثِيَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾[1]

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[2] إِلَّا خَلْقًا مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ وَالْغَرَضِ الصَّحِيحِ وَبِتَقْدِيرِ (أَجَلٍ مُسَمًّى) يَنْتَهِي إِلَيْهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾[3] مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي لَا بُدَّ لِكُلِّ خَلْقٍ مِنَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ.

"مُعْرِضُونَ": لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَلَا يَهْتَمُّونَ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا مَصْدَرِيَّةً، أَيْ: عَنْ إِنْذَارِهِمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

﴿بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾[2]، أَيْ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ نَاطِقٌ بِالتَّوْحِيدِ وَإِبْطَالِ الشِّرْكِ.

وَمَا مِنْ كِتَابٍ أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَائْتُوا بِكِتَابٍ وَاحِدٍ مُنَزَّلٍ مَنْ قَبْلِهِ شَاهِدٍ بِصِحَّةِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾[3] أَوْ بَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ بَقِيَتْ عَلَيْكُمْ مِنْ عُلُومِ الْأَوَّلِينَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: سَمِنَتِ النَّاقَةُ عَلَى أَثَارَةٍ مِنْ شَحْمٍ، أَيْ: عَلَى بَقِيَّةِ شَحْمٍ كَانَتْ بِهَا مِنْ شَحْمٍ ذَاهِبٍ.

وَقُرِئَ: (أَثَرَةٍ)، أَيْ: مِنْ شَيْءٍ أَوَثَرْتُمْ بِهِ وَخَصَصْتُمْ مِنْ عِلْمٍ لَا إِحَاطَةَ بِهِ لِغَيْرِكُمْ.

وَقُرِئَ: (أَثَرَةٍ) بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ فِي الْهَمْزَةِ مَعَ سُكُونِ الثَّاءِ، فَالْأَثَرَةُ بِالْكَسْرِ بِمَعْنَى الْأَثَرَةِ.

وَأَمَّا الْأَثَرَةُ، فَالْمَرَّةُ مِنْ مَصْدَرِ: أَثَرَ الْحَدِيثَ إِذَا رَوَاهُ.

وَأَمَّا الْأَثَرَةُ بِالضَّمِّ، فَاسْمُ مَا يُؤْثَرُ، كَالْخُطْبَةِ: اسْمُ مَا يُخْطَبُ بِهِ.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[4]

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾[5] مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ فِيهِ إِنْكَارُ أَنْ يَكُونَ فِي الضَّلَالِ كُلُّهُمْ أَبْلَغُ ضَلَالًا مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، حَيْثُ يَتْرُكُونَ دُعَاءَ السَّمِيعِ الْمُجِيبِ الْقَادِرِ عَلَى تَحْصِيلِ كُلِّ بُغْيَةٍ وَمَرَامٍ،

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية.
2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية.
3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية.
4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية.
5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية.

وَيَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ جَمَادًا لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَلَا قُدْرَةَ بِهِ عَلَى اسْتِجَابَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا وَإِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ، وَإِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَحُشِرَ النَّاسُ: كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً، وَكَانُوا عَلَيْهِمْ ضِدًّا، فَلَيْسُوا في الدَّارَيْنِ إِلَّا عَلَى نَكَدٍ وَمَضَرَّةٍ، لَا تَتَوَلَّاهُمْ في الدُّنْيَا بِالِاسْتِجَابَةِ، وَفى الْآخِرَةِ تُعَادِيهِمْ وَتَجْحَدُ عِبَادَتَهُمْ.

وَإِنَّمَا قِيلَ: ﴿مَنْ﴾[1] وَ﴿هُمْ﴾[2]، لِأَنَّهُ أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ مَا يُسْنَدُ إِلَى أُولِي الْعِلْمِ مِنَ الِاسْتِجَابَةِ وَالْغَفْلَةِ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصِفُونَهُمْ بِالتَّمْيِيزِ جَهْلًا وَغَبَاوَةً.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: كُلَّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْأَوْثَانِ، فَغُلِّبَ غَيْرُ الْأَوْثَانِ عَلَيْهَا. قُرِئَ: (مَا لَا يَسْتَجِيبُ) وَقُرِئَ: (يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ)، وَوَصَفَهُمْ بِتَرْكِ الِاسْتِجَابَةِ وَالْغَفْلَةِ طَرِيقُهُ طَرِيقُ التَّهَكُّمِ بِهَا وَبِعَبَدَتِهَا.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[3].

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ
وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[4]

﴿بَيِّنَاتٍ﴾[5] جَمْعُ بَيِّنَةٍ: وَهِيَ الْحُجَّةُ وَالشَّاهِدُ، أَوْ وَاضِحَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ.

وَاللَّامُ في "لِلْحَقِّ" مِثْلُهَا في قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾[6]، أَيْ لِأَجْلِ الْحَقِّ وَلِأَجَلِّ الَّذِينَ آمَنُوا. وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: الْآيَاتُ، وَبِالَّذِينِ كَفَرُوا: الْمَتْلُوُّ عَلَيْهِمْ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَانِ مَوْضِعَ الضَّمِيرَيْنِ، لِلتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ، وَلِلْمَتْلُوِّ بِالْحَقِّ ﴿لَمَّا

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[6] سورة الْأَحْقَافِ، الآية 11.

جَاءَهُمْ﴾[1]، أَيْ: بَادَهُوهُ بِالْجُحُودِ سَاعَةَ أَتَاهُمْ، وَأَوَّلُ مَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِ إِجَالَةِ فِكْرٍ وَلَا إِعَادَةِ نَظَرٍ. وَمِنْ عِنَادِهِمْ وَظُلْمِهِمْ: أَنَّهُمْ سُمُّوهُ سِحْرًا مُبِينًا ظَاهِرًا أَمْرُهُ فِي الْبُطْلَانِ لَا شُبْهَةَ فِيهِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2]

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[3]: إِضْرَابٌ عَنْ ذِكْرِ تَسْمِيَتِهِمُ الْآيَاتِ سِحْرًا إِلَى ذِكْرِ قَوْلِهِمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَاهُ. وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ أَمِ: الْإِنْكَارُ وَالتَّعْجِيبُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: دَعْ هَذَا وَاسْمَعْ قَوْلَهُمُ الْمُسْتَنْكَرَ الْمُفْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ.

وَذَلِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، حَتَّى يَقُولَهُ وَيَفْتَرِيَهُ عَلَى اللَّهِ. وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ دُونَ أُمَّةِ الْعَرَبِ، لَكَانَتْ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِ مُعْجِزَةً لِخَرْقِهَا الْعَادَةَ. وَإِذَا كَانَتْ مُعْجِزَةً، كَانَتْ تَصْدِيقًا مِنَ اللَّهِ لَهُ، وَالْحَكِيمُ لَا يُصَدِّقُ الْكَاذِبَ، فَلَا يَكُونُ مُفْتَرِيًا. وَالضَّمِيرُ لِلْحَقِّ، وَالْمُرَادُ بِهِ: الْآيَاتُ.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾[4] عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ عَاجَلَنِي اللَّهُ –تَعَالَى– لَا مَحَالَةَ بِعُقُوبَةِ الِافْتِرَاءِ عَلَيْهِ. فَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى كَفِّهِ عَنْ مُعَاجَلَتِي وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَ شَيْءٍ مِنْ عِقَابِهِ عَنِّي، فَكَيْفَ أَفْتَرِيهِ وَأَتَعَرَّضُ لِعِقَابِهِ؟ يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يَمْلِكُ إِذَا غَضِبَ، وَلَا يَمْلِكُ عِنَانَهُ إِذَا صَمَّمَ، وَمِثْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[5]، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[6]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ –: "لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا".

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سورة الْمَائِدَةِ، الآية 17.

6 سورة الْمَائِدَةِ، الآية 41.

ثُمَّ قَالَ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[1]، أَيْ تَنْدَفِعُونَ فيهِ مِنَ الْقَدْحِ في وَحْيِ اللَّهِ –تَعَالَى–، وَالطَّعْنِ في آيَاتِهِ، وَتَسْمِيَتِهِ سِحْرًا تَارَةً وَفِرْيَةً أُخْرَى.

﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[2]: يَشْهَدُ لِي بِالصِّدْقِ وَالْبَلَاغِ، وَيَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْكَذِبِ وَالْجُحُودِ. وَمَعْنَى ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالشَّهَادَةِ وَعِيدٌ بِجَزَاءِ إِفَاضَتِهِمْ.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3]: مَوْعِدَةٌ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ إِنْ رَجَعُوا عَنِ الْكُفْرِ وَتَابُوا وَآمَنُوا، وَإِشْعَارٌ بِحِلْمِ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ عِظَمِ مَا ارْتَكَبُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَيْهِمْ في قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَلا تَمْلِكُونَ لِي﴾[4]؟

قُلْتُ: كَانَ فيمَا أَتَاهُمْ بِهِ النَّصِيحَةُ لَهُمْ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ بِهِمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: إِنِ افْتَرَيْتُهُ وَأَنَا أُرِيدُ بِذَلِكَ التَّنَصُّحَ لَكُمْ وَصَدَّكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، فَمَا تُغْنُونَ عَنِّي أَيُّهَا الْمَنْصُوحُونَ إِنْ أَخَذَنِي اللَّهُ بِعُقُوبَةِ الِافْتِرَاءِ عَلَيْهِ.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[5]

الْبِدْعُ، بِمَعْنَى: الْبَدِيعِ، كَالْخُفِّ بِمَعْنَى الْخَفِيفِ.

وَقُرِئَ: (بِدَعًا) بِفَتْحِ الدَّالِّ، أَيْ: ذَا بِدَعٍ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً عَلَى فِعْلٍ، كَقَوْلِهِمْ: دِينٌ قَيِّمٌ، وَلَحْمٌ زَيْمٌ. كَانُوا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ وَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا لَمْ يُوحَ بِهِ إِلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ. فَقِيلَ لَهُ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[6]، فَآتِيكُمْ بِكُلِّ مَا تَقْتَرِحُونَهُ، وَأُخْبِرُكُمْ بِكُلِّ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ، فَإِنَّ الرُّسُلَ لَمْ يَكُونُوا يَأْتُونَ إِلَّا بِمَا آتَاهُمْ مِنْ آيَاتِهِ، وَلَا يُخْبِرُونَ إِلَّا بِمَا

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

أَوْحَى إِلَيْهِمْ. وَلَقَدْ أَجَابَ مُوسَى -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- عَنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾[1]؟ بِقَوْلِهِ: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾[2].

﴿وَمَا أَدْرِي﴾[3]، لِأَنَّهُ لَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِي وَبِكُمْ فيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ مِنْ أَفْعَالِهِ، وَيَقْدِرُ لِي وَلَكُمْ مِنْ قَضَايَاهُ، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[4].

وَعَنِ الْحَسَنِ: وَمَا أَدْرِي مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ في الدُّنْيَا، وَمِنَ الْغَالِبِ مِنَّا وَالْمَغْلُوبِ.

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ -وَقَدْ ضَجِرُوا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ-: حَتَّى مَتَى نَكُونُ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: (مَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) أَأُتْرَكُ بِمَكَّةَ أَمْ أُومَرُ بِالْخُرُوجِ إِلَى أَرْضٍ قَدْ رُفِعَتْ لِي وَرَأَيْتُهَا -يَعْنِي في مَنَامِهِ- ذَاتُ نَخِيلٍ وَشَجَرٍ؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ في الْآخِرَةِ، وَقَالَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَفيا لِلدِّرَايَةِ الْمُفَصَّلَةِ.

وَقُرِئَ: (مَا يَفْعَلُ) بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: يَفْعَلُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ (يَفْعَلُ) مُثْبَتٌ غَيْرُ مَنْفي، فَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ: مَا يَفْعَلُ بِي وَبِكُمْ.

قُلْتُ: أَجَلْ، وَلَكِنَّ النَّفي في (مَا أَدْرِي) لَمَّا كَانَ مُشْتَمِلًا عَلَيْهِ لِتَنَاوُلِهِ "مَا"، وَمَا في حَيِّزِهِ: صَحَّ ذَلِكَ وَحَسُنَ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ﴾[6]، كَيْفَ دَخَلَتِ الْبَاءُ في حَيِّزِ أَنَّ، وَذَلِكَ لِتَنَاوُلِ النَّفي، أَيْ أَنَّهَا مَعَ مَا في حَيِّزِهَا.

وَ﴿مَا﴾[7] في ﴿مَا يَفْعَلُ﴾[8] يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً مَنْصُوبَةً، وَأَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةً مَرْفُوعَةً. وَقُرِئَ: (يُوحِي) أَيِ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سورة طَهَ، الآية 52.

3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سورة الْفَتْحِ، الآية 22.

6 سورة الْأَحْقَافِ، الآية 33.

7 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

8 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

جَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَحْذُوفِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وَالشَّاهِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْمَدِينَةَ نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ.

وَتَأَمَّلَهُ، فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ فَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ نَزَعَهُ، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْهُ". فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ وَإِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي بَهَتُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا. قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، انْتَقَصُوهُ. قَالَ: هَذَا مَا كُنْتُ أَخَافُ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأُحْذَرُ.

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَفِيهِ نَزَلَ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾[1] الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، أَيْ: عَلَى مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ مَا فِي التَّوْرَاةِ مِنَ الْمَعَانِي الْمُطَابِقَةِ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[2]، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[3]، ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[4].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، يَعْنِي كَوْنُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَخْبِرْنِي عَنْ نَظْمِ هَذَا الْكَلَامِ لِأَقِفَ عَلَى مَعْنَاهُ مِنْ جِهَةِ النَّظْمِ.

قُلْتُ: الْوَاوُ الْأُولَى عَاطِفَةٌ لِكَفَرْتُمْ عَلَى فِعْلِ الشَّرْطِ، كَمَا عَطَفَتْهُ ﴿ثُمَّ﴾[5] فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾[6]، وَكَذَلِكَ الْوَاوُ الْآخِرَةُ عَاطِفَةٌ لِاسْتَكْبَرْتُمْ عَلَى شَهِدَ شَاهِدٌ. وَأَمَّا الْوَاوُ فِي ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾[7]، فَقَدْ عُطِفَتْ جُمْلَةُ قَوْلِهِ: ﴿شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾[8] عَلَى جُمْلَةِ قَوْلِهِ: ﴿كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾[9].

وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ: إِنْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ وَأَسَأْتَ، وَأَقْبَلْتُ عَلَيْكَ وَأَعْرَضْتَ عَنِّي، لَمْ نَتَّفِقْ فِي أَنَّكَ أَخَذْتَ ضَمِيمَتَيْنِ فَعَطَفْتَهُمَا عَلَى مِثْلَيْهِمَا، وَالْمَعْنَى: قُلْ أَخْبِرُونِي إِنِ اجْتَمَعَ كَوْنُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَعَ كُفْرِكُمْ بِهِ، وَاجْتَمَعَ شَهَادَةُ أَعْلَمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى نُزُولِ مِثْلِهِ وَإِيمَانِهِ بِهِ، مَعَ اسْتِكْبَارِكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، أَلَسْتُمْ أَضَلَّ النَّاسِ وَأَظْلَمَهُمْ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 196.

[3] سورة الْأَعْلَى، الآية 18.

[4] سورة الشُّورَى، الآية 33.

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[6] سورة فُصِّلَتْ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَقَدْ جُعِلَ الْإِيمَانُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَآمَنَ﴾[1] مُسَبِّبًا عَنِ الشَّهَادَةِ عَلَى مِثْلِهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ مِثْلَهُ أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْوَحْيِ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، وَأَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ فَشَهِدَ عَلَيْهِ وَاعْتَرَفَ كَانَ الْإِيمَانُ نَتِيجَةَ ذَلِكَ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[3] لِأَجْلِهِمْ وَهُوَ كَلَامُ كُفَّارِ مَكَّةَ، قَالُوا: عَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُ مُحَمَّدًا السِّقَاطُ، يَعْنُونَ الْفُقَرَاءَ مِثْلَ عَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، فَلَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ.

وَقِيلَ: لَمَّا أَسْلَمَتْ جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ، قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ وَغَطَفَانُ وَأَسَدُ وَأَشْجَعُ: لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا إِلَيْهِ رِعَاءُ الْبُهْمِ.

وَقِيلَ: إِنَّ أَمَةً لِعُمَرَ أَسْلَمَتْ، فَكَانَ عُمَرُ يَضْرِبُهَا حَتَّى يَفْتُرَ ثُمَّ يَقُولُ لَوْلَا أَنِّي فَتَرَتْ لَزِدْتُكِ ضَرْبًا، وَكَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا مَا سَبَقَتْنَا إِلَيْهِ فُلَانَةٌ.

وَقِيلَ: كَانَ الْيَهُودُ يَقُولُونَهُ عِنْدَ إِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا بُدَّ مِنْ عَامِلٍ فِي الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾[4]، وَمِنْ مُتَعَلِّقٍ لِقَوْلِهِ: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾[5] وَغَيْرَ مُسْتَقِيمٍ أَنْ يَكُونَ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾[6] هُوَ الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ،

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

لِتَدَافُعِ دَلَالَتَيْ الْمُضِيِّ وَالِاسْتِقْبَالِ، فَمَا وَجْهُ هَذَا الْكَلَامِ؟

قُلْتُ: الْعَامِلُ فِي "إِذْ" مَحْذُوفٌ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾[1].

وَقَوْلُهُمْ: حِينَئِذٍ الْآنَ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ظَهَرَ عِنَادُهُمْ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ، فَهَذَا الْمُضْمَرُ صَحَّ بِهِ الْكَلَامُ، حَيْثُ انْتَصَبَ بِهِ الظَّرْفُ، وَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾[2] مُسَبِّبًا عَنْهُ، كَمَا صَحَّ بِإِضْمَارِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾[3] لِمُصَادَفَةِ "حَتَّى" مَجْرُورُهَا، وَالْمُضَارِعُ نَاصِبُهُ.

وَقَوْلُهُمْ: ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[4] كَقَوْلِهِمْ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾[5] مُبْتَدَأٌ وَمِنْ قَبْلِهِ ظَرْفٌ وَاقِعٌ خَبَرًا مُقَدَّمًا عَلَيْهِ، وَهُوَ نَاصِبٌ ﴿إِمَامًا﴾[6] عَلَى الْحَالِ، كَقَوْلِكَ: فِي الدَّارِ زَيْدٌ قَائِمًا. وَقُرِئَ: وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى، عَلَى: وَآتَيْنَا الَّذِينَ قَبْلَهُ التَّوْرَاةَ.

وَمَعْنَى: ﴿إِمَامًا﴾[7]: قُدْوَةٌ يُؤْتَمُّ بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، كَمَا يُؤْتَمُّ بِالْإِمَامِ.

﴿وَرَحْمَةً﴾[8] لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ.

﴿وَهَذَا﴾[9] الْقُرْآنُ ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾[10] لِكِتَابِ مُوسَى، أَوْ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقَدُّمِهِ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ. وَقُرِئَ (مُصَدِّقَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ).

---

[6] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[1] سورة يُوسُف، الآية 15.

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية 214.

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[9] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[10] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾[1]: حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْكِتَابِ في مُصَدِّقٍ، وَالْعَامِلُ فيهِ ﴿مُصَدِّقٌ﴾[2]، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ حَالًا عَنْ كِتَابٍ لِتُخَصِّصَهُ بِالصِّفَةِ، وَيَعْمَلَ فيهِ مَعْنَى الْإِشَارَةِ.

وَجَوَّزَ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِمُصَدِّقٍ، أَيْ: يُصَدِّقُ ذَاتَ لِسَانٍ عَرَبِيٍّ وَهُوَ الرَّسُولُ. وَقُرِئَ: (لِيُنْذِرَ) بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ، وَلِيُنْذِرَ: مِنْ نَذَرَ يُنْذِرُ إِذَا حَذَّرَ.

﴿وَبُشْرَى﴾[3] في مَحَلِّ النَّصْبِ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ لِيُنْذِرَ، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ.

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ
ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ
وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[4]

قُرِئَ: (حُسْنًا) بِضَمِّ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ، وَبِضَمِّهِمَا، وَبِفَتْحِهِمَا. وَإِحْسَانًا، وَكُرْهًا، بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، وَهُمَا لُغَتَانِ في مَعْنَى الْمَشَقَّةِ، كَالْفَقْرِ وَالْفُقْرِ.

وَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ: أَيْ: ذَاتُ كُرْهٍ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَيْ: حَمْلًا ذَا كُرْهٍ.

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾[5] وَمُدَّةُ حَمْلِهِ وَفِصَالِهِ ﴿ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾[6].

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَقَلَّ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، لِأَنَّ مُدَّةَ الرَّضَاعِ إِذَا كَانَتْ حَوْلَيْنِ لِقَوْلِهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[1]، بَقِيَتْ لِلْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ. وَقُرِئَ: (وَفَصْلُهُ) وَالْفَصْلُ وَالْفِصَالُ: كَالْفَطْمِ وَالْفِطَامِ. بِنَاءً وَمَعْنًى.

فَإِنْ قُلْتَ: الْمُرَادُ بَيَانُ مُدَّةِ الرَّضَاعِ لَا الْفِطَامِ، فَكَيْفَ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْفِصَالِ؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ الرَّضَاعُ يَلِيهِ الْفِصَالُ وَيُلَابِسُهُ، لِأَنَّهُ يَنْتَهِي بِهِ وَيَتِمُّ: سُمِّيَ فِصَالًا، كَمَا سَمَّى الْمُدَّةَ بِالْأَمَدِ مَنْ قَالَ:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمْـ ـرِ وَمُودٍ إِذَا انْتَهَى أَمَدُهْ

وَفِيهِ فَائِدَةٌ وَهِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى الرَّضَاعِ التَّامِّ الْمُنْتَهَى بِالْفِصَالِ وَوَقْتِهِ.

وَقُرِئَ: (حَتَّى إِذَا اسْتَوَى وَبَلَغَ أَشُدَّهُ) وَبُلُوغُ الْأَشُدِّ: أَنْ يَكْتَهِلَ وَيَسْتَوْفِي السِّنَّ الَّتِي تَسْتَحْكِمُ فِيهَا قُوَّتُهُ وَعَقْلُهُ وَتَمْيِيزُهُ، وَذَلِكَ إِذَا أَنَافَ عَلَى الثَّلَاثِينَ وَنَاطَحَ الْأَرْبَعِينَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، وَوَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأَشُدِّ، وَغَايَتُهُ الْأَرْبَعِينَ.

وَقِيلَ: لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَالْمُرَادُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي اسْتَوْزَعَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا: نِعْمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَجَمْعٌ بَيْنَ شُكْرِي النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى وَالِدَيْهِ، لِأَنَّ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمَا نِعْمَةٌ عَلَيْهِ. وَقِيلَ فِي الْعَمَلِ الْمَرْضِيِّ: هُوَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى ﴿فِي﴾[2] فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[3]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنْ يَجْعَلَ ذَرِّيَّتَهُ مَوْقِعًا لِلصَّلَاحِ وَمَظِنَّةً لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: هَبْ لِيَ الصَّلَاحَ فِي ذُرِّيَّتِي وَأَوْقِعْهُ فِيهِمْ، وَنَحْوُهُ:

....

يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِـــــي

﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[4] مِنَ الْمُخْلِصِينَ.

وَقُرِئَ: (يَتَقَبَّلُ) وَيَتَجَاوَزُ، بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَالضَّمِيرُ فِيهِمَا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–. وَقُرِئَا بِالنُّونِ.

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 233.

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾[1]؟

قُلْتُ: هُوَ نَحْوُ قَوْلِكَ: أَكْرَمَنِي الْأَمِيرُ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، تُرِيدُ: أَكْرَمَنِي فِي جُمْلَةِ مَنْ أَكْرَمَ مِنْهُمْ، وَنَظَمَنِي فِي عِدَادِهِمْ، وَمَحَلُّهُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، عَلَى مَعْنَى: كَائِنِينَ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَمَعْدُودِينَ فِيهِمْ ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾[2] مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: يَتَقَبَّلُ، وَيَتَجَاوَزُ: وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ بِالتَّقَبُّلِ وَالتَّجَاوُزِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَفِي أَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ وَأُمِّهِ أُمُّ الْخَيْرِ وَفِي أَوْلَادِهِ، وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ فِيهِمْ.

وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ أَسْلَمَ هُوَ وَوَلَدَاهُ وَبَنُوهُ وَبَنَاتُهُ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[3]

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾[4] مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾[5].

وَالْمُرَادُ بِـ ﴿الَّذِي﴾[6] قَالَ: الْجِنْسُ الْقَائِلُ ذَلِكَ الْقَوْلَ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْخَبَرُ مَجْمُوعًا.

وَعَنِ الْحَسَنِ: هُوَ فِي الْكَافِرِ الْعَاقِّ لِوَالِدَيْهِ الْمُكَذِّبِ بِالْبَعْثِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: هُوَ نَعْتُ عَبْدِ سُوءٍ عَاقٍّ لِوَالِدَيْهِ فَاجِرٍ لِرَبِّهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَقِيلَ: نَزَلَتْ في عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِ، وَقَدْ دَعَاهُ أَبُوهُ أَبُو بَكْرٍ وَأُمُّهُ أُمُّ رُومَانٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَفَّفَ بِهِمَا وَقَالَ: ابْعَثُوا لِي جُدْعَانَ بْنَ عَمْرٍو وَعُثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو، وَهُمَا مِنْ أَجْدَادِهِ حَتَّى أَسْأَلَهُمَا عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ، وَيَشْهَدُوا لِبُطْلَانِهِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِي قَالَ: جَنْسُ الْقَائِلِينَ ذَلِكَ، وَأَنَّ قَوْلَهُ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ: هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ كَانَ مَنْ أَفَاضِلِ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَوَاتِهِمْ.

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– إِنْكَارُ نُزُولِهَا فِيهِ، وَحِينَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَرْوَانَ بِأَنْ يُبَايِعَ النَّاسَ لِيَزِيدَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا هِرَقْلِيَّةً، أَتُبَايِعُونَ لِأَبْنَائِكُمْ؟ فَقَالَ مَرْوَانُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾[1]، فَسَمِعَتْ عَائِشَةُ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لِسَمَّيْتُهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَعَنَ أَبَاكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِهِ، فَأَنْتَ فَضَضٌ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ.

وَقُرِئَ: (أُفٍّ) بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، وَبِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ مَعَ التَّنْوِينِ، وَهُوَ صَوْتٌ إِذَا صَوَّتَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلِمَ أَنَّهُ مُتَضَجِّرٌ، كَمَا إِذَا قَالَ: حِسَّ، عُلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ مُتَوَجِّعٌ، وَاللَّامُ لِلْبَيَانِ.

مَعْنَاهُ: هَذَا التَّأْفِيفُ لَكُمَا خَاصَّةً، وَلِأَجْلِكُمَا دُونَ غَيْرِكُمَا. وَقُرِئَ: (أَتَعِدَانِنِي) بِنُونَيْنِ، وَأَتَعِدَانِي: بِأَحَدِهِمَا، وَأَتَعِدَانِي: بِالْإِدْغَامِ.

وَقَدْ قَرَأَ بَعْضُهُمْ: أَتَعِدَانَنِي بِفَتْحِ النُّونِ، كَأَنَّهُ اسْتَثْقَلَ اجْتِمَاعَ النُّونَيْنِ وَالْكَسْرَتَيْنِ وَالْيَاءِ، فَفَتَحَ الْأُولَى تَحَرِّيًا لِلتَّخْفِيفِ، كَمَا تَحَرَّاهُ مَنْ أَدْغَمَ وَمَنْ أَطْرَحَ أَحَدَهُمَا.

﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾[2]: أَنِ ابْعَثْ وَاخْرُجْ مِنَ الْأَرْضِ. وَقُرِئَ: (أَخْرَجَ).

﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾[3]، يَعْنِي: وَلَمْ يَبْعَثْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾[4] يَقُولَانِ: الْغِيَاثُ بِاللَّهِ مِنْكَ وَمِنْ قَوْلِكَ، وَهُوَ اسْتِعْظَامٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيْلَكَ﴾[5] دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالثُّبُورِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَالْمُرَادُ بِهِ: الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ عَلَى الْإِيمَانِ، لَا حَقِيقَةَ الْهَلَاكِ ﴿فِي أُمَمٍ﴾[1]، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾[2].

وَقُرِئَ: (أَنْ) بِالْفَتْحِ، عَلَى مَعْنَى: آمَنَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[3]

﴿وَلِكُلٍّ﴾[4] مِنَ الْجِنْسَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ﴿دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[5]، أَيْ مَنَازِلَ وَمَرَاتِبَ مِنْ جَزَاءِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمِنْ أَجْلِ مَا عَمِلُوا مِنْهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: دَرَجَاتٌ، وَقَدْ جَاءَ: الْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيبِ، لِاشْتِمَالِ كُلٍّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ "وَلِيُوَفِيهُمْ".

وَقُرِئَ: بِالنُّونِ تَعْلِيلُ مُعَلِّلِهِ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلِيُوَفِيهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَلَا يَظْلِمُهُمْ حُقُوقَهُمْ، قَدَّرَ جَزَاءَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ، فَجَعَلَ الثَّوَابَ دَرَجَاتٍ وَالْعِقَابَ دَرَكَاتٍ.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية 16.

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

نَاصِبُ الظَّرْفِ هُوَ الْقَوْلُ الْمُضْمَرُ قَبْلَ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾[1].

وَعَرْضُهُمْ عَلَى النَّارِ: تَعْذِيبُهُمْ بِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: عُرِضَ بَنُو فُلَانٍ عَلَى السَّيْفِ إِذَا قُتِلُوا بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾[2].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: عَرَضَ النَّارَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ، يُرِيدُونَ: عَرَضَ الْحَوْضَ عَلَيْهَا، فَقَبِلُوا.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: يُجَاءُ بِهِمْ إِلَيْهَا، فيكْشَفُ لَهُمْ عَنْهَا.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾[3]، أَيْ: مَا كُتِبَ لَكُمْ حَظٌّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا مَا قَدْ أَصَبْتُمُوهُ فِي دُنْيَاكُمْ، وَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِهِ وَأَخَذْتُمُوهُ، فَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ حَظِّكُمْ شَيْءٌ مِنْهَا.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَوْ شِئْتُ لَدَعَوْتُ بِصَلَائِقَ وَصِنَابٍ وَكَرَاكِرٍ وَأَسْمِنَةٍ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ –تَعَالَى– نَعَى عَلَى قَوْمٍ طَيِّبَاتِهِمْ، فَقَالَ: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا. وَعَنْهُ: لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا وَأَحْسَنَكُمْ لِبَاسًا، وَلَكِنِّي أَسْتَبْقِي طَيِّبَاتِي.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَهُمْ يُرَقِّعُونَ ثِيَابَهُمْ بِالْأُدْمِ مَا يَجِدُونَ لَهَا رِقَاعًا، فَقَالَ: "أَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَوْ يَوْمَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى، وَيُغَدِّي عَلَيْهِ بِجَفْنَةٍ وَيَرَاحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، وَيَسْتُرُ بَيْتَهُ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ. قَالُوا: نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ. قَالَ: بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ".

وَقُرِئَ: (أَأَذْهَبْتُمْ) بِهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ. وَ(آأَذْهَبْتُمْ) بِأَلِفٍ بَيْنَ هَمْزَتَيْنِ: (الْهُونُ) وَ(الْهَوَانُ)، وَقُرِئَ: (عَذَابُ الْهَوَانِ)، وَقُرِئَ: (يَفْسُقُونَ) بِضَمِّ السِّينِ وَكَسْرِهَا.

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4]

---

[1] سورة غَافِرٍ، الآية 46.

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

الْأَحْقَافُ: جَمْعُ حِقْفٍ وَهُوَ رَمْلٌ مُسْتَطِيلٌ مُرْتَفِعٌ فيهِ انْحِنَاءٌ، مَنِ احْقَوْقَفَ الشَّيْءُ إِذَا اعْوَجَّ، وَكَانَتْ عَادٌ أَصْحَابَ عُمْدٍ يَسْكُنُونَ بَيْنَ رِمَالٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْبَحْرِ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الشَّحْرُ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ.

وَقِيلَ: بَيْنَ عُمَانَ وَمَهَرَةَ.

وَ﴿النُّذُرُ﴾[1] جَمْعُ نَذِيرٍ بِمَعْنَى الْمُنْذِرِ أَوِ الْإِنْذَارِ ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾[2] مِنْ قَبْلِهِ ﴿مِنْ خَلْفِهِ﴾[3] وَمِنْ بَعْدِهِ. وَقُرِئَ: (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ).

وَالْمَعْنَى: أَنَّ هُودًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَدْ أَنْذَرَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ بُعِثُوا قَبْلَهُ وَالَّذِينَ سَيُبْعَثُونَ بَعْدَهُ كُلُّهُمْ مُنْذِرُونَ نَحْوَ إِنْذَارِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: يَعْنِي الرُّسُلَ الَّذِينَ بُعِثُوا قَبْلَهُ وَالَّذِينَ بُعِثُوا فِي زَمَانِهِ.

وَمَعْنَى: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾[4] عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ وَمِنْ بَعْدِ إِنْذَارِهِ، هَذَا إِذَا عَلَّقْتَ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ بِقَوْلِهِ: أَنْذَرَ قَوْمَهُ.

وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ قَوْلَهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾[5] اعْتِرَاضًا بَيْنَ أَنْذَرَ قَوْمَهُ وَبَيْنَ ﴿أَلا تَعْبُدُوا﴾[6]، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَاذْكُرْ إِنْذَارَ هُودٍ قَوْمَهُ عَاقِبَةَ الشِّرْكِ وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ أَنْذَرَ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَاذْكُرْهُمْ.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[7]

الْإِفْكُ: الصَّرْفُ. يُقَالُ أَفَكَهُ عَنْ رَأْيِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
[7] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾[1]: عَنْ عِبَادَتِهَا ﴿بِمَا تَعِدُنَا﴾[2] مِنْ مُعَاجَلَةِ الْعَذَابِ عَلَى الشِّرْكِ، ﴿إِنْ كُنْتَ﴾[3] صَادِقًا في وَعْدِكَ.

﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[4]

فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ أَيْنَ طَابَقَ قَوْلَهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[5] جَوَابًا لِقَوْلِهِمْ: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾[6]؟

قُلْتُ: مِنْ حَيْثُ إِنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا اسْتِعْجَالٌ مِنْهُمْ بِالْعَذَابِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾[7]، فَقَالَ لَهُمْ: لَا عِلْمَ عِنْدِي بِالْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُ فيهِ تَعْذِيبُكُمْ حِكْمَةً وَصَوَابًا، إِنَّمَا عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ، فَكَيْفَ أَدْعُوهُ بِأَنْ يَأْتِيَكُمْ بِعَذَابِهِ في وَقْتٍ عَاجِلٍ تَقْتَرِحُونَهُ أَنْتُمْ؟

وَمَعْنَى: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾[8]، وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ: أَنَّ الَّذِي هُوَ شَأْنِي وَشَرْطِي: أَنَّ أُبَلِّغَكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنَ الْإِنْذَارِ وَالتَّخْوِيفِ وَالصَّرْفِ عَمَّا يُعَرِّضُكُمْ لِسَخَطِ اللَّهِ بِجُهْدِي، وَلَكِنَّكُمْ جَاهِلُونَ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرُّسُلَ لَمْ يُبْعَثُوا إِلَّا مُنْذِرِينَ لَا مُقْتَرِحِينَ، وَلَا سَائِلِينَ غَيْرَ مَا أُذِنَ لَهُمْ فيهِ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1]

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾[2] فِي الضَّمِيرِ وَجْهَانِ: أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا تَعِدُنَا، وَأَنْ يَكُونَ مُبْهَمًا قَدْ وَضَحَ أَمْرُهُ بِقَوْلِهِ: "عَارِضًا" إِمَّا تَمْيِيزًا وَإِمَّا حَالًا. وَهَذَا الْوَجْهُ أَعْرَبُ وَأَفْصَحُ.

وَالْعَارِضُ: السَّحَابُ الَّذِي يُعْرَضُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ. وَمِثْلُهُ: الْحُبَى وَالْعَنَانُ، مِنْ حَبَا وَعَنَّ: إِذَا عَرَضَ. وَإِضَافَةُ مُسْتَقْبَلٍ وَمُمْطِرٍ مَجَازِيَّةٌ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ، بِدَلِيلِ وُقُوعِهِمَا وَهُمَا مُضَافَانِ إِلَى مَعْرِفَتَيْنِ وَصْفًا لِلنَّكِرَةِ "بَلْ هُوَ" الْقَوْلُ قَبْلَهُ مُضْمَرٌ.

وَالْقَائِلُ: هُودٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (قَالَ هُودٌ، بَلْ هُوَ) وَقُرِئَ: (قُلْ بَلْ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ هِيَ رِيحٌ)، أَيْ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: قُلْ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3]: تَهْلِكُ مِنْ نُفُوسِ عَادٍ وَأَمْوَالِهِمُ الْجَمِّ الْكَثِيرِ، فَعَبَّرَ عَنِ الْكَثْرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَقُرِئَ: (يُدَمِّرُ كُلّ شَيْء) مِنْ دَمَّرَ دَمَارًا إِذَا هَلَكَ "لَا تُرَى" الْخِطَابُ لِلرَّائِي مِنْ كَانَ.

وَقُرِئَ: (لَا يُرَى)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ، وَتَأْوِيلُ الْقِرَاءَةِ بِالتَّاءِ، وَهِيَ عَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَا تَرَى بَقَايَا وَلَا أَشْيَاءَ مِنْهُمْ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ.

وَمِنْهُ بَيْتُ ذِي الرُّمَّةِ:

وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِـــــــعُ

وَلَيْسَتْ بِالْقَوِيَّةِ.

وَقُرِئَ: (لَا تُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ)، وَ (لَا يُرَى إِلَّا مَسْكَنُهُمْ).

وَرَوَى أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَحْمِلُ الْفُسْطَاطَ وَالظَّعِينَةَ، فَتَرْفَعُهَا فِي الْجَوِّ، حَتَّى تُرَى كَأَنَّهَا جَرَادَةٌ.

وَقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ أَبْصَرَ الْعَذَابَ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ قَالَتْ: رَأَيْتُ رِيحًا فِيهَا كَشُهُبِ النَّارِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَرُوِيَ: أَوَّلُ مَا عُرِفُوا بِهِ أَنَّهُ عَذَابٌ: أَنَّهُمْ رَأَوْا مَا كَانَ فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ رِحَالِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ تَطِيرُ بِهِ الرِّيحُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَدَخَلُوا بُيُوتَهُمْ وَغَلَّقُوا أَبْوَابَهُمْ، فَقَلَعَتِ الرِّيحُ الْأَبْوَابَ وَصَرَعَتْهُمْ، وَأَمَالَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَحْقَافَ، فَكَانُوا تَحْتَهَا سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ لَهُمْ أَنِينٌ، ثُمَّ كَشَفَتِ الرِّيحُ عَنْهُ، فَاحْتَمَلَتْهُمْ فَطَرَحَتْهُمْ فِي الْبَحْرِ.

وَرَوَى أَنَّ هُودًا لَمَّا أَحَسَّ بِالرِّيحِ خَطَّ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَطًّا إِلَى جَنْبِ عَيْنٍ تَنْبُعُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: اعْتَزَلَ هُودٌ وَمَنْ مَعَهُ فِي حَظِيرَةٍ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الرِّيحِ إِلَّا مَا يَلِينُ عَلَى الْجُلُودِ وَتَلْذُّهُ الْأَنْفُسُ. وَإِنَّهَا لَتَمُرُّ مِنْ عَادٍ بِالظَّعْنِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَتَدْمَغُهُمْ بِالْحِجَارَةِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الرِّيحَ فَزِعَ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَإِذَا رَأَى مُخَيِّلَةً: قَامَ وَقَعَدَ، وَجَاءَ وَذَهَبَ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فيقَالُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَخَافُ؟ فيقُولُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْمِ عَادٍ حَيْثُ قَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا".

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ إِضَافَةِ الرَّبِّ إِلَى الرِّيحِ؟

قُلْتُ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الرِّيحَ وَتَصْرِيفَ أَعِنَّتِهَا مِمَّا يَشْهَدُ لِعِظَمِ قُدْرَتِهِ، لِأَنَّهَا مِنْ أَعَاجِيبِ خَلْقِهِ وَأَكَابِرِ جُنُودِهِ.

وَذِكْرُ الْأَمْرِ وَكَوْنُهَا مَأْمُورَةً مِنْ جِهَتِهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: يُعَضِّدُ ذَلِكَ وَيُقَوِّيهِ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

"إِنَّ" نَافِيَةٌ، أَيْ: فِيمَا مَا مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ ﴿إِنْ﴾ أَحْسَنُ فِي اللَّفْظِ، لِمَا فِيهِ مُجَامَعَةٌ "مَا" مِثْلِهَا مِنَ التَّكْرِيرِ الْمُسْتَبْشَعِ. وَمِثْلُهُ مُجْتَنَبٌ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي "مَهْمَا": (مَامَا) فَلِبَشَاعَةِ التَّكْرِيرِ، قَلَبُوا الْأَلِفَ هَاءً؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَلَقَدْ أَغَثَّ أَبُو الطَّيِّبِ في قَوْلِهِ:

لَعَمْرُكَ مَامَا بَانَ مِنْكَ لِضَـــــــــارِبِ

وَمَا ضَرَّهُ لَوِ اقْتَدَى بِعُذُوبَةِ لَفْظِ التَّنْزِيلِ فَقَالَ: لَعَمْرُكَ مَا إِنْ بَانَ مِنْكَ لِضَارِبِ. وَقَدْ جُعِلَتْ إِنْ صِلَةً، مِثْلُهَا فيمَا أَنْشَدَهُ الْأَخْفَشُ:

يُرَجَّى الْمَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخُطُوبُ

وَتُؤَوَّلُ بِإِنَّا مَكَّنَّاهُمْ في مِثْلِ مَا مَكَّنَّاكُمْ فيهِ، وَالْوَجْهُ هُوَ الْأَوَّلُ، وَلَقَدْ جَاءَ عَلَيْهِ غَيْرُ آيَةٍ في الْقُرْآنِ ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[1]، ﴿قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا﴾[2]، وَهُوَ أَبْلَغُ في التَّوْبِيخِ، وَأَدْخَلُ في الْحَثِّ عَلَى الِاعْتِبَارِ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾[3]، أَيْ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْإِغْنَاءِ، وَهُوَ الْقَلِيلُ مِنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾[4]؟

قُلْتُ: بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَمَا أَغْنَى﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَرَى مَجْرَى التَّعْلِيلِ؟

قُلْتُ: لِاسْتِوَاءِ مُؤَدَّى التَّعْلِيلِ وَالظَّرْفِ في قَوْلِكَ: ضَرَبْتُهُ لِإِسَاءَتِهِ وَضَرَبْتُهُ إِذَا أَسَاءَ، لِأَنَّكَ إِذَا ضَرَبْتَهُ في وَقْتِ إِسَاءَتِهِ، فَإِنَّمَا ضَرَبْتَهُ فيهِ لِوُجُودِ إِسَاءَتِهِ فيهِ، إِلَّا أَنَّ ﴿إِذْ﴾[6]، وَحَيْثُ، غَلَبَتَا دُونَ سَائِرِ الظُّرُوفِ في ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[7]

---

[1] سورة مَرْيَم، الآية 74.

[2] سورة غَافِرٍ، الآية 82.

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿مَا حَوْلَكُمْ﴾[1] يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿مِنَ الْقُرَى﴾[2] مِنْ نَحْوِ حِجْرٍ ثَمُودَ وَقَرْيَةِ سَدُومَ وَغَيْرِهِمَا.

وَالْمُرَادُ: أَهْلُ الْقُرَى. وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[4]

الْقُرْبَانُ: مَا تُقُرِّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى–، أَيِ: اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ مُتَقَرَّبًا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ، حَيْثُ قَالُوا: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.

وَأَحَدُ مَفْعُولَيِّ اتَّخَذَ الرَّاجِعُ إِلَى الَّذِينَ الْمَحْذُوفِ، وَالثَّانِي: آلِهَةً.

وَقُرْبَانًا: حَالٌ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قُرْبَانًا مَفْعُولًا ثَانِيًا وَآلِهَةً بَدَلًا مِنْهُ لِفَسَادِ الْمَعْنَى. وَقُرِئَ (قُرْبَانًا) بِضَمِّ الرَّاءِ.

وَالْمَعْنَى: فَهَلَّا مَنَعَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ آلِهَتُهُمْ ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾[5]، أَيْ غَابُوا عَنْ نُصْرَتِهِمْ "وَذَلِكَ" إِشَارَةٌ إِلَى امْتِنَاعِ نُصْرَةِ آلِهَتِهِمْ لَهُمْ وَضَلَالِهِمْ عَنْهُمْ، أَيْ: وَذَلِكَ أَثَرُ إِفْكِهِمُ الَّذِي هُوَ اتِّخَاذُهُمْ إِيَّاهَا آلِهَةً، وَثَمَرَةُ شِرْكِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ مِنْ كَوْنِهِ ذَا شُرَكَاءَ.

وَقُرِئَ: (إِفْكُهُمْ)، وَالْأَفْكُ وَالْإِفْكُ: كَالْحِذْرِ وَالْحَذْرِ.

وَقُرِئَ: (وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ) أَيْ: وَذَلِكَ الِاتِّخَاذُ الَّذِي هَذَا أَثَرُهُ وَثَمَرَتُهُ صَرْفُهُمْ عَنِ الْحَقِّ.

وَقُرِئَ: (أَفَكَّهُمْ) عَلَى التَّشْدِيدِ لِلْمُبَالَغَةِ.

وَ(آفَكَهُمْ): جَعَلَهُمْ آفِكِينَ.

وَ(آفَكَهُمْ)، أَيْ: قَوْلُهُمُ الْآفِكُ ذُو الْإِفْكِ، كَمَا تَقُولُ قَوْلٌ كَاذِبٌ، وَذَلِكَ إِفْكٌ مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ، أَيْ: بَعْضُ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنَ الْإِفْكِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]

﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا﴾[2] أَمَلْنَاهُمْ إِلَيْكَ وَأَقْبَلْنَا بِهِمْ نَحْوكَ.

وَقُرِئَ: (صَرَّفْنَا) بِالتَّشْدِيدِ، لِأَنَّهُمْ جَمَاعَةٌ.

وَالنَّفَرُ: دُونَ الْعَشْرَةِ. وَيُجْمَعُ أَنْفَارًا.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَوْ كَانَ هَهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾[3] الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ. أَيْ: فَلَمَّا كَانَ بِمَسْمَعٍ مِنْهُمْ. أَوْ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَتُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (فَلَمَّا قَضَى) أَيْ أَتَمَّ قِرَاءَتَهُ وَفَرَّغَ مِنْهَا "قَالُواْ" قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "أَنصِتُواْ" اسْكُتُوا مُسْتَمِعِينَ. يُقَالُ: أَنْصَتَ لِكَذَا وَاسْتَنْصَتَ لَهُ.

رَوَى: أَنَّ الْجِنَّ كَانَتْ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ، فَلَمَّا حَرَسَتِ السَّمَاءَ وَرُجِمُوا بِالشُّهُبِ قَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا لِنَبَإٍ حَدَثَ، فَنَهَضَ سَبْعَةُ نَفَرٍ أَوْ تِسْعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ جِنِّ نَصِيبِينَ أَوْ نِينَوَى: مِنْهُمْ زَوْبَعَةُ، فَضَرَبُوا حَتَّى بَلَغُوا تِهَامَةَ، ثُمَّ انْدَفَعُوا إِلَى وَادِي نَخْلَةَ، فَوَافَقُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهُوَ قَائِمٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي أَوْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الطَّائِفِ حِينَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَسْتَنْصِرُهُمْ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ إِلَى طَلَبَتِهِ وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءُ ثَقِيفٍ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْجِنِّ وَلَا رَآهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتْلُو في صَلَاتِهِ فَمَرُّوا بِهِ فَوَقَفُوا مُسْتَمِعِينَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَأَنْبَأَهُ اللَّهُ بِاسْتِمَاعِهِمْ.

وَقِيلَ: بَلْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يُنْذِرَ الْجِنَّ وَيَقْرَأَ عَلَيْهِمْ فَصَرَفَ إِلَيْهِ نَفَرًا مِنْهُمْ جَمَعَهُمْ لَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى الْجِنِّ اللَّيْلَةَ فَمَنْ يَتْبَعُنِي: قَالَهَا ثَلَاثًا، فَأَطْرَقُوا إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: لَمْ يَحْضُرْهُ لَيْلَةَ الْجِنِّ أَحَدٌ غَيْرِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ في شِعْبِ الْحَجُونَ فَخَطَّ لِي خَطًّا وَقَالَ: لَا تَخْرُجْ مِنْهُ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ، ثُمَّ افْتَتَحَ الْقُرْآنَ، وَسَمِعْتُ لَغَطًا شَدِيدًا حَتَّى خِفْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَغَشِيتُهُ أَسْوِدَةً كَثِيرَةً حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ ثُمَّ انْقَطَعُوا كَقِطَعِ السَّحَابِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ رِجَالٌ سُودٌ مُسْتَثْفِرِي ثِيَابٍ بِيضٍ، فَقَالَ: "أُولَئِكَ جِنُّ نَصِيبِينَ"، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالسُّورَةُ الَّتِي قَرَأَهَا عَلَيْهِمْ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالُوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾[2]؟

قُلْتُ: عَنْ عَطَاءٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: إِنَّ الْجِنَّ لَمْ تَكُنْ سَمِعَتْ بِأَمْرِ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، فَلِذَلِكَ قَالَتْ: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾.[3]

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ بَعَّضَ في قَوْلِهِ: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[4]؟

قُلْتُ: لِأَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَا يُغْفَرُ بِالْإِيمَانِ كَذُنُوبِ الْمَظَالِمِ وَنَحْوِهَا.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ لِلْجِنِّ ثَوَابٌ كَمَا لِلْإِنْسِ؟

---

[1] سُورَةُ الْعَلَقِ، الآية 1.

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[5] سورة نُوحٍ، الآيتان 3 – 4.

قُلْتُ: اخْتُلِفَ فيهِ فَقِيلَ: لَا ثَوَابَ لَهُمْ إِلَّا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، وَإِلَيْهِ كَانَ يَذْهَبُ أَبُو حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ–.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ في حُكْمِ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ مِثْلَهُمْ.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾[2]، أَيْ: لَا يُنْجِي مِنْهُ مَهْرَبٌ، وَلَا يَسْبِقُ قَضَاءَهُ سَابَقَ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[3].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

﴿بِقَادِرٍ﴾[5] مَحَلُّهُ الرَّفْعُ، لِأَنَّهُ خَبَرُ أَنَّ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ: (قَادِرٌ)، وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْبَاءُ لِاشْتِمَالِ النَّفي في أَوَّلِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ وَمَا في حَيِّزِهَا.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَوْ قُلْتَ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّ زَيْدًا يُغَائِمُ: جَازَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ.

أَلَا تَرَى إِلَى وُقُوعِ بَلَى مُقَرَّرَةً لِلْقُدْرَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ، لَا لِرُؤْيَتِهِمْ؟

وَقُرِئَ: (يَقْدِرُ)، وَيُقَالُ: عَيِيتُ بِالْأَمْرِ، إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَجْهَهُ.

وَمِنْهُ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾[6].

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[7]

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

3 سُورَةُ الْجِنِّ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

6 سورة ق، الآية 15.

7 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾[1] مَحْكِيٌّ بَعْدَ قَوْلٍ مُضْمَرٍ، وَهَذَا الْمُضْمَرُ هُوَ نَاصِبُ الظَّرْفِ.

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْعَذَابِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[2].

وَالْمَعْنَى: التَّهَكُّمُ بِهِمْ، وَالتَّوْبِيخُ لَهُمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[3].

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]

﴿أُولُو الْعَزْمِ﴾[5]: أُولُو الْجِدِّ وَالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ.

وَ﴿مِنْ﴾[6] يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّبْعِيضِ، وَيُرَادُ بِأُولِي الْعَزْمِ: بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ. قِيلَ: هُمْ نُوحٌ، صَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ: كَانُوا يَضْرِبُونَهُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَى النَّارِ وَذَبْحِ وَلَدِهِ، وَإِسْحَاقُ عَلَى الذَّبْحِ، وَيَعْقُوبُ عَلَى فَقْدِ وَلَدِهِ وَذَهَابِ بَصَرِهِ، وَيُوسُفُ عَلَى الْجُبِّ وَالسِّجْنِ، وَأَيُّوبُ عَلَى الضُّرِّ، وَمُوسَى قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[7]، وَدَاوُدُ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَعِيسَى لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَقَالَ: إِنَّهَا مُعَبِّرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تُعَمِّرُوهَا. وَقَالَ اللَّهُ –تَعَالَى– في آدَمَ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[8]، وَفي يُونُسَ: ﴿وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[9].

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْبَيَانِ، فيكُونُ أُولُو الْعِزِّ صِفَةُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

3 سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 138.

4 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

7 سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

8 سورة طَهَ، الآية 115.

9 سورة الْقَلَمِ، الآية 48.

﴿وَلا تَسْتَعْجِلْ﴾[1] لِكَفَّارِ قُرَيْشٍ بِالْعَذَابِ، أَيْ: لَا تَدْعُ لَهُمْ بِتَعْجِيلِهِ، فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَقْصِرُونَ حِينَئِذٍ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَحْسَبُوهَا ﴿سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاغٌ﴾[2]، أَيْ هَذَا الَّذِي وُعِظْتُمْ بِهِ كِفَايَةٌ فِي الْمَوْعِظَةِ، أَوْ هَذَا تَبْلِيغٌ مِنَ الرَّسُولِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾[3] إِلَّا الْخَارِجُونَ عَنِ الِاتِّعَاظِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمُوجِبِهِ؟

وَيَدُلُّ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ: وَقُرِئَ: (بَلَاغًا)، أَيْ بَلِّغُوا بَلَاغًا، وَقُرِئَ: (يَهْلِكُ)، بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا، مِنْ هَلَكَ وَهَلِكَ. وَنَهْلَكُ بِالنُّونِ ﴿إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4].

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْقَافِ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ رَمْلَةٍ فِي الدُّنْيَا".

---

[1] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْقَافِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْقَافِ ، الآية .

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا مِنْ آيَةِ 16 إِلَى غَايَةِ آيَةِ 20 فَمَدَنِيَّةٌ]

وَآيَاتُهَا 30 وَقِيلَ 29
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْمُؤْمِنُونَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1]

﴿الم﴾[2] عَلَى أَنَّهَا اسْمُ السُّورَةِ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾[3]؛ وَإِنْ جَعَلْتَهَا تَعْدِيدًا لِلْحُرُوفِ، ارْتَفَعَ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾[4] بِأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ: أَوْ هُوَ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾[5].

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَالْوَجْهُ: أَنْ يَرْتَفِعَ بِالِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وَ ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾[2]: اعْتِرَاضٌ لَا مَحَلَّ لَهُ.

وَالضَّمِيرُ فِي "فِيهِ" رَاجِعٌ إِلَى مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ، أَيْ: فِي كَوْنِهِ مُنَزَّلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَيَشْهَدُ لِوَجَاهَتِهِ قَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[3]، لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: هَذَا مُفْتَرَى، إِنْكَارٌ لِأَنْ يَكُونَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[4]؛ وَمَا فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ.

وَهَذَا أُسْلُوبٌ صَحِيحٌ مُحْكَمٌ: أَثْبَتَ أَوَّلًا أَنَّ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَا لَا رَيْبَ فِيهِ.

ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[5]، لِأَنَّ "أَمْ" هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ الْكَائِنَةُ بِمَعْنَى: بَلْ وَالْهَمْزَةُ، إِنْكَارًا لِقَوْلِهِمْ وَتَعْجِيبًا مِنْهُ لِظُهُورِ أَمْرِهِ: فِي عَجْزِ بُلَغَائِهِمْ عَنْ مِثْلِ ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْهُ.

ثُمَّ أَضْرَبَ عَنِ الْإِنْكَارِ إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ.

وَنَظِيرُهُ: أَنْ يُعَلِّلَ الْعَالِمُ فِي الْمَسْأَلَةِ بِعِلَّةٍ صَحِيحَةٍ جَامِعَةٍ، قَدِ احْتَرَزَ فِيهَا أَنْوَاعَ الِاحْتِرَازِ، كَقَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ: النَّظَرُ أَوَّلُ الْأَفْعَالِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ الَّتِي لَا يُعَرَّى عَنْ وُجُوبِهَا مُكَلَّفٌ، ثُمَّ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ فِيهَا بِبَعْضِ مَا وَقَعَ احْتِرَازُهُ مِنْهُ، فَيَرُدُّهُ بِتَلْخِيصِ أَنَّهُ احْتَرَزَ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى تَقْرِيرِ كَلَامِهِ وَتَمْشِيَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ نُفِيَ أَنْ يُرْتَابَ فِي أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَقَدْ أُثْبِتَ مَا هُوَ أَطَمُّ مِنَ الرَّيْبِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: "افْتَرَاهُ"؟

قُلْتُ: مَعْنَى: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾[6] أَنْ لَا مَدْخَلَ لِلرَّيْبِ فِي أَنَّهُ تَنْزِيلُ اللَّهِ، لِأَنَّ نَافِيَ الرَّيْبِ وَمُمِيطَهُ مَعَهُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ، وَهُوَ كَوْنُهُ مُعْجِزًا لِلْبَشَرِ، وَمِثْلُهُ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنَ الرَّيْبِ.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: "افْتَرَاهُ"، فَإِمَّا قَوْلُ مُتَعَنِّتٍ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ لِظُهُورِ الْإِعْجَازِ لَهُ، أَوْ جَاهِلٍ يَقُولُهُ قَبْلَ التَّأَمِيلِ وَالنَّظَرِ، لِأَنَّهُ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَهُ: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[1] كَقَوْلِهِ: ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[2].

وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا قَبْلَ مُحَمَّدٍ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ نَذِيرٌ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ.

قُلْتُ: أَمَّا قِيَامُ الْحُجَّةِ بِالشَّرَائِعِ الَّتِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهَا إِلَّا بِالرُّسُلِ، فَلَا. وَأَمَّا قِيَامُهَا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَنَعَمْ، لِأَنَّ أَدِلَّةَ الْعَقْلِ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى ذَلِكَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3] فيهِ وَجْهَانِ:

– أَنْ يَكُونَ عَلَى التَّرَجِّي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَمَا كَانَ، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾[4] عَلَى التَّرَجِّي مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ –عَلَيْهِمَا السَّلَامُ–.

– وَأَنْ يُسْتَعَارَ لَفْظُ التَّرَجِّي لِلْإِرَادَةِ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[5]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ﴾[6].

قُلْتُ: هُوَ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

– أَحَدُهُمَا: أَنَّكُمْ إِذَا جَاوَزْتُمْ رِضَاهُ لَمْ تَجِدُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَلِيًّا، أَيْ: نَاصِرًا يَنْصُرُكُمْ وَلَا شَفِيعًا يَشْفَعُ لَكُمْ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ وَلِيُّكُمُ الَّذِي يَتَوَلَّى مَصَالِحَكُمْ، وَشَفِيعُكُمْ، أَيْ نَاصِرُكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، لِأَنَّ الشَّفِيعَ يَنْصُرُ الْمَشْفُوعَ لَهُ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[1]، فَإِذَا خَذَلَكُمْ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]

"الْأَمْرُ": الْمَأْمُورُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُنَزِّلُهُ مُدَبَّرًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾[3]، ثُمَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ خَالِصًا كَمَا يُرِيدُهُ وَيَرْتَضِيهِ إِلَّا فِي مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ، لِقِلَّةِ عُمَّالِ اللَّهِ وَالْخُلَّصِ مِنْ عِبَادِهِ وَقِلَّةِ الْأَعْمَالِ الصَّاعِدَةِ، لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالصُّعُودِ إِلَّا الْخَالِصُ.

وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَى أَثَرِهِ: ﴿قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾[4]، أَوْ يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلِّهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ: لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، وَهُوَ أَلْفُ سَنَةٍ. كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[5]، أَيْ: يَصِيرُ إِلَيْهِ، وَيَثْبُتُ عِنْدَهُ.

وَيُكْتَبُ فِي صُحُفِ مَلَائِكَتِهِ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ هَذِهِ الْمَدَّةِ: مَا يَرْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَيَدْخُلُ تَحْتَ الْوُجُودِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْمُدَّةُ آخِرَهَا، ثُمَّ يُدَبِّرُ أَيْضًا لِيَوْمٍ آخَرَ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَقِيلَ: يَنْزِلُ الْوَحْيُ مَعَ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ قَبُولِ الْوَحْيِ أَوْ رَدِّهِ مَعَ جِبْرِيلَ وَذَلِكَ فِي وَقْتٍ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَلْفُ سَنَةٍ، لِأَنَّ

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية 9.

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

الْمَسَافَةَ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ فِي الْهُبُوطِ وَالصُّعُودِ، لِأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِكُمْ لِسُرْعَةِ جِبْرِيلَ، لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

وَقِيلَ: يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَيْ يَصِيرُ إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ فِيهِ.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: (يُعْرَجُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقُرِئَ: (يَعُدُّونَ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾[2]

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] حَسَّنَهُ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَهُ إِلَّا وَهُوَ مُرَتَّبٌ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ وَأَوْجَبَتْهُ الْمَصْلَحَةُ، فَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَسَنَةٌ وَإِنْ تَفَاوَتَتْ مِنْ حَسَنٍ وَأَحْسَنَ، كَمَا قَالَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[4].

وَقِيلَ: عُلِمَ كَيْفَ يَخْلُقُهُ مِنْ قَوْلِهِ: قِيمَةُ الْمَرْءِ مَا يُحْسِنُ. وَحَقِيقَتُهُ، يَحْسُنُ مَعْرِفَتُهُ أَيْ يُعَرِّفُهُ مَعْرِفَةَ حَسَنَةٍ بِتَحْقِيقٍ وَإِتْقَانٍ.

وَقُرِئَ: (خَلْقَهُ) عَلَى الْبَدَلِ، أَيْ: أَحْسَنَ. فَقَدْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَخَلْقَهُ: عَلَى الْوَصْفِ، أَيْ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، فَقَدْ أَحْسَنَهُ.

سُمِّيَتِ الذُّرِّيَّةُ نَسْلًا، لِأَنَّهَا تَنْسَلُّ مِنْهُ، أَيْ: تَنْفَصِلُ مِنْهُ وَتَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ لِلْوَلَدِ: سَلِيلٌ وَنَجْلٌ.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سورة التِّين، الآية 4.

وَ﴿سَوَّاهُ﴾[1] قَوَّمَهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]، وَدَلَّ بِإِضَافَةِ الرُّوحِ إِلَى ذَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ خَلْقٌ عَجِيبٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ...[3]الْآيَةَ كَأَنَّهُ قَالَ: وَنَفَخَ فِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي اخْتُصَّ هُوَ بِهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4]

﴿وَقَالُوا﴾[5] قِيلَ الْقَائِلُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، وَلِرِضَاهُمْ بِقَوْلِهِ أُسْنِدَ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا.

وَقُرِئَ: (أَئِنَّا) وَ (أَنَّا)، عَلَى الِاسْتِفْهَامِ وَتَرْكِهِ "ضَلَلْنَا" صِرْنَا تُرَابًا، وَذَهَبْنَا مُخْتَلِطِينَ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، لَا نَتَمَيَّزُ مِنْهُ، كَمَا يَضِلُّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ أَوْ غِبْنَا ﴿فِي الأَرْضِ﴾[6] بِالدَّفْنِ فِيهَا، مِنْ قَوْلِهِ:

وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ

وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: (ضَلِلْنَا)، بِكَسْرِ اللَّامِ. يُقَالُ: ضَلَّ يَضِلُّ وَضَلَّ يَضِلُّ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: صَلَلْنَا، مِنْ صَلَّ اللَّحْمَ وَأَصَلَّ: إِذَا أَنْتَنَ.

وَقِيلَ: صِرْنَا مِنْ جِنْسِ الصَّلَّةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ انْتَصَبَ الظَّرْفُ فِي ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا﴾[7]؟

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[7] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

قُلْتُ: بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]، وَهُوَ نُبْعَثُ. أَوْ يُجَدَّدُ خَلْقُنَا. لِقَاءُ رَبِّهِمْ: هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْعَاقِبَةِ، مِنْ تَلَقِّي مَلَكِ الْمَوْتِ وَمَا وَرَاءَهُ.

فَلَمَّا ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِالْإِنْشَاءِ، أَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَبْلَغُ فِي الْكُفْرِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِجَمِيعِ مَا يَكُونُ فِي الْعَاقِبَةِ، لَا بِالْإِنْشَاءِ وَحْدَهُ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ خُوطِبُوا بِتَوَفِّي مَلَكِ الْمَوْتِ وَبِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَبْعُوثِينَ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؟!

وَهَذَا مَعْنَى لِقَاءِ اللَّهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَالتَّوَفِّي: اسْتِيفَاءُ النَّفْسِ وَهِيَ الرُّوحُ.

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ﴾[2]، وَقَالَ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ، وَهُوَ أَنْ يَقْبِضَ كُلَّهَا لَا يُتْرَكُ مِنْهَا شَيْءٌ.

مِنْ قَوْلِكَ: تَوَفيتُ حَقِّيَ مِنْ فُلَانٍ، وَاسْتَوْفيتُهُ إِذَا أَخَذْتَهُ وَافيا كَامِلًا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ.

وَالتَّفَعُّلُ وَالِاسْتِفْعَالُ: يَلْتَقِيَانِ فِي مَوَاضِعَ: مِنْهَا: تَقَصَّيْتُهُ وَاسْتَقْصَيْتُهُ، وَتَعَجَّلْتُهُ وَاسْتَعْجَلْتُهُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: حُوِيَتْ لِمَلَكِ الْمَوْتِ الْأَرْضُ، وَجُعِلَتْ لَهُ مِثْلَ الطَّسْتِ، يَتَنَاوَلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: يَتَوَفَّاهُمْ وَمَعَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقِيلَ: مَلَكُ الْمَوْتِ: يَدْعُو الْأَرْوَاحَ فَتُجِيبُهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَعْوَانَهُ بِقَبْضِهَا.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سورة الزُّمَرِ، الآية 42.

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

﴿وَلَوْ تَرَى﴾[1] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ يُرَادَ بِهِ التَّمَنِّي، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَيْتَكَ تَرَى، كَقَوْلِهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِلْمُغِيرَةِ: "لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا".

وَالتَّمَنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَمَا كَانَ التَّرَجِّي لَهُ فِي ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2]، لِأَنَّهُ تَجَرَّعَ مِنْهُمُ الْغُصَصَ وَمِنْ عَدَاوَتِهِمْ وَضِرَارِهِمْ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ تَمَنِّيَ أَنْ يَرَاهُمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ الْفَظِيعَةِ مِنَ الْحَيَاءِ وَالْخِزْيِ وَالْغَمِّ لِيَشْمَتَ بِهِمْ، وَأَنْ تَكُونَ لَوِ الِامْتِنَاعِيَّةُ قَدْ حُذِفَ جَوَابُهَا، وَهُوَ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا فَظِيعًا. أَوْ: لَرَأَيْتَ أَسْوَأَ حَالٍ تُرَى.

وَيَجُوزُ: أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ، كَمَا تَقُولُ: فُلَانٌ لَئِيمٌ، إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ، وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ، فَلَا تُرِيدُ بِهِ مُخَاطَبًا بِعَيْنِهِ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: إِنْ أُكْرِمَ وَإِنْ أُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَلَوْ وَإِذْ كِلَاهُمَا لِلْمُضِيِّ.

وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمُتَرَقَّبَ مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ الْوُجُودِ الْمَقْطُوعِ بِهِ فِي تَحَقُّقِهِ، وَلَا يُقَدَّرُ لِنَرَى مَا يَتَنَاوَلُهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَوْ تَكُونُ مِنْكُمُ الرُّؤْيَةُ، وَإِذْ ظَرْفٌ لَهُ.

يَسْتَغِيثُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[3]، فَلَا يُغَاثُونَ، يَعْنِي: أَبْصَرْنَا صِدْقَ وَعْدِكَ وَوَعِيدِكَ وَسَمْعِنَا مِنْكَ تَصْدِيقَ رُسُلِكَ. أَوْ كُنَّا عُمْيًا وَصُمًّا، فَأَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا.

"فَارْجِعْنَا": هِيَ الرَّجْعَةُ إِلَى الدُّنْيَا.

﴿لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[4] عَلَى طَرِيقِ الْإِلْجَاءِ وَالْقَسْرِ، وَلَكِنَّنَا بَنَيْنَا الْأَمْرَ عَلَى الِاخْتِيَارِ دُونَ الِاضْطِرَارِ، فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، فَحَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى أَهْلِ الْعَمَى دُونَ الْبُصَرَاءِ.

أَلَا تَرَى إِلَى مَا عَقَّبَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾[5]، فَجَعَلَ ذَوْقَ الْعَذَابِ نَتِيجَةَ فِعْلِهِمْ: مِنْ نِسْيَانِ الْعَاقِبَةِ، وَقِلَّةِ الْفِكْرِ فِيهَا، وَتَرْكِ الِاسْتِعْدَادِ لَهَا؟

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَالْمُرَادُ بِالنِّسْيَانِ: خِلَافَ التَّذَكُّرِ، يَعْنِي: أَنَّ الِانْهِمَاكَ فِي الشَّهَوَاتِ أَذْهَلَكُمْ وَأَلْهَاكُمْ عَنْ تَذَكُّرِ الْعَاقِبَةِ وَسَلَّطَ عَلَيْكُمْ نِسْيَانَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾[1] عَلَى الْمُقَابَلَةِ، أَيْ: جَازَيْنَاكُمْ جَزَاءَ نِسْيَانِكُمْ.

وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّرْكِ، أَيْ: تَرَكْتُمُ الْفِكْرَ فِي الْعَاقِبَةِ، فَتَرَكْنَاكُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ.

وَفِي اسْتِئْنَافِ قَوْلِهِ: "إِنَّا نَسِينَاكُمْ" وَبِنَاءِ الْفِعْلِ عَلَى إِنَّ وَاسْمِهَا تَشْدِيدٌ فِي الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ.

وَالْمَعْنَى: فَذُوقُوا هَذَا أَيْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ نَكْسِ الرُّءُوسِ وَالْخِزْيِ وَالْغَمِّ بِسَبَبِ نِسْيَانِ اللِّقَاءِ، وَذُوقُوا الْعَذَابَ الْمُخَلَّدَ فِي جَهَنَّمَ بِسَبَبِ مَا عَمِلْتُمْ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ الْمُوبِقَةِ.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾[3]، أَيْ وُعِظُوا سَجَدُوا تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَخُشُوعًا، وَشُكْرًا عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[4]: وَنَزَّهُوا اللَّهَ مِنْ نِسْبَةِ الْقَبَائِحِ إِلَيْهِ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ حَامِدِينَ لَهُ، ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[5]، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا.

وَمِثْلُهُ: قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾[6].

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 107.

"تَتَجَافى": تَرْتَفِعُ وَتَتَنَحَّى، "عَنِ الْمَضَاجِعِ" عَنِ الْفُرُشِ وَمَوَاضِعِ النَّوْمِ، دَاعِينَ رَبَّهُمْ عَابِدِينَ لَهُ، لِأَجْلِ خَوْفِهِمْ مِنْ سُخْطِهِ وَطَمَعِهِمْ في رَحْمَتِهِ، وَهُمُ الْمُتَهَجِّدُونَ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في تَفْسِيرِهَا: "قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ".

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: أَنَّهُ التَّهَجُّدُ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ مُنَادٍ يُنَادِي بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ. ثُمَّ يَرْجِعُ فينَادِي: لِيُقُمِ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، فيقُومُونَ، وَهُمْ قَلِيلٌ. ثُمَّ يَرْجِعُ فينَادِي: لِيَقُمِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمَدُونَ اللَّهَ في الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، فيقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، فيسَرَّحُونَ جَمِيعًا إِلَى الْجَنَّةِ. ثُمَّ يُحَاسَبُ سَائِرُ النَّاسِ".

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: كَانَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَنَزَلَتْ فيهِمْ.

وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ لَا يَنَامُونَ عَنْهَا ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾[1] عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. مَا أَخْفى لَهُمْ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ–، وَمَا أَخْفى لَهُمْ. وَمَا نُخْفى لَهُمْ. وَمَا أَخْفيتُ لَهُمْ: الثَّلَاثَةُ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ–. وَمَا: بِمَعْنَى الَّذِي، أَوْ بِمَعْنَى أَيْ.

وَقُرِئَ: (مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)، (وَقُرَّاتِ أَعْيُنٍ).

وَالْمَعْنَى: لَا تَعْلَمُ النُّفُوسُ –كُلُّهُنَّ وَلَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ – أَيَّ نَوْعٍ عَظِيمٍ مِنَ الثَّوَابِ ادَّخَرَ اللَّهُ لِأُولَئِكَ وَأَخْفَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُهُمْ، وَلَا مَزِيدَ عَلَى هَذِهِ الْعِدَةِ وَلَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، فَحَسَمَ أَطْمَاعَ الْمُتَمَنِّينَ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بُلْهَ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ. اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ".

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَخْفى الْقَوْمُ أَعْمَالًا في الدُّنْيَا، فَأَخْفى اللَّهُ لَهُمْ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

﴿كَانَ مُؤْمِنًا وَ كَانَ فَاسِقًا﴾[2] مَحْمُولَانِ عَلَى لَفْظِ مَنْ وَ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾[3] مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا ....وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾[4]، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾[5].

وَ﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾[6] نَوْعٌ مِنَ الْجِنَانِ.

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[7]: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: تَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ.

وَقِيلَ: هِيَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ.

وَقُرِئَ: (جَنَّةُ الْمَأْوَى)، عَلَى التَّوْحِيدِ "نُزُلًا" عَطَاءً بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالنُّزُلُ: عَطَاءُ النَّازِلِ، ثُمَّ صَارَ عَامًّا.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سورة مُحَمَّدَ، الآية 16.

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[7] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[1]، أَيْ: مَلْجَؤُهُمْ وَمَنْزِلُهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: فَجَنَّةُ مَأْوَاهُمُ النَّارُ، أَيِ: النَّارُ لَهُمْ، مَكَانَ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِلْمُؤْمِنِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .الْعَذَابِ الأَدْنَى﴾[2]: عَذَابِ الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَمَا مُحِنُوا بِهِ مِنَ السَّنَةِ سَبْعَ سِنِينَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: عَذَابُ الْقَبْرِ.

﴿الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾[3] عَذَابَ الْآخِرَةِ، أَيْ: نُذِيقُهُمْ عَذَابَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْآخِرَةِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]، أَيْ: يَتُوبُونَ عَنِ الْكُفْرِ، أَوْ لَعَلَّهُمْ يُرِيدُونَ الرُّجُوعَ وَيَطْلُبُونَهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[5]، وَسُمِّيَتْ إِرَادَةُ الرُّجُوعِ رُجُوعًا، كَمَا سُمِّيَتْ إِرَادَةُ الْقِيَامِ قِيَامًا فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾[6]، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (يَرْجِعُونَ)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مِنْ أَيْنَ صَحَّ تَفْسِيرُ الرُّجُوعِ بِالتَّوْبَةِ؟ وَ"لَعَلَّ" مِنَ اللَّهِ إِرَادَةٌ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا كَانَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، وَتَوْبَتُهُمْ مِمَّا لَا يَكُونُ.

أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِمَّا يَكُونُ لَمْ يَكُونُوا ذَائِقِينَ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ؟

قُلْتُ: إِرَادَةُ اللَّهِ تَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ وَأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِهِ كَانَ وَلَمْ يَمْتَنِعْ، لِلِاقْتِدَارِ وَخُلُوصِ الدَّاعِي.

وَأَمَّا أَفْعَالُ عِبَادِهِ: فَإِمَّا أَنْ يُرِيدَهَا وَهُمْ مُخْتَارُونَ لَهَا، أَوْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهَا بِقَسْرِهِ وَإِلْجَائِهِ، فَإِنْ أَرَادَهَا وَقَدْ قَسَرَهُمْ عَلَيْهَا فَحُكْمُهَا حُكْمُ أَفْعَالِهِ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى أَنْ يَخْتَارُوهَا وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَهَا لَمْ يَقْدَحْ ذَلِكَ فِي اقْتِدَارِهِ، كَمَا لَا يَقْدَحُ فِي اقْتِدَارِكَ إِرَادَتُكَ أَنْ يَخْتَارَ عَبْدُكَ طَاعَتَكَ وَهُوَ لَا يَخْتَارُهَا، لِأَنَّ اخْتِيَارَهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِقُدْرَتِكَ، وَإِذَا لَمْ يَتَعَلَّقْ بِقُدْرَتِكَ لَمْ يَكُنْ فَقْدُهُ دَالًّا عَلَى عَجْزِكَ.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَرُوِيَ فِي نُزُولِهَا: أَنَّهُ شَجَرَ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ الله عَنْهُ– وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيطٍ يَوْمَ بَدْرٍ كَلَامٌ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ صَبِيٌّ: أَنَا أَشَبُّ مِنْكَ شَبَابًا، وَأَجْلَدُ مِنْكَ جَلَدًا، وَأَذْرَبُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُّ مِنْكَ سِنَانًا، وَأَشْجَعُ مِنْكَ جَنَانًا، وَأَمْلَأُ مِنْكَ حَشْوًا فِي الْكَتِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ، فَنَزَلَتْ عَامَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْفَاسِقِينَ. فَتَنَاوَلَتْهُمَا وَكُلَّ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِهِمَا.

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: أَنَّهُ قَالَ لِلْوَلِيدِ: كَيْفَ تَشْتُمُ عَلِيًّا، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ: مُؤْمِنًا فِي عَشْرِ آيَاتٍ، وَسَمَّاكَ فَاسِقًا؟!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[1]

ثُمَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾[2] لِلِاسْتِبْعَادِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنْ مِثْلِ آيَاتِ اللَّهِ فِي وُضُوحِهَا وَإِنَارَتِهَا وَإِرْشَادِهَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ وَالْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى بَعْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا مُسْتَبْعَدٌ فِي الْعَقْدِ وَالْعَدْلِ، كَمَا تَقُولُ لِصَاحِبِكَ: وَجَدْتَ مِثْلَ تِلْكَ الْفُرْصَةِ ثُمَّ لَمْ تَنْتَهِزْهَا اسْتِبْعَادًا لِتَرْكِهِ الِانْتِهَازَ، وَمِنْهُ ثَمَّ فِي بَيْتِ الْحَمَاسَةِ:

لَا يَكْشِفُ الْغُمَّاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا

اسْتَبْعَدَ أَنْ يَزُورَ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ بَعْدَ أَنْ رَآهَا وَاسْتَيْقَنَهَا وَاطَّلَعَ عَلَى شِدَّتِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: إِنَّا مِنْهُ مُنْتَقِمُونَ؟

قُلْتُ: لَمَّا جَعَلَهُ أَظْلَمَ كُلِّ ظَالِمٍ ثُمَّ تَوَعَّدَ الْمُجْرِمِينَ عَامَّةً بِالِانْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَقَدْ دَلَّ عَلَى إِصَابَةِ الْأَظْلَمِ النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ مِنَ الِانْتِقَامِ، وَلَوْ قَالَهُ بِالضَّمِيرِ لَمْ يُفِدْ هَذِهِ الْفَائِدَةَ.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2] لِلْجِنْسِ وَالضَّمِيرُ في "لِقَائِهِ" لَهُ. وَمَعْنَاهُ: إِنَّا آتَيْنَا مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام– مِثْلَ مَا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ، وَلَقَّيْنَاهُ مِثْلَ مَا لَقَّيْنَاكَ مِنَ الْوَحْيِ، فَلَا تَكُنْ في شَكٍّ مِنْ أَنَّكَ لُقِّيتَ مِثْلَهُ وَلُقِّيتَ نَظِيرَهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3]، وَنَحْوَ قَوْلِهِ:﴿ مِنْ لِقَائِهِ﴾[4] قَوْلُهُ:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[5]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾[6].

وَجَعَلْنَا الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام– ﴿هُدًى﴾ لِقَوْمِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾[7] النَّاسَ وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى مَا في التَّوْرَاةِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، لِصَبْرِهِمْ وَإِيقَانِهِمْ بِالْآيَاتِ.

وَكَذَلِكَ لَنَجْعَلَنَّ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ إِلَيْكَ هُدًى وَنُورًا، وَلَنَجْعَلَنَّ مِنْ أُمَّتِكَ أَئِمَّةً يَهْدُونَ مِثْلَ تِلْكَ الْهِدَايَةِ لِمَا صَبَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ وَثَبَتُوا عَلَيْهِ مِنَ الْيَقِينِ.

وَقِيلَ: مِنْ لِقَائِكَ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام– لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقِيلَ: مِنْ لِقَاءِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام– الْكِتَابَ، أَيْ: مِنْ تَلَقِّيهِ لَهُ بِالرِّضَا وَالْقَبُولِ.

وَقُرِئَ: (لَمَّا صَبَرُوا)، (وَلِمَا صَبَرُوا)، أَيْ لِصَبْرِهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: صَبَرُوا عَنِ الدُّنْيَا.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سورة يُونُسَ، الآية 94.

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 13.

[7] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

وَقِيلَ: إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ التَّوْرَاةَ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ خَاصَّةً، وَلَمْ يَتَعَبَّدْ بِمَا فيها وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامَ-: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾[1] يَقْضِي، فيمَيِّزُ الْمُحِقَّ في دِينِهِ مِنَ الْمُبْطِلِ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[2]

الْوَاوُ في ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾[3] لِلْعَطْفِ عَلَى مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ مَنَوِيٍّ مِنْ جِنْسِ الْمَعْطُوفِ، وَالضَّمِيرُ في "لَهُمْ" لِأَهْلِ مَكَّةَ.

وَقُرِئَ بِالنُّونِ وَالْيَاءِ، وَالْفَاعِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾[4]، لِأَنَّ كَمْ لَا تَقَعُ فَاعِلَةً، لَا يُقَالُ: جَاءَنِي كَمْ رَجُلٍ، تَقْدِيرُهُ: أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَثْرَةُ إِهْلَاكِنَا الْقُرُونَ؟

أَوْ هَذَا الْكَلَامُ كَمَا هُوَ بِمَضْمُونِهِ وَمَعْنَاهُ، كَقَوْلِكَ: يَعْصِمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الدِّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فيهِ ضَمِيرُ اللَّهِ بِدَلَالَةِ الْقِرَاءَةِ وَالنُّونِ.

وَ"الْقُرُونُ": عَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُلُوطٍ، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾[5]، يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، يَمُرُّونَ في مَتَاجِرِهِمْ عَلَى دِيَارِهِمْ وَبِلَادِهِمْ.

وَقُرِئَ: (يُمَشُّونَ) بِالتَّشْدِيدِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

"الْجُرُزُ" الْأَرْضُ الَّتِي جُرِزَ نَبَاتُهَا أَيْ قُطِعَ، إِمَّا لِعَدَمِ الْمَاءِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ رُعِيَ وَأُزِيلَ، وَلَا يُقَالُ لِلَّتِي لَا تُنْبِتُ كَالسِّبَاخِ: جُرُزٌ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: إِنَّهَا أَرْضُ الْيَمَنِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: هِيَ أَبْيَنُ. "بِهِ" بِالْمَاءِ "تَأْكُلُ" مِنَ الزَّرْعِ "أَنْعَامُهُمْ" مِنْ عَصْفِهِ "وَأَنْفُسُهُمْ" مِنْ حَبِّهِ.

وَقُرِئَ: (يَأْكُلُ) بِالْيَاءِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾[2]

الْفَتْحُ: النَّصْرُ، أَوِ الْفَصْلُ بِالْحُكُومَةِ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾[3]؛ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَنَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَيَفْتَحُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾[4]، أَيْ في أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5] في أَنَّهُ كَائِنٌ.

وَ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾[6]: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْدَائِهِمْ، وَيَوْمُ نَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ.

وَقِيلَ: هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ.

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[3] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 89.

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ سَأَلُوا عَنْ وَقْتِ الْفَتْحِ، فَكَيْفَ يَنْطَبِقُ هَذَا الْكَلَامُ جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِمْ؟

قُلْتُ: كَانَ غَرَضُهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْ وَقْتِ الْفَتْحِ، اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ عَنْ وَجْهِ التَّكْذِيبِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، فَأُجِيبُوا عَلَى حَسَبِ مَا عُرِفَ مِنْ غَرَضِهِمْ فِي سُؤَالِهِمْ فَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَسْتَعْجِلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَهْزِئُوا، فَكَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ حَصَلْتُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَآمَنْتُمْ فَلَمْ يَنْفَعْكُمُ الْإِيمَانُ، وَاسْتَنْظَرْتُمْ فِي إِدْرَاكِ الْعَذَابِ فَلَمْ تُنْظَرُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَنْ فَسَّرَهُ بِيَوْمِ الْفَتْحِ أَوْ يَوْمِ بَدْرٍ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ عَلَى تَفْسِيرِهِ أَنْ لَا يَنْفَعَهُمُ الْإِيمَانُ، وَقَدْ نَفَعَ الطُّلَقَاءَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَنَاسًا يَوْمَ بَدْرٍ؟

قُلْتُ: الْمُرَادُ أَنَّ الْمَقْتُولِينَ مِنْهُمْ لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ فِي حَالِ الْقَتْلِ، كَمَا لَمْ يَنْفَعْ فِرْعَوْنَ إِيمَانُهُ عِنْدَ إِدْرَاكِ الْغَرَقِ "وَانْتَظِرْ" النُّصْرَةَ عَلَيْهِمْ وَهَلَاكَهُمْ ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾[1] الْغَلَبَةَ عَلَيْكُمْ وَهَلَاكَكُمْ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾[2].

وَقَرَأَ ابْنُ السَّمَيْقَعِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: مُنْتَظَرُونَ، بِفَتْحِ الظَّاءِ. وَمَعْنَاهُ: وَانْتَظِرْ هَلَاكَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِأَنْ يُنْتَظَرَ هَلَاكُهُمْ، يَعْنِي أَنَّهُمْ هَالِكُونَ لَا مَحَالَةَ. أَوْ وَانْتَظِرْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَهُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ الَمَ تَنْزِيلَ وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ".

وَقَالَ: "مَنْ قَرَأَ الَمَ تَنْزِيلَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ".

---

[1] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية .

[2] سورة التَّوْبَةَ، الآية 52.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

سورة الأحزاب

مَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ آلِ عِمْرَانَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1]

عَنْ زِرٍّ قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: كَمْ تَعُدُّونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟

قُلْتُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً. قَالَ: فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، إِنْ كَانَتْ لَتَعْدِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ أَوْ أَطُولَ.

وَلَقَدْ قَرَأْنَا مِنْهَا آيَةَ الرَّجْمِ: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا، فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

أَرَادَ أُبَيٌّ –رَضِيَ الله عَنْهُ– أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مَا نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا مَا يُحْكَى: أَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ كَانَتْ فِي صَحِيفَةٍ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهُا–، فَأَكَلَتْهَا الدَّاجِنُ فَمِنْ تَأْلِيفَاتِ الْمَلَاحِدَةِ وَالرَّوَافِضِ.

---

[1] سورة التَّحْرِيم، الآية 1.

جَعَلَ نِدَاءَهُ بِالنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[2]، وَتَرَكَ نِدَاءَهُ بِاسْمِهِ، كَمَا قَالَ: يَا آدَمُ. يَا مُوسَى، يَا عِيسَى، يَا دَاوُدُ: كَرَامَةً لَهُ وَتَشْرِيفًا، وَرَبْنًا بِمَحَلِّهِ وَتَنْوِيهًا بِفَضْلِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنْ لَمْ يُوقِعِ اسْمَهُ فِي النِّدَاءِ فَقَدْ أَوْقَعَهُ فِي الْإِخْبَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا﴾[3] مُحَمَّدٌ ﴿إِلا رَسُولٌ﴾[4] مُحَمَّدٌ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾[5].

قُلْتُ: ذَاكَ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَتَلْقِينٌ لَهُمْ أَنْ يُسَمُّوهُ بِذَلِكَ وَيَدْعُوَهُ بِهِ، فَلَا تَفَاوُتَ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالْإِخْبَارِ.

أَلَا تَرَى إِلَى مَا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ التَّعْلِيمُ وَالتَّلْقِينُ مِنَ الْأَخْبَارِ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِنَحْوِ مَا ذَكَرَهُ فِي النِّدَاءِ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[6]، وَ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ﴾[7]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[8]، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[9]، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[10]، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[11]، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾[12].

اتَّقِ اللَّهَ: وَاظِبْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى، وَاثْبُتْ عَلَيْهِ، وَازْدَدْ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّقْوَى بَابٌ لَا يَبْلُغُ آخِرَهُ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سورة آلِ عِمْرَانَ، الآية 14.
5 سورة الْفَتْحِ، الآية 29.
6 سورة التَّوْبَةِ، الآية 128.
7 سورة الْفُرْقَانِ، الآية 30.
8 سورة الْأَحْزَابِ، الآية 21.
9 سورة التَّوْبَةِ، الآية 62.
10 سورة الْأَحْزَابِ، الآية 6.
11 سورة الْأَحْزَابِ، الآية 56.
12 سورة الْمَائِدَةِ، الآية 81.

﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[1]: لَا تُسَاعِدْهُمْ عَلَى شَيْءٍ. وَلَا تَقْبَلْ لَهُمْ رَأْيًا وَلَا مَشُورَةً، وَجَانِبْهُمْ وَاحْتَرِسْ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْمُضَارَّةَ وَالْمُضَادَّةَ.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يُحِبُّ إِسْلَامَ الْيَهُودِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ، وَقَدْ بَايَعَهُ أُنَاسٌ مِنْهُمْ عَلَى النِّفَاقِ، فَكَانَ يُلِينُ لَهُمْ جَانِبَهُ وَيُكْرِمُ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ.

وَإِذَا أَتَى مِنْهُمْ قَبِيحٌ تَجَاوَزَ عَنْهُ، وَكَانَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ. فَنَزَلَتْ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفيانَ بْنَ حَرْبٍ وَعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ وَأَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيَّ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمُوَادَعَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ. وَقَامَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَمُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ارْفُضْ ذِكْرَ آلِهَتِنَا وَقُلْ إِنَّهَا تَشْفَعُ وَتَنْفَعُ وَنَدَعْكَ وَرَبَّكَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِمْ، فَنَزَلَتْ أَيِ: اتَّقِ اللَّهَ فِي نَقْضِ الْعَهْدِ وَنَبْذِ الْمُوَادَعَةِ، وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِيمَا طَلَبُوا إِلَيْكَ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ وَيُعْطُوهُ شَطْرَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ يُزَوِّجَهُ شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بِنْتَهُ، وَخَوَّفَهُ مُنَافِقُو الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ.

فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾[2] بِالصَّوَابِ مِنَ الْخَطَأِ، وَالْمَصْلَحَةِ مِنَ الْمَفْسَدَةِ.

﴿حَكِيمًا﴾: لَا يَفْعَلُ شَيْئًا وَلَا يَأْمُرُ بِهِ إِلَّا بِدَاعِي الْحِكْمَةِ.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[3] فِي تَرْكِ طَاعَةِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾[4] الَّذِي يُوحِي إِلَيْكَ خَبِيرٌ ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[5]، فَمُوحٍ إِلَيْكَ مَا يُصْلِحُ بِهِ أَعْمَالَكُمْ، فَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى الِاسْتِمَاعِ مِنَ الْكَفَرَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقُرِئَ: (يَعْمَلُونَ) بِالْيَاءِ، أَيْ: بِمَا يَعْمَلُ الْمُنَافِقُونَ مِنْ كَيْدِهِمْ لَكُمْ وَمَكْرِهِمْ بِكُمْ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1]: وَأَسْنَدَ أَمْرَكَ إِلَيْهِ وَكَلَهُ إِلَى تَدْبِيرِهِ.

﴿وَكِيلًا﴾[2] حَافِظًا مَوْكُولًا إِلَيْهِ كُلُّ أَمْرٍ.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[3]

مَا جَمَعَ اللَّهُ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفٍ، وَلَا زَوْجِيَّةً وَأُمُومَةً فِي امْرَأَةٍ، وَلَا بُنُوَّةً وَدَعْوَةً فِي رَجُلٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَمَا لَمْ يَرَ فِي حِكْمَتِهِ أَنْ يَجْعَلَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبَيْنِ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِأَحَدِهِمَا مِثْلَ مَا يَفْعَلُ بِالْآخَرِ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ، فَأَحَدُهُمَا فَضْلَةٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهَا، وَإِمَّا أَنْ يَفْعَلَ بِهَذَا غَيْرَ مَا يَفْعَلُ بِذَاكَ.

فَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى اتِّصَافِ الْجُمْلَةِ بِكَوْنِهِ مُرِيدًا كَارِهًا، عَالِمًا ظَانًّا، مُوقِنًا شَاكًّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَرَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ أُمًّا لِرَجُلٍ زَوْجًا لَهُ، لِأَنَّ الْأُمَّ مَخْدُومَةٌ مَخْفُوضٌ لَهَا جَنَاحَ الذُّلِّ، وَالزَّوْجَةَ مُسْتَخْدَمَةٌ مُتَصَرَّفٌ فيها بِالِاسْتِفْرَاشِ وَغَيْرِهِ كَالْمَمْلُوكَةِ، وَهُمَا حَالَتَانِ مُتَنَافِيَتَانِ، وَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ دَعِيًّا لِرَجُلٍ وَابْنًا لَهُ، لِأَنَّ الْبُنُوَّةَ أَصَالَةٌ فِي النَّسَبِ وَعَرَاقَةٌ فيهِ.

وَالدَّعْوَةُ: إِلْصَاقٌ عَارِضٌ بِالتَّسْمِيَةِ لَا غَيْرَ، وَلَا يَجْتَمِعُ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَنْ يَكُونَ أَصِيلًا غَيْرَ أَصِيلٍ.

وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ فِي زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ سُبِيَ صَغِيرًا، وَكَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَتَغَاوَرُونَ وَيَتَسَابَوْنَ، فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ، فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهَبَتْهُ لَهُ، وَطَلَبَهُ أَبُوهُ وَعَمُّهُ، فَخُيِّرَ فَاخْتَارَ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَعْتَقَهُ. وَكَانُوا يَقُولُونَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَوْلَهُ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[1].

وَقِيلَ: كَانَ أَبُو مَعْمَرٍ رَجُلًا مِنْ أَحْفَظِ الْعَرَبِ وَأَرْوَاهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: ذُو الْقَلْبَيْنِ. وَقِيلَ: هُوَ جَمِيلُ بْنُ أَسَدٍ الْفِهْرِيُّ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ لِي قَلْبَيْنِ، أَفْهَمُ بِأَحَدِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا يَفْهَمُ مُحَمَّدٌ، فَرُوِيَ أَنَّهُ انْهَزَمَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَرَّ بِأَبِي سُفيانَ، وَهُوَ مُعَلِّقٌ إِحْدَى نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ وَالْأُخْرَى فِي رِجْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ النَّاسُ؟ فَقَالَ: هُمْ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَهَارِبٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا بَالُ إِحْدَى نَعْلَيْكَ فِي رِجْلِكَ وَالْأُخْرَى فِي يَدِكَ؟ فَقَالَ: مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي رِجْلَيَّ، فَأَكْذَبَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَقَوْلَهُمْ، وَضَرَبَهُ مَثَلًا فِي الظِّهَارِ وَالتَّنَبِّي.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ: لِمُحَمَّدٍ قَلْبَانِ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ. وَقِيلَ: سَهَا فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَهُ قَلْبَانِ: قَلْبٌ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَلْبٌ مَعَكُمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: نَزَلَتْ فِي أَنَّ الْوَاحِدَ يَقُولُ: نَفْسٌ تَأْمُرُنِي وَنَفْسٌ تَنْهَانِي . وَالتَّنْكِيرُ فِي رَجُلٍ، وَإِدْخَالُ مِنَ الِاسْتِغْرَاقِيَّةِ عَلَى قَلْبَيْنِ تَأْكِيدَانِ لِمَا قَصَدَ مِنَ الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا جَعَلَ اللَّهُ لِأُمَّةِ الرِّجَالِ وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَلْبَيْنِ الْبَتَّةَ فِي جَوْفِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذِكْرِ الْجَوْفِ؟ قُلْتُ: الْفَائِدَةُ فِيهِ كَالْفَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

وَذَلِكَ مَا يَحْصُلُ لِلسَّامِعِ مِنْ زِيَادَةِ التَّصَوُّرِ التَّجَلِّي لِلْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ بِهِ صَوَّرَ لِنَفْسِهِ جَوْفًا يَشْتَمِلُ عَلَى قَلْبَيْنِ، فَكَانَ أَسْرَعَ إِلَى الْإِنْكَارِ.

وَقُرِئَ: (الِّيءِ)، بِيَاءٍ وَهَمْزَةٍ مَكْسُورَتَيْنِ.

وَ(اللَّائِي)، بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ.

وَتُظَاهِرُونَ: مِنْ ظَاهَرَ. وَتُظَاهِرُونَ. مِنْ أُظَاهِرُ، بِمَعْنَى تُظَاهِرُ. وَتَظْهَرُونَ: مِنْ أَظْهَرَ، بِمَعْنَى تَظْهَرُ. وَتَظْهَرُونَ: مِنْ ظَهَرَ، بِمَعْنَى ظَاهَرَ كَعَقَدَ بِمَعْنَى عَاقَدَ. وَتَظْهَرُونَ: مِنْ ظَهَرَ، بِلَفْظِ فَعَلَ مِنَ الظُّهُورِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية 40.

[2] سُورَةُ الْحَجِّ، الآية 46.

وَمَعْنَى ظَاهَرَ مِنَ امْرَأَتِهِ: قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. وَنَحْوَهُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ اللَّفْظِ: لَبَّى الْمُحْرِمُ، إِذَا قَالَ لَبَّيْكَ. وَأَفَّفَ الرَّجُلُ: إِذَا قَالَ: أُفٍّ وَأَخَوَاتٌ لَهُنَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ تَعْدِيَتِهِ وَأَخَوَاتِهِ بِمِنْ؟

قُلْتُ: كَانَ الظِّهَارُ طَلَاقًا عِنْدَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانُوا يَتَجَنَّبُونَ الْمَرْأَةَ الْمُظَاهَرَ مِنْهَا كَمَا يَتَجَنَّبُونَ الْمُطَلَّقَةَ، فَكَانَ قَوْلُهُمْ: تَظَاهَرَ مِنْهَا تَبَاعَدَ مِنْهَا بِجِهَةِ الظِّهَارِ، وَتَظَهَّرَ مِنْهَا: تَحَرَّزَ مِنْهَا. وَظَاهَرَ مِنْهَا: حَاذَرَ مِنْهَا، وَظَهَرَ مِنْهَا: وَحَشَ مِنْهَا. وَظَهَرَ مِنْهَا: خَلَصَ مِنْهَا. وَنَظِيرُهُ: آلَى مِنَ امْرَأَتِهِ، لَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى التَّبَاعُدِ مِنْهَا عُدِّيَ بِمِنْ، وَإِلَّا فَآلَى فِي أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى: حَلَفَ وَأَقْسَمَ، لَيْسَ هَذَا بِحُكْمِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي؟

قُلْتُ: أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ كَبَطْنِ أُمِّي، فَكَنَّوْا عَنِ الْبَطْنِ بِالظَّهْرِ، لِئَلَّا يَذْكُرُوا الْبَطْنَ الَّذِي ذِكْرُهُ يُقَارِبُ ذِكْرَ الْفَرْجِ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا الْكِنَايَةَ عَنِ الْبَطْنِ بِالظَّهْرِ، لِأَنَّهُ عَمُودُ الْبَطْنِ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: يَجِيءُ بِهِ أَحَدُهُمْ عَلَى عَمُودِ بَطْنِهِ: أَرَادَ عَلَى ظَهْرِهِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ إِتْيَانَ الْمَرْأَةِ وَظَهْرُهَا إِلَى السَّمَاءِ كَانَ مُحَرَّمًا عِنْدَهُمْ مَحْظُورًا، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: إِذَا أُتِيَتِ الْمَرْأَةُ وَوَجْهُهَا إِلَى الْأَرْضِ جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَلِقَصْدِ الْمُطْلَقِ مِنْهُمْ إِلَى التَّغْلِيظِ فِي تَحْرِيمِ امْرَأَتِهِ عَلَيْهِ، شَبَّهَهَا بِالظَّهْرِ، ثُمَّ لَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ حَتَّى جَعَلَهُ ظَهْرَ أُمِّهِ فَلَمْ يَتْرُكْ.

فَإِنْ قُلْتَ: الدَّعِيُّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى وَلَدًا فَمَا لَهُ جُمِعَ عَلَى أَفْعِلَاءَ، وَبَابُهُ: مَا كَانَ مِنْهُ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، كَتَقِيٍّ وَأَتْقِيَاءَ، وَشَقِيٍّ وَأَشْقِيَاءَ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي نَحْوِ رَمَى وَسَمَى.

قُلْتُ: إِنَّ شُذُوذَهُ عَنِ الْقِيَاسِ كَشُذُوذِ قُتَلَاءَ وَأُسَرَاءَ، وَالطَّرِيقُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ اللَّفْظِيُّ "ذَلِكُمْ" النَّسَبُ هُوَ ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾[1]، هَذَا ابْنِي لَا غَيْرَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوَاطِئَهُ اعْتِقَادٌ لِصِحَّتِهِ وَكَوْنِهِ حَقًّا.

وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يَقُولُ إِلَّا مَا هُوَ حَقٌّ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَلَا يَهْدِي إِلَّا سَبِيلَ الْحَقِّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

ثُمَّ قَالَ مَا هُوَ الْحَقُّ وَهَدَى إِلَى مَا هُوَ سَبِيلُ الْحَقِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾[1]؛ وَبَيَّنَ أَنَّ دُعَاءَهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَدْخَلُ الْأَمْرَيْنِ فِي الْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، وَفِي فَصْلِ هَذِهِ الْجُمَلِ وَوَصْلِهَا، مِنَ الْحُسْنِ وَالْفَصَاحَةِ مَا لَا يُعْنَى عَلَى عَالِمٍ بِطُرُقِ النَّظْمِ.

وَقَرَأَ قَتَادَةُ: (وَهُوَ الَّذِي يَهْدِي السَّبِيلَ).

وَقِيلَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَعْجَبَهُ جَلَدُ الرَّجُلِ وَظُرْفُهُ: ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَ لَهُ مِثْلَ نَصِيبِ الذَّكَرِ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا﴾[2] لَهُمْ آبَاءً تَنْسِبُونَهُمْ إِلَيْهِمْ "فَ " هُمْ (إِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ) وَأَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الدِّينِ فَقُولُوا: هَذَا أَخِي وَهَذَا مَوْلَايَ، وَيَا أَخِي، وَيَا مَوْلَايَ: يُرِيدُ الْأُخُوَّةَ فِي الدِّينِ وَالْوِلَايَةَ فِيهِ ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾[3] فِي مَحَلِّ الْجَرِّ عَطْفًا عَلَى مَا أَخْطَأْتُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرْتَفِعًا عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ فِيهِ الْجُنَاحُ.

وَالْمَعْنَى: لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمُوهُ مِنْ ذَلِكَ مُخْطِئِينَ جَاهِلِينَ قَبْلَ وُرُودِ النَّهْيِ، وَلَكِنَّ الْإِثْمَ فِيمَا تَعَمَّدْتُمُوهُ بَعْدَ النَّهْيِ. أَوْ لَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ إِذَا قُلْتُمْ لِوَلَدِ غَيْرِكُمْ يَا بُنَيَّ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَأِ وَسَبْقِ اللِّسَانِ، وَلَكِنْ إِذَا قُلْتُمُوهُ مُتَعَمِّدِينَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الْعَفْوُ عَنِ الْخَطَأِ دُونَ الْعَمْدِ عَلَى طَرِيقِ الْعُمُومِ، كَقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْخَطَأَ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْعَمْدَ"، وَقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ". ثُمَّ تَنَاوَلَ لِعُمُومِهِ خَطَأَ التَّبَنِّي وَعَمْدَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا وُجِدَ التَّبَنِّي فَمَا حُكْمُهُ؟

قُلْتُ: إِذَا كَانَ الْمُتَبَنَّى مَجْهُولَ النَّسَبِ وَأَصْغَرَ سِنًّا مِنَ الْمُتَبَنِّي ثَبَتَ نَسَبُهُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا لَهُ عُتِقَ مَعَ ثُبُوتِ النَّسَبِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُولَدُ مِثْلُهُ لِمِثْلِهِ لَمْ يَثْبُتِ النَّسَبُ، وَلَكِنَّهُ يُعْتَقُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–، وَعِنْدَ صَاحِبَيْهِ لَا يُعْتَقُ.

وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ النَّسَبِ، فَلَا يَثْبُتُ نَسَبُهُ بِالتَّبَنِّي، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا عُتِقَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1] لِعَفْوِهِ عَنِ الْخَطَأِ وَعَنِ الْعَمْدِ إِذَا تَابَ الْعَامِدُ.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[2]

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[3] في كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[4]، وَلِهَذَا أَطْلَقَ وَلَمْ يُقَيِّدْ، فيجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَحُكْمُهُ أَنْفَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ حُكْمِهَا، وَحَقُّهُ آثَرَ لَدَيْهِمْ مِنْ حُقُوقِهَا، وَشَفَقَتُهُمْ عَلَيْهِ أَقْدَمَ مِنْ شَفَقَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبَذِّلُوهَا دُونَهُ وَيَجْعَلُوهَا فِدَاءَهُ إِذَا أَعْضَلَ خَطْبٌ، وَوِقَاءَهُ إِذَا لَقَحَتْ حَرْبٌ، وَأَنْ لَا يَتَّبِعُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ وَلَا مَا تَصْرِفُهُمْ عَنْهُ، وَيَتَّبِعُوا كُلَّ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ، لِأَنَّ كُلَّ مَا دَعَا إِلَيْهِ فَهُوَ إِرْشَادٌ لَهُمْ إِلَى نَيْلِ النَّجَاةِ وَالظَّفَرِ بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ وَمَا صَرَفَهُمْ عَنْهُ، فَأَخَذَ بِحُجْزِهِمْ لِئَلَّا يَتَهَافَتُوا فيمَا يَرْمِي بِهِمْ إِلَى الشَّقَاوَةِ وَعَذَابِ النَّارِ. أَوْ هُوَ أَوْلَى بِهِمْ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَرْأَفُ بِهِمْ وَأَعْطَفُ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[5].

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا أَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[6]، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ هَلَكَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَإِنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ".

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كُلُّ نَبِيٍّ فَهُوَ أَبُو أُمَّتِهِ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً، لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبُوهُمْ فِي الدِّينِ ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1] تَشْبِيهٌ لَهُنَّ بِالْأُمَّهَاتِ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ، وَهُوَ وُجُوبُ تَعْظِيمِهِنَّ وَاحْتِرَامِهِنَّ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[2]، وَهُنَّ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْنَبِيَّاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: لَسْنَا أُمَّهَاتِ النِّسَاءِ، تَعْنِي: أَنَّهُنَّ إِنَّمَا كُنَّ أُمَّهَاتِ الرِّجَالِ، لِكَوْنِهِنَّ مُحَرَّمَاتٍ عَلَيْهِمْ كَتَحْرِيمِ أُمَّهَاتِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا التَّحْرِيمَ لَمْ يَتَعَدَّ إِلَى بَنَاتِهِنَّ، وَكَذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَهُنَّ سَائِرُ أَحْكَامِ الْأُمَّهَاتِ.

كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يَتَوَارَثُونَ بِالْوِلَايَةِ فِي الدِّينِ وَبِالْهِجْرَةِ لَا بِالْقَرَابَةِ، كَمَا كَانَتْ تَتَأَلَّفُ قُلُوبُ قَوْمٍ بِإِسْهَامٍ لَهُمْ فِي الصَّدَقَاتِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ لَمَّا دَجَا الْإِسْلَامُ وَعَزَّ أَهْلُهُ، وَجُعِلَ التَّوَارُثُ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[3] فِي اللَّوْحِ. أَوْ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ وَهُوَ هَذِهِ الْآيَةُ. أَوْ فِي آيَةِ الْمَوَارِيثِ. أَوْ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ كَقَوْلِهِ: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾[4] يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِأُولِي الْأَرْحَامِ، أَيِ: الْأَقْرِبَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِأَنْ يَرِثَ بَعْضًا مِنَ الْأَجَانِبِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، أَيْ: أُولُو الْأَرْحَامِ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ أَوْلَى بِالْمِيرَاثِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّ الْوِلَايَةِ فِي الدِّينِ، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ بِحَقِّ الْهِجْرَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مِمَّ اسْتَثْنَى ﴿أَنْ تَفْعَلُوا﴾[5]؟

قُلْتُ: مِنْ أَعَمَّ الْعَامِّ فِي مَعْنَى النَّفْعِ وَالْإِحْسَانِ، كَمَا تَقُولُ: الْقَرِيبُ أَوْلَى مِنَ الْأَجْنَبِيِّ إِلَّا فِي الْوَصِيَّةِ، تُرِيدُ: أَنَّهُ أَحَقُّ مِنْهُ فِي كُلِّ نَفْعٍ مِنْ مِيرَاثِهِ وَهِبَةٍ وَهَدِيَّةٍ وَصَدَقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِلَّا فِي الْوَصِيَّةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية 53.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَالْمُرَادُ بِفِعْلِ الْمَعْرُوفِ: التَّوْصِيَةُ، لِأَنَّهُ لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ وَعَدَّى تَفْعَلُوا بِإِلَى، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: تَسُدُّوا وَتَزِلُّوا وَالْمُرَادُ بِالْأَوْلِيَاءِ: الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهَاجِرُونَ لِلْوِلَايَةِ فِي الدِّينِ.

"ذَلِكَ": إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي الْآيَتَيْنِ جَمِيعًا.

وَتَفْسِيرُ الْكِتَابِ: مَا مَرَّ آنِفًا، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، كَالْخَاتِمَةِ لِمَا ذُكِرَ مِنَ الْأَرْحَامِ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

"وَ" اذْكُرْ حِينَ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾[2] جَمِيعًا "مِيثَاقَهُمْ " بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالدُّعَاءِ إِلَى الدِّينِ الْقَيِّمِ "وَمِنْكَ" خُصُوصًا ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾[3].

وَإِنَّمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ "لِيَسْأَلَ" اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ تَوَاقُفِ الْأَشْهَادِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا عَهْدَهُمْ وَوَفُّوا بِهِ، مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟، قَالُوا: بَلَى ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾[4] عَهْدِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ، فيشْهَدُ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِأَنَّهُمْ صَدَقُوا عَهْدَهُمْ وَشَهَادَتَهُمْ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ.

أَوْ لِيَسْأَلَ الْمُصَدِّقِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَصْدِيقِهِمْ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ لِلصَّادِقِ: صَدَقْتَ، كَانَ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ.

أَوْ لِيَسْأَلَ الْأَنْبِيَاءَ: مَا الَّذِي أَجَابَتْهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ؟

وَتَأْوِيلُ مَسْأَلَةِ الرُّسُلِ: تَبْكِيتُ الْكَافِرِينَ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى نُوحٍ فَمَنْ بَعْدَهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 116.

قُلْتُ: هَذَا الْعَطْفُ لِبَيَانِ فَضِيلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ مَشَاهِيرُهُمْ وَذَرَارِيهِمْ، فَلَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَفْضَلَ هَؤُلَاءِ الْمُفَضَّلِينَ: قُدِّمَ عَلَيْهِمْ لِبَيَانِ أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُدِّمَ مَنْ قَدَّمَهُ زَمَانُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ قُدِّمَ عَلَيْهِ نُوحٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فِي الْآيَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، ثُمَّ قُدِّمَ عَلَى غَيْرِهِ.

قُلْتُ: مَوْرِدُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَرِيقَةٍ خِلَافَ طَرِيقَةِ تِلْكَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– إِنَّمَا أَوْرَدَهَا لِوَصْفِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَصَالَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: شَرَعَ لَكُمُ الدِّينَ الْأَصِيلَ الَّذِي بُعِثَ عَلَيْهِ نُوحٌ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَبُعِثَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَهْدِ الْحَدِيثِ، وَبُعِثَ عَلَيْهِ مَنْ تَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَشَاهِيرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَاذَا أَرَادَ بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ؟

قُلْتُ: أَرَادَ بِهِ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ بِعَيْنِهِ. مَعْنَاهُ: وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ بِذَلِكَ الْمِيثَاقَ مِيثَاقًا غَلِيظًا. وَالْغِلَظُ: اسْتِعَارَةٌ مِنْ وَصْفِ الْأَجْرَامِ، وَالْمُرَادُ: عِظَمُ الْمِيثَاقِ وَجَلَالَةُ شَأْنِهِ فِي بَابِهِ. وَقِيلَ الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ: الْيَمِينُ بِاللَّهِ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا حَمَلُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ قَوْلَهُ: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾[2]؟

قُلْتُ: عَلَى أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَكَّدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الدَّعْوَةَ إِلَى دِينِهِ لِأَجْلِ إِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا. أَوْ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾[3]، كَأَنَّهُ قَالَ: فَأَثَابَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

---

[1] سورة الشُّورَى، الآية 13.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا﴾[1]

﴿اذْكُرُوا﴾[2] مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَهُوَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ، ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾[3]، وَهُمُ الْأَحْزَابُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحَ الصَّبَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ".

﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[4] وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَكَانُوا أَلْفًا، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَبًا بَارِدَةً فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ، فَأَخْصَرَتْهُمْ وَسَفَتِ التُّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَقَلَعَتِ الْأَوْتَادَ، وَقَطَعَتِ الْأَطْنَابَ، وَأَطْفَأَتِ النِّيرَانَ، وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ، وَمَاجَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَقُذِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ، وَكَبَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي جَوَانِبِ عَسْكَرِهِمْ.

فَقَالَ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ بَدَأَكُمْ بِالسِّحْرِ، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَانْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، وَحِينَ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِإِقْبَالِهِمْ ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ، أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ –رَضِيَ الله عَنْهُ–، ثُمَّ خَرَجَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَضَرَبَ مُعَسْكَرَهُ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَأَمَرَ بِالذَّرَارِي وَالنِّسَاءِ، فَرُفِعُوا فِي الْآطَامِ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، حَتَّى قَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ لَا نَقْدِرُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَحَابِيشِ وَبَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ وَقَائِدُهُمْ أَبُو سُفيانَ، وَخَرَجَ غَطَفَانُ فِي أَلْفٍ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَقَائِدُهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيلِ فِي هَوَازِنَ، وَضَامَّتْهُمُ الْيَهُودُ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَمَضَى عَلَى الْفَرِيقَيْنِ قَرِيبٌ مِنْ شَهْرٍ لَا حَرْبَ بَيْنَهُمْ إِلَّا التَّرَامِي بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ النَّصْرَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

"تَعْمَلُونَ" قُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾[1]: مِنْ أَعْلَى الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ: بَنُو غَطَفَانَ.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[2]: مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ: قُرَيْشٌ تَحَزَّبُوا وَقَالُوا: سَنَكُونُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا.

﴿زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾[3]: مَالَتْ عَنْ سَنَنِهَا وَمُسْتَوَى نَظَرِهَا حَيْرَةً وَشُخُوصًا. وَقِيلَ: عَدَلَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَّا إِلَى عَدُوِّهَا لِشِدَّةِ الرَّوْعِ.

الْحَنْجَرَةُ: رَأْسُ الْغَلْصَمَةِ وَهِيَ مُنْتَهَى الْحُلْقُومِ. وَالْحُلْقُومُ: مَدْخَلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، قَالُوا: إِذَا انْتَفَخَتِ الرِّئَةُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ أَوِ الْغَضَبِ أَوِ الْغَمِّ الشَّدِيدِ، رَبَتْ وَارْتَفَعَ الْقَلْبُ بِارْتِفَاعِهَا إِلَى رَأْسِ الْحَنْجَرَةِ، وَمِنْ ثَمَّةَ قِيلَ لِلْجَبَانِ: انْتَفَخَ سَحْرُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَثَلًا فِي اضْطِرَابِ الْقُلُوبِ وَوَجِيبِهَا، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْحَنَاجِرَ حَقِيقَةً.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[4] خِطَابٌ لِلَّذِينِ آمَنُوا. وَمِنْهُمُ الثَّبْتُ الْقُلُوبِ وَالْأَقْدَامِ، وَالضِّعَافُ الْقُلُوبِ: الَّذِينَ هُمْ عَلَى حَرْفٍ، وَالْمُنَافِقُونَ: الَّذِينَ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَظَنَّ الْأَوَّلُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُ يَبْتَلِيهِمْ وَيَفْتِنُهُمْ فَخَافُوا الزَّلَلَ وَضَعْفَ الِاحْتِمَالِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَظَنُّوا بِاللَّهِ مَا حَكَى عَنْهُمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: ظَنُّوا ظُنُونًا مُخْتَلِفَةً: ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يُسْتَأْصَلُونَ، وَظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ يُبْتَلَوْنَ .

وَقُرِئَ: (الظُّنُونَ) بِغَيْرِ أَلِفٍ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَبِزِيَادَةِ أَلِفٍ فِي الْوَقْفِ زَادُوهَا فِي الْفَاصِلَةِ، كَمَا زَادَهَا فِي الْقَافِيَةِ مَنْ قَالَ:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَـــــــا
وَكَذَلِكَ الرَّسُولَا وَالسَّبِيـــــــلَا

وَقُرِئَ: بِزِيَادَتِهَا فِي الْوَصْلِ أَيْضًا، إِجْرَاءً لَهُ مَجْرَى الْوَقْفِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهُنَّ كُلُّهُنَّ فِي الْإِمَامِ بِأَلِفٍ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو إِشْمَامُ زَايِ زُلْزِلُوا.

وَقُرِئَ: (زَلْزَالًا) بِالْفَتْحِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْخَوْفَ أَزْعَجَهُمْ أَشَدَّ الْإِزْعَاجِ.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاّ فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاّ يَسِيرًا﴾[1]

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾[2] قِيلَ: قَائِلُهُ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ حِينَ رَأَى الْأَحْزَابَ قَالَ: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ فَتْحَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَبَرَّزَ فَرَقًا، مَا هَذَا إِلَّا وَعْدُ غُرُورٍ.

﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾[3] هُمْ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ وَمَنْ وَافَقَهُ عَلَى رَأْيِهِ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ. وَيَثْرِبُ: اسْمُ الْمَدِينَةِ.

وَقِيلَ: أَرْضٌ وَقَعَتِ الْمَدِينَةُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا.

﴿لا مُقَامَ لَكُمْ﴾[4] قُرِئَ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، أَيْ لَا قَرَارَ لَكُمْ هَا هُنَا، وَلَا مَكَانَ تُقِيمُونَ فِيهِ أَوْ تَقُومُونَ.

"فَارْجِعُوا" إِلَى الْمَدِينَةِ: أَمَرُوهُمْ بِالْهَرَبِ مِنْ عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقِيلَ: قَالُوا لَهُمْ: ارْجِعُوا كُفَّارًا وَأَسْلِمُوا مُحَمَّدًا، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ يَثْرِبُلَكُمْ بِمَكَانٍ.

قُرِئَ: (عَوْرَةٌ) بِسُكُونِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا، فَالْعَوْرَةُ: الْخَلَلُ، وَالْعَوْرَةُ: ذَاتُ الْعَوْرَةِ، يُقَالُ: عَوِرَ الْمَكَانُ عَوَرًا إِذَا بَدَا فِيهِ خَلَلٌ يُخَافُ مِنْهُ الْعَدُوُّ وَالسَّارِقُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "عَوْرَةٌ" تَخْفِيفُ عَوْرَةٍ، اعْتَذَرُوا أَنَّ بُيُوتَهُمْ مُعْتَرِضَةٌ لِلْعَدُوِّ مُمْكِنَةٌ لِلسُّرَّاقِ، لِأَنَّهَا غَيْرُ مُحَرَّزَةٍ وَلَا مُحَصَّنَةٍ، فَاسْتَأْذَنُوهُ وَلِيُحَصِّنُوهَا ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ الْفِرَارَ.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1]: الْمَدِينَةُ.

وَقِيلَ: بُيُوتُهُمْ، مِنْ قَوْلِكَ: دَخَلْتُ عَلَى فَنَهِ دَارِهِ.

﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾[2]: مِنْ جَوَانِبِهَا، يُرِيدُ: وَلَوْ دَخَلَتْ هَذِهِ الْعَسَاكِرُ الْمُتَحَزِّبَةُ الَّتِي يَفِرُّونَ خَوْفًا مِنْهَا مَدِينَتَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ مِنْ نَوَاحِيهَا كُلِّهَا. وَانْثَالَتْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ نَاهِبِينَ سَابِينَ، ثُمَّ سُئِلُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَزَعِ وَتِلْكَ الرَّجْفَةِ.

"الْفِتْنَةَ"، أَيِ الرِّدَّةَ وَالرَّجْعَةَ إِلَى الْكُفْرِ وَمُقَاتِلَةِ الْمُسْلِمِينَ، لَأَتَوْهَا: لَجَاؤُوهَا وَفَعَلُوهَا. وَقُرِئَ: (لَآتَوْهَا) لَأَعْطَوْهَا.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾[3]: وَمَا أَلْبَثُوا إِعْطَاءَهَا.

﴿إِلاَّ يَسِيرًا﴾[4]: رَيْثَمَا يَكُونُ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ. أَوْ وَمَا لَبِثُوا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ ارْتِدَادِهِمْ إِلَّا يَسِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ يُهْلِكُهُمْ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَتَعَلَّلُونَ بِإِعْوَارِ بُيُوتِهِمْ، وَيَتَمَحَّلُونَ لِيَفِرُّوا عَنْ نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ مُصَافَّةِ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ مَلَؤُوهُمْ هَوْلًا وَرُعْبًا، وَهَؤُلَاءِ الْأَحْزَابُ كَمَا هُمْ لَوْ كَبَسُوا عَلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَعُرِضَ عَلَيْهِمُ الْكُفْرُ.

وَقِيلَ لَهُمْ: كُونُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لَسَارَعُوا إِلَيْهِ وَمَا تَعَلَّلُوا بِشَيْءٍ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَقْتِهِمُ الْإِسْلَامَ. وَشِدَّةِ بُغْضِهِمْ لِأَهْلِهِ، وَحُبِّهِمُ الْكُفْرَ وَتَهَالُكِهِمْ عَلَى حِزْبِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا
قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ
وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ.

وَقِيلَ: هُمْ قَوْمٌ غَابُوا عَنْ بَدْرٍ فَقَالُوا: لَئِنْ أَشْهَدَنَا اللَّهُ قِتَالًا لَنُقَاتِلَنَّ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَاهَدُوا يَوْمَ أُحُدٍ أَنْ لَا يَفِرُّوا بَعْدَمَا نَزَلَ فِيهِمْ مَا نَزَلَ "مَسْؤُولًا" مَطْلُوبًا مُقْتَضَى حَتَّى يُوفى بِهِ.

﴿لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ﴾[2] مِمَّا لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْ نُزُولِهِ بِكُمْ مِنْ حَتْفِ أَنْفٍ أَوْ قَتْلٍ. وَإِنْ نَفَعَكُمُ الْفِرَارُ مَثَلًا فَمُتِّعْتُمْ بِالتَّأْخِيرِ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّمْتِيعُ إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا.

وَعَنْ بَعْضِ الْمَرْوَانِيَّةِ: أَنَّهُ مَرَّ بِحَائِطٍ مَائِلٍ فَأَسْرَعَ، فَتُلِيَتْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ: ذَلِكَ الْقَلِيلَ نَطْلُبُ.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جُعِلَتِ الرَّحْمَةُ قَرِينَةَ السُّوءِ فِي الْعِصْمَةِ وَلَا عِصْمَةَ إِلَّا مِنَ السُّوءِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَوْ يُصِيبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً، فَاخْتُصِرَ الْكَلَامُ وَأُجْرِيَ مَجْرَى قَوْلِهِ :

مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَـــــــــــا

أَوْ حُمِلَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ لِمَا فِي الْعِصْمَةِ مِنْ مَعْنَى الْمَنْعِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾[2] الْمُثَبِّطِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، كَانُوا يَقُولُونَ ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾[3] مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَنْصَارِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا أُكْلَةُ رَأْسٍ، وَلَوْ كَانُوا لَحْمًا لَالْتَهَمَهُمْ أَبُو سُفيانَ وَأَصْحَابُهُ، فَخَلُّوهُمْ وَ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[4]، أَيْ: قَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَيْنَا.

وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ: يُسَوُّونَ فيهِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَأَمَّا تَمِيمٌ فيقُولُونَ: هَلُمَّ يَا رَجُلُ، وَهَلُمُّوا يَا رِجَالُ، وَهُوَ صَوْتٌ سُمِّيَ بِهِ فِعْلٌ مُتَعَدٍّ مِثْلَ احْضُرْ وَقَرِّبْ.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]: إِلَّا إِتْيَانًا قَلِيلًا يَخْرُجُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يُوهِمُونَهُمْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ، وَلَا نَرَاهُمْ يُبَارِزُونَ وَيُقَاتِلُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[6].

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾[7] في وَقْتِ الْحَرْبِ أَضِنَّاءُ بِكُمْ، يَتَرَفْرَفُونَ عَلَيْكُمْ كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ بِالذَّابِّ عَنْهُ الْمُنَاضِلِ دُونَهُ عِنْدَ الْخَوْفِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[1] فِي تِلْكَ الْحَالَةِ كَمَا يُنْظَرُ الْمَغْشِيُّ عَلَيْهِ مِنْ مُعَالَجَةِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَذَرًا أَوْ خَوَرًا وَلِوَاذًا بِكَ.

فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ وَحِيزَتِ الْغَنَائِمُ وَوَقَعَتِ الْقِسْمَةُ: نَقَلُوا ذَلِكَ الشُّحَّ وَتِلْكَ الضِّنَةَ وَالزَّفْرَفَةَ عَلَيْكُمْ إِلَى الْخَيْرِ –وَهُوَ الْمَالُ وَالْغَنِيمَةُ– وَنَسُوا تِلْكَ الْحَالَةَ الْأُولَى، وَاجْتَرَؤُوا عَلَيْكُمْ وَضَرَبُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَقَالُوا: وَفِّرُوا قِسْمَتَنَا، فَإِنَّا قَدْ شَاهَدْنَاكُمْ وَقَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَبِمَكَانِنَا غَلَبْتُمْ عَدُوَّكُمْ وَبِنَا نُصِرْتُمْ عَلَيْهِ.

وَنَصَبَ "أَشِحَّةً" عَلَى الْحَالِ أَوْ عَلَى الذَّمِّ.

وَقُرِئَ: (أَشِحَّةٌ) بِالرَّفْعِ.

وَ(صَلَقُوكُمْ) بِالصَّادِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَثْبُتُ لِلْمُنَافِقِ عَمَلٌ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْهِ الْإِحْبَاطُ؟

قُلْتُ: لَا وَلَكِنَّهُ تَعَلُّمٌ لِمَنْ عَسَى يَظُنُّ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ إِيمَانٌ وَإِنْ لَمْ يُوَطِّئْهُ الْقَلْبَ، وَأَنَّ مَا يَعْمَلُ الْمُنَافِقُ مِنَ الْأَعْمَالِ يُجْدِي عَلَيْهِ، فَبَيَّنَ أَنَّ إِيمَانَهُ لَيْسَ بِإِيمَانٍ، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يُوجَدُ مِنْهُ بَاطِلٌ.

وَفِيهِ بَعْثٌ عَلَى إِتْقَانِ الْمُكَلَّفِ أَسَاسَ أَمْرِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ، وَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الْكَثِيرَةَ مِنْ غَيْرِ تَصْحِيحِ الْمَعْرِفَةِ كَالْبِنَاءِ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ، وَأَنَّهَا مِمَّا يَذْهَبُ عِنْدَ اللَّهِ هَبَاءً مَنْثُورًا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[2]، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَقِيقَةٌ بِالْإِحْبَاطِ، تَدْعُو إِلَيْهِ الدَّوَاعِي، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ صَارِفٌ.

﴿يَحْسَبُونَ﴾[3] أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْهَزِمُوا، وَقَدِ انْهَزَمُوا، فَانْصَرَفُوا عَنِ الْخَنْدَقِ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعِينَ لِمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَدَخَلَهُمْ مِنَ الْجُبْنِ الْمُفْرِطِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ﴾[1] كَرَّةً ثَانِيَةً، تَمَنَّوْا لِخَوْفِهِمْ مِمَّا مُنُوا بِهِ هَذِهِ الْكَرَّةَ أَنَّهُمْ خَارِجُونَ إِلَى الْبَدْوِ حَاصِلُونَ بَيْنَ الْأَعْرَابِ "يَسْأَلُونَ" كُلَّ قَادِمٍ مِنْهُمْ مِنْ جَانِبِ الْمَدِينَةِ عَنْ أَخْبَارِكُمْ وَعَمَّا جَرَى عَلَيْكُمْ.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾[2]: وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ قِتَالٌ وَلَمْ يُقَاتِلُوا إِلَّا تَعِلَّةَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ. وَقُرِئَ: (بُدًّى) عَلَى فُعَّلَ جَمْعُ بَادٍ كَغَازٍ وَغُزًّى.

وَفِي رِوَايَةِ صَاحِبِ *الْإِقْلِيدِ*: (بَدِيَ)، بِوَزْنِ عَدِيَ.

وَيُسَاءَلُونَ، أَيْ: يَتَسَاءَلُونَ.

وَمَعْنَاهُ: يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا سَمِعْتَ؟ مَاذَا بَلَغَكَ؟ أَوْ يَتَسَاءَلُونَ الْأَعْرَابَ كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ الْهِلَالَ وَتَرَاءَيْنَاهُ: كَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُوَاسُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَنْفُسِكُمْ، فَتُوَازِرُوهُ وَتَثْبُتُوا مَعَهُ، كَمَا آسَاكُمْ بِنَفْسِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ وَالثَّبَاتِ فِي مَرْحَى الْحَرْبِ، حَتَّى كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ وَجْهُهُ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[4].

وَقُرِئَ: (أُسُوَةٌ) بِالضَّمِّ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، أَيْ: قُدْوَةٌ، وَهُوَ الْمُوتَسَى، أَيِ: الْمُقْتَدَى بِهِ، كَمَا تَقُولُ: فِي الْبَيْضَةِ عِشْرُونَ مَنَا حَدِيدٌ، أَيْ: هِيَ فِي نَفْسِهَا هَذَا الْمَبْلَغُ مِنَ الْحَدِيدِ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ فِيهِ خَصْلَةً مِنْ حَقِّهَا أَنْ يُؤْتَسَى بِهَا وَتُتَّبَعَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَهِيَ الْمُوَاسَاةُ بِنَفْسِهِ ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾[1] بَدَلٌ مِنْ لَكُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾[2] يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، مِنْ قَوْلِكَ رَجَوْتُ زَيْدًا وَفَضْلَهُ، أَيْ: فَضْلَ زَيْدٍ. أَوْ يَرْجُو أَيَّامَ اللَّهِ. وَالْيَوْمَ الْآخِرَ خُصُوصًا. وَالرَّجَاءُ بِمَعْنَى الْأَمَلِ أَوِ الْخَوْفِ.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]: وَقَرَنَ الرِّجَالَ بِالطَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ وَالتَّوَقُّرِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْمُؤْتَسِي بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَنْ كَانَ كَذَلِكَ.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[4]

وَعَدَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُزَلْزَلُوا حَتَّى يَسْتَغِيثُوهُ، وَيَسْتَنْصِرُوهُ في قَوْلِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[5].

فَلَمَّا جَاءَ الْأَحْزَابُ وَشَخَصَ بِهِمْ وَاضْطَرَبُوا وَرُعِبُوا الرُّعْبَ الشَّدِيدَ ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[6]، وَأَيْقَنُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّصْرِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَصْحَابِهِ: "إِنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ تَسْعًا أَوْ عَشْرًا"، أَيْ: في آخِرِ تِسْعِ لَيَالٍ أَوْ عَشْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا لِلْمِيعَادِ قَالُوا ذَلِكَ.

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْخَطْبِ أَوِ الْبَلَاءِ "إِيمَانًا" بِاللَّهِ وَبِمَوَاعِيدِهِ "وَتَسْلِيمًا" لِقَضَايَاهُ وَأَقْدَارِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة الْأَعْرَافِ، الآية 75.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 214.

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مِنَ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مِنَ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[1]

نَذَرَ رِجَالٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ إِذَا لَقُوا حَرْبًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثَبَتُوا وَقَاتَلُوا حَتَّى يُسْتَشْهَدُوا، وَهُمْ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيلٍ، وَحَمْزَةُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَغَيْرُهُمْ، –رَضِيَ الله عَنْهُمْ–:﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[2]، يَعْنِي حَمْزَةَ وَمُصْعَبًا، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[3]، يَعْنِي عُثْمَانَ وَطَلْحَةَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ".

فَإِنْ قُلْتَ: مَا قَضَاءُ النَّحْبِ؟

قُلْتُ: وَقَعَ عِبَارَةً عَنِ الْمَوْتِ، لِأَنَّ كُلَّ حَيٍّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُوتَ. فَكَأَنَّهُ نَذْرٌ لَازِمٌ فِي رَقَبَتِهِ، فَإِذَا مَاتَ فَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ، أَيْ: نَذْرَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[4] يَحْتَمِلُ مَوْتَهُ شَهِيدًا، وَيَحْتَمِلُ وَفَاءَهُ بِنَذْرِهِ مِنَ الثَّبَاتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِهِ: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[5]؟

قُلْتُ: يُقَالُ: صَدَقَنِي أَخُوكَ وَكَذَبَنِي، إِذَا قَالَ لَكَ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَأَمَّا الْمَثَلُ: صَدَقَنِي سِنُّ بَكْرِهِ، فَمَعْنَاهُ: صَدَقَنِي في سِنِّ بَكْرِهِ، بِطَرْحِ الْجَارِّ وَإِيصَالِ الْفِعْلِ، فَلَا يَخْلُو ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1]، إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ السِّنِّ في طَرْحِ الْجَارِّ، وَإِمَّا أَنْ يُجْعَلَ الْمُعَاهَدُ عَلَيْهِ مَصْدُوقًا عَلَى الْمَجَازِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا لِلْمُعَاهَدِ عَلَيْهِ: سَنَفِي بِكَ، وَهُمْ وَافُونِ بِهِ فَقَدْ صَدَقُوهُ، وَلَوْ كَانُوا نَاكِثِينَ لَكَذَبُوهُ وَلَكَانَ مَكْذُوبًا، ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾[2] الْعَهْدَ وَلَا غَيَّرُوهُ، لَا الْمُسْتَشْهَدُ وَلَا مَنْ يَنْتَظِرُ الشَّهَادَةَ.

وَلَقَدْ ثَبَتَ طَلْحَةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى أُصِيبَتْ يَدُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَوْجَبَ طَلْحَةُ".

وَفِي تَعْرِيضٍ بِمَنْ بَدَّلُوا مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَمَرَضِ الْقُلُوبِ: جُعِلَ الْمُنَافِقُونَ، كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا عَاقِبَةَ السُّوءِ وَأَرَادُوهَا بِتَبْدِيلِهِمْ، كَمَا قَصَدَ الصَّادِقُونَ عَاقِبَةَ الصِّدْقِ بِوَفَائِهِمْ، لِأَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مَسُوقٌ إِلَى عَاقِبَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَكَأَنَّهُمَا اسْتَوَيَا في طَلَبِهِمَا وَالسَّعْيِ لِتَحْصِيلِهِمَا.

وَيُعَذِّبُهُمْ ﴿إِنْ شَاءَ﴾[3] إِذَا لَمْ يَتُوبُوا، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[4] إِذَا تَابُوا.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5] الْأَحْزَابَ "بِغَيْظِهِمْ" مَغِيظِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[6].]الْمُؤْمِنُونَ: 20

﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾[7] غَيْرَ ظَافِرِينَ، وَهُمَا حَالَانِ بِتَدَاخُلٍ أَوْ تَعَاقُبٍ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ بَيَانًا لِلْأُولَى أَوِ اسْتِئْنَافًا.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[8] بِالرِّيحِ وَالْمَلَائِكَةِ، ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ﴾[9] ظَاهَرُوا الْأَحْزَابَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
9 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾[1]: مِنْ حُصُونِهِمْ، وَالصَّيْصَيَةُ: مَا تُحُصِّنَ بِهِ؛ يُقَالُ لِقَرْنِ الثَّوْرِ وَالظَّبْيِ: صِيصِيَةٌ، وَلِشَوْكَةِ الدِّيكِ، وَهِيَ مِخْلَبُهُ الَّتِي فِي سَاقِهِ، لِأَنَّهُ يَتَحَصَّنُ بِهَا.

رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي انْهَزَمَ فِيهَا الْأَحْزَابُ وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا سِلَاحَهُمْ عَلَى فَرَسِهِ الْحَيْزُومِ وَالْغُبَارُ عَلَى وَجْهِ الْفَرَسِ وَعَلَى السَّرْجِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: مِنْ مُتَابَعَةِ قُرَيْشٍ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَمْسَحُ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهِ الْفَرَسِ وَعَنِ السَّرْجِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَضِعِ السِّلَاحَ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ الْمَسِيَّرَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَأَنَا عَامِدٌ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ دَاقُّهُمْ دَقَّ الْبَيْضِ عَلَى الصَّفَا، وَإِنَّهُمْ لَكُمْ طُعْمَةٌ فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ: أَنَّ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّي الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَمَا صَلَّى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْعَصْرَ إِلَّا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَهَدَهُمُ الْحِصَارُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: تَنْزِلُونَ عَلَى حُكْمِي؟ فَأَبَوْا، فَقَالَ: عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؟ فَرَضُوا بِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ: حَكَمْتُ فِيهِمْ أَنْ تُقَتَّلَ مُقَاتِلُهُمْ وَتُسْبَى ذَرَارِيهِمْ وَنِسَاؤُهُمْ، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: "لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ" ثُمَّ اسْتَنْزَلَهُمْ وَخَنْدَقَ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ خَنْدَقًا، وَقَدَّمَهُمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَهُمْ مِنْ ثَمَانِمِائَةٍ إِلَى تِسْعِمِائَةٍ وَقِيلَ: كَانُوا سِتَّمِائَةِ مُقَاتِلٍ وَسَبْعَمِائَةِ أَسِيرٍ.

وَقُرِئَ: (الرُّعْبَ) بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا، وَتَأْسُرُونَ بِضَمِّ السِّينِ.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ عَقَارَهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: "إِنَّكُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ"، وَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَمَا تُخَمِّسُ كَمَا خَمَّسْتَ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: لَا، إِنَّمَا جُعِلَتْ هَذِهِ لِي طُعْمَةً دُونَ النَّاسِ، قَالَ: رَضِينَا بِمَا صَنَعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾[2] عَنِ الْحَسَنِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: فَارِسَ وَالرُّومَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهَا مَكَّةُ.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: هِيَ خَيْبَرُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: كُلُّ أَرْضٍ تُفْتَحُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّهُ أَرَادَ نِسَاءَهُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

أَرَدْنَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا مِنْ ثِيَابٍ وَزِيَادَةِ نَفَقَةٍ وَتَغَايَرْنَ، فَغَمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَزَلَتْ. فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–، وَكَانَتْ أَحَبَّهُنَّ إِلَيْهِ، فَخَيَّرَهَا وَقَرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ، فَاخْتَارَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، فَرُئِيَ الْفَرَحُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثُمَّ اخْتَارَتْ جَمِيعُهُنَّ اخْتِيَارَهَا، فَشَكَرَ لَهُنَّ اللَّهُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾[2].

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ: "إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ فَقَالَتْ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ".

وَرُوِيَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَا تُخْبِرْ أَزْوَاجَكَ أَنِّي اخْتَرْتُكَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا بَعَثَنِي اللَّهُ مُبَلِّغًا وَلَمْ يَبْعَثْنِي مُتَعَنِّتًا".

فَإِنْ قُلْتَ: مَا حُكْمُ التَّخْيِيرِ فِي الطَّلَاقِ؟

قُلْتُ: إِذَا قَالَ لَهَا اخْتَارِي، فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ نَفْسِي. أَوْ قَالَ: اخْتَارِي نَفْسَكِ، فَقَالَتْ: اخْتَرْتُ، لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ النَّفْسِ فِي قَوْلِ الْمُخَيَّرِ أَوِ الْمُخَيَّرَةِ، وَقَعَتْ طَلْقَةً بَائِنَةً عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَاعْتَبَرُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ الْقِيَامِ أَوِ الِاشْتِغَالِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْإِعْرَاضِ، وَاعْتَبَرَ الشَّافِعِيُّ اخْتِيَارَهَا عَلَى الْفَوْرِ، وَهِيَ عِنْدَهُ طَلْقَةً رَجْعِيَّةً، وَهُوَ مَذْهَبُ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ.

وَعَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ الزُّهْرِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–: أَمْرُهَا بِيَدِهَا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَفِي غَيْرِهِ، وَإِذَا اخْتَارَتْ زَوْجَهَا لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ بِإِجْمَاعِ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ.

---

[1] سورة الْأَحْزَابِ، الآية 52.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهَا–: خَيَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَاخْتَرْنَاهُ وَلَمْ يَعُدُّهُ طَلَاقًا.

وَرُوِيَ: أَفَكَانَ طَلَاقًا.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: إِذَا اخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَوَاحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ، وَإِنِ اخْتَارَتْ نَفْسَهَا فَوَاحِدَةٌ بَائِنَةٌ.

وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهَا إِنِ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ. أَصْلُ تَعَالَ: أَنْ يَقُولَهُ مَنْ في الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ، لِمَنْ في الْمَكَانِ الْمُسْتَوْطِئِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَوَتْ في اسْتِعْمَالِهِ الْأَمْكِنَةُ.

وَمَعْنَى تَعَالَيْنَ: أَقْبِلْنَ بِإِرَادَتِكُنَّ وَاخْتِيَارِكُنَّ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ، وَلَمْ يُرِدْ نُهُوضَهُنَّ إِلَيْهِ بِأَنْفُسِهِنَّ. كَمَا تَقُولُ: أَقْبَلَ يُخَاصِمُنِي، وَذَهَبَ يُكَلِّمُنِي، وَقَامَ يُهَدِّدُنِي.

"أُمَتِّعْكُنَّ": أُعْطِكُنَّ مُتْعَةَ الطَّلَاقِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْمُتْعَةُ في الطَّلَاقِ وَاجِبَةٌ أَمْ لَا؟

قُلْتُ: الْمُطَلَّقَةُ الَّتِي لَمْ يُدْخَلْ بِهَا وَلَمْ يُفْرَضْ لَهَا في الْعَقْدِ، مُتْعَتُهَا وَاجِبَةٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَأَمَّا سَائِرُ الْمُطَلَّقَاتِ فَمَتْعَتُهُنَّ مُسْتَحَبَّةٌ.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: مُتْعَتَانِ:

– إِحْدَاهُمَا: يَقْضِي بِهَا السُّلْطَانُ: مَنْ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ وَيَدْخُلَ بِهَا.

– وَالثَّانِيَةُ: حَقٌّ عَلَى الْمُتَّقِينَ مَنْ طَلَّقَ بَعْدَ مَا يَفْرِضُ وَيَدْخُلُ، وَخَاصَمَتِ امْرَأَةٌ إِلَى شُرَيْحٍ في الْمُتْعَةِ، فَقَالَ: مَتِّعْهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَلَمْ يُجْبِرْهُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: الْمُتْعَةُ حَقٌّ مَفْرُوضٌ.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ مُتْعَةٌ إِلَّا الْمُخْتَلِعَةَ وَالْمُلَاعِنَةَ، وَالْمُتْعَةُ: دِرْعٌ وَخِمَارٌ وَمِلْحَفَةٌ عَلَى حَسَبِ السَّعَةِ وَالإِقْتِدَارِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِصْفُ مَهْرِهَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، فيجِبُ لَهَا الْأَقَلُّ مِنْهُمَا، وَلَا تَنْقُصُ مِنْ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، لِأَنَّ أَقَلَّ الْمَهْرِ عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْ نِصْفِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ) بِالرَّفْعِ؟

قُلْتُ: وَجْهُهُ الِاسْتِئْنَافُ ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[1] مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ طَلَاقًا بِالسُّنَّةِ "مِنْكُنَّ" لِلْبَيَانِ لَا لِلتَّبْعِيضِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[1]

الْفَاحِشَةُ: السَّيِّئَةُ الْبَلِيغَةُ فِي الْقُبْحِ وَهِيَ الْكَبِيرَةُ. وَالْمُبَيِّنَةُ: الظَّاهِرَةُ فُحْشُهَا، وَالْمُرَادُ كُلُّ مَا اقْتَرَفْنَ مِنَ الْكَبَائِرِ.

وَقِيلَ: هِيَ عِصْيَانُهُنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَنُشُوزُهُنَّ، وَطَلَبُهُنَّ مِنْهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ أَوْ مَا يَضِيقُ بِهِ ذَرْعُهُ وَيَغْتَمُّ لِأَجْلِهِ.

وَقِيلَ: الزِّنَا، وَاللَّهُ عَاصِمٌ رَسُولَهُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، وَإِنَّمَا ضُوعِفَ عَذَابُهُنَّ، لِأَنَّ مَا قَبُحَ مِنْ سَائِرِ النِّسَاءِ كَانَ أَقْبَحَ مِنْهُنَّ وَأَقْبَحَ، لِأَنَّ زِيَادَةَ قُبْحِ الْمَعْصِيَةِ تَتْبَعُ زِيَادَةَ الْفَضْلِ وَالْمَرْتَبَةِ وَزِيَادَةَ النِّعْمَةِ عَلَى الْعَاصِي مِنَ الْمَعْصِيِّ.

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلُ فَضْلِ نِسَاءِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مِثْلُ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ، وَالْجَزَاءُ يَتْبَعُ الْفِعْلَ، وَكَوْنُ الْجَزَاءِ عِقَابًا يَتْبَعُ كَوْنَ الْفِعْلِ قَبِيحًا، فَمَتَى ازْدَادَ قُبْحًا. ازْدَادَ عِقَابُهُ شِدَّةً.

وَلِذَلِكَ كَانَ ذَمُّ الْعُقَلَاءِ لِلْعَاصِي الْعَالِمِ: أَشَدَّ مِنْهُ لِلْعَاصِي الْجَاهِلِ، لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْعَالِمِ أَقْبَحُ، وَلِذَلِكَ فَضُلَ حَدُّ الْأَحْرَارِ عَلَى حَدِّ الْعَبِيدِ، حَتَّى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَرَوْنَ الرَّجْمَ عَلَى الْكَافِرِ.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[2] إِيذَانٌ بِأَنَّ كَوْنَهُنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْهُنَّ شَيْئًا، وَكَيْفَ يُغْنِي عَنْهُنَّ، وَهُوَ سَبَبُ مُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ، فَكَانَ دَاعِيًا إِلَى تَشْدِيدِ الْأَمْرِ عَلَيْهِنَّ غَيْرَ صَارِفٍ عَنْهُ.

قُرِئَ: (يَأْتِ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ. مُبَيَّنَةٌ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا، مِنْ بَيَّنَ بِمَعْنَى تَبَيَّنَ.

يُضَاعَفُ، وَيُضْعَفُ: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ. وَيُضَاعَفُ، وَنُضْعَفُ: بِالْيَاءِ وَالنُّونِ.

وَقُرِئَ: (تَقْنُتُ)، وَ(تَعْمَلُ): بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَ(نُؤْتِهَا): بِالْيَاءِ وَالنُّونِ.

وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ.

وَإِنَّمَا ضُوعِفَ أَجْرُهُنَّ لِطَلَبِهِنَّ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطِيبِ الْمُعَاشَرَةِ وَالْقَنَاعَةِ، وَتَوَفُّرِهِنَّ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالتَّقْوَى.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[1]

أَحَدٌ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى وَحَدٍ، وَهُوَ الْوَاحِدُ، ثُمَّ وُضِعَ فِي النَّفْيِ الْعَامِّ مُسْتَوِيًا فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْوَاحِدُ وَمَا وَرَاءَهُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[2]: لَسْتُنَّ كَجَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ النِّسَاءِ، أَيْ: إِذَا تَقَصَّيْتَ أُمَّةَ النِّسَاءِ جَمَاعَةً جَمَاعَةً لَمْ تُوجَدْ مِنْهُنَّ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ تُسَاوِيكُنَّ فِي الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ، وَمِثْلُهُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾[3]، يُرِيدُ: بَيْنَ جَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ، تَسْوِيَةً بَيْنَ جَمِيعِهِمْ فِي أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾[4]: إِنْ أَرَدْتُنَّ التَّقْوَى، وَإِنْ كُنْتُنَّ مُتَّقِيَاتٍ.

﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾[5]: فَلَا تُجِبْنَ بِقَوْلِكُنَّ خَاضِعًا، أَيْ: لَيِّنًا خِنْثًا مِثْلَ كَلَامِ الْمُرِيبَاتِ وَالْمُومِسَاتِ.

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[6]، أَيْ: رِيبَةٌ وَفُجُورٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة النِّسَاءِ، الآية 152.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقُرِئَ بِالْجَزْمِ، عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ فِعْلِ النَّهْيِ، عَلَى أَنَّهُنَّ نُهِينَ عَنِ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ.
وَنَهَى الْمَرِيضَ الْقَلْبِ عَنِ الطَّمَعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَخْضَعْنَ فَلَا يَطْمَعُ.

وَعَنِ ابْنِ مُحَيْصِنٍ أَنَّهُ قَرَأَ بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَسَبِيلُهُ: ضَمُّ الْيَاءِ مَعَ كَسْرِهَا وَإِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى ضَمِيرِ الْقَوْلِ، أَيْ: فيطْمِعُ الْقَوْلُ الْمُرِيبَ.

﴿قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[1]: بَعِيدًا مِنْ طَمَعِ الْمُرِيبِ بِجِدٍّ وَخُشُونَةٍ مِنْ غَيْرِ تَخَنُّثٍ، أَوْ قَوْلًا حَسَنًا مَعَ كَوْنِهِ خَشِنًا.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]

"وَقِرْنَ" بِكَسْرِ الْقَافِ، مِنْ قَرَّ يَقِرُّ وَقَارًا. أَوْ مِنْ قَرَّ يُقِرُّ، حُذِفَتِ الْأُولَى مِنْ رَاءَيْ: أَقْرَرْنَ، وَنُقِلَتْ كَسْرَتُهَا إِلَى الْقَافِ، كَمَا تَقُولُ: ظِلْنَ، وَقَرْنَ: بِفَتْحِهَا.

وَأَصْلُهُ: أَقْرَرْنَ، فَحُذِفَتِ الرَّاءُ وَأُلْقِيَتْ فَتْحَتُهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، كَقَوْلِكَ: ظَلْنَ.

وَذَكَرَ أَبُو الْفَتْحِ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِ *التِّبْيَانِ*: وَجْهًا آخَرَ، قَالَ: قَارَ يَقَارُ: إِذَا اجْتَمَعَ.

وَمِنْهُ: الْقَارَّةُ، لِاجْتِمَاعِهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ عَضَلٍ وَالدَّيْشَعِ: اجْتَمِعُوا فَكُونُوا قَارَّةً؟

وَ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[3] هِيَ الْقَدِيمَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، وَهِيَ الزَّمَنُ الَّذِي وُلِدَ فيهِ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ الدِّرْعَ مِنَ اللُّؤْلُؤِ فَتَمَشِي وَسَطَ الطَّرِيقِ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى الرِّجَالِ.

وَقِيلَ: مَا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ. وَقِيلَ: بَيْنَ إِدْرِيسَ وَنُوحٍ.

وَقِيلَ: زَمَنُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَالْجَاهِلِيَّةُ الْأُخْرَى: مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ –عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى: جَاهِلِيَّةُ الْكُفْرِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ. وَالْجَاهِلِيَّةُ الْأُخْرَى: جَاهِلِيَّةُ الْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى: وَلَا تُحْدِثْنَ بِالتَّبَرُّجِ جَاهِلِيَّةً فِي الْإِسْلَامِ تَتَشَبَّهْنَ بِهَا بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْكُفْرِ.

وَيُعَضِّدُهُ مَا رُوِيَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "إِنَّ فِيكَ جَاهِلِيَّةً" قَالَ: جَاهِلِيَّةُ كُفْرٍ أَمْ إِسْلَامٍ؟ فَقَالَ: "بَلْ جَاهِلِيَّةُ كُفْرٍ".

أَمَرَهُنَّ أَمْرًا خَاصًّا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ عَامًّا فِي جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، لِأَنَّ هَاتَيْنِ الطَّاعَتَيْنِ الْبَدَنِيَّةَ وَالْمَالِيَّةَ هُمَا أَصْلُ سَائِرِ الطَّاعَاتِ: مَنِ اعْتَنَى بِهِمَا حَقَّ اعْتِنَائِهِ جَرَّتَاهُ إِلَى مَا وَرَاءَهُمَا.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُ إِنَّمَا نَهَاهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ وَوَعَظَهُنَّ، لِئَلَّا يُقَارِفَ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَآثِمَ، وَلِتَصُونُوا عَنْهَا بِالتَّقْوَى. وَاسْتَعَارَ لِلذُّنُوبِ: الرِّجْسَ.

وَالتَّقْوَى: الطُّهْرَ، لِأَنَّ عِرْضَ الْمُقْتَرِفِ لِلْمُقَبَّحَاتِ يَتَلَوَّثُ بِهَا وَيَتَدَنَّسُ، كَمَا يَتَلَوَّثُ بَدَنُهُ بِالْأَرْجَاسِ.

وَأَمَّا الْمُحَسَّنَاتُ، فَالْعِرْضُ مَعَهَا نَقِيٌّ مَصُونٌ كَالثَّوْبِ الطَّاهِرِ.

وَفِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ مَا يُنَفِّرُ أُولِي الْأَلْبَابِ عَمَّا كَرِهَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيمَا رَضِيَهُ لَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِهِ.

وَ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[1] نُصِبَ عَلَى النِّدَاءِ، أَوْ عَلَى الْمَدْحِ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[2]

ثُمَّ ذَكَّرَهُنَّ أَنَّ بُيُوتَهُنَّ مَهَابِطُ الْوَحْيِ، وَأَمَرَهُنَّ أَنْ لَا يَنْسَيْنَ مَا يُتْلَى فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ الْجَامِعِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ النُّبُوَّةِ، لِأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ بِنَظْمِهِ، وَهُوَ حِكْمَةٌ وَعُلُومٌ وَشَرَائِعُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[1]: حِينَ عَلِمَ مَا يَنْفَعُكُمْ وَيُصْلِحُكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَأَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ. أَوْ عَلِمَ مَنْ يَصْلُحُ لِنُبُوَّتِهِ مَنْ يَصْلُحُ، لِأَنْ يَكْرَهُوا أَهْلَ بَيْتِهِ. أَوْ حَيْثُ جُعِلَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ جَامِعًا بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]

يُرْوَى: أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرَ اللَّهُ الرِّجَالَ فِي الْقُرْآنِ بِخَيْرٍ، أَفَمَا فِينَا خَيْرٌ نُذْكَرُ بِهِ؟ إِنَّا نَخَافُ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنَّا طَاعَةٌ.

وَقِيلَ: السَّائِلَةُ أُمُّ سَلَمَةَ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا نَزَلَ، قَالَ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ: فَمَا نَزَلَ فِينَا شَيْءٌ؟ فَنَزَلَتْ.

وَالْمُسْلِمُ: الدَّاخِلُ فِي السِّلْمِ بَعْدَ الْحَرْبِ، الْمُنْقَادُ الَّذِي لَا يُعَانِدُ، أَوِ الْمُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ.

وَالْمُؤْمِنُ: الْمُصَدِّقُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَا يَجِبُ أَنْ يُصَدِّقَ بِهِ.

وَالْقَانِتُ: الْقَائِمُ بِالطَّاعَةِ الدَّائِمُ عَلَيْهَا.

وَالصَّادِقُ: الَّذِي يَصْدُقُ فِي نِيَّتِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ.

وَالصَّابِرُ: الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْمَعَاصِي.

وَالْخَاشِعُ: الْمُتَوَاضِعُ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ.

وَقِيلَ: الَّذِي إِذَا صَلَّى لَمْ يَعْرِفْ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ.

وَالْمُتَصَدِّقُ: الَّذِي يُزَكِّي مَالَهُ وَلَا يُخِلُّ بِالنَّوَافِلِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقِيلَ: مَنْ تَصَدَّقَ في أُسْبُوعٍ بِدِرْهَمٍ، فَهُوَ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ. وَمَنْ صَامَ الْبِيضَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، فَهُوَ مِنَ الصَّائِمِينَ.

وَالذَّاكِرُ لِلَّهِ كَثِيرًا: مَنْ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ أَوْ بِهِمَا. وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالِاشْتِغَالُ بِالْعِلْمِ مِنَ الذِّكْرِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا جَمِيعًا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا في الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ".

وَالْمَعْنَى: وَالْحَافِظَاتِهَا وَالذَّاكِرَاتِهِ، فَحُذِفَ، لِأَنَّ الظَّاهِرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْعَطْفَيْنِ، أَعْنِي عَطْفَ الْإِنَاثِ عَلَى الذُّكُورِ، وَعَطْفَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الزَّوْجَيْنِ؟

قُلْتُ: الْعَطْفُ الْأَوَّلُ، نَحْوَ قَوْلِهِ –تَعَالَى–:﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[1] في أَنَّهُمَا جِنْسَانِ مُخْتَلِفَانِ، إِذَا اشْتَرَكَا في حُكْمٍ، لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ تَوْسِيطِ الْعَاطِفِ بَيْنَهُمَا.

وَأَمَّا الْعَطْفُ الثَّانِي، فَمِنْ عِطْفِ الصِّفَةِ عَلَى الصِّفَةِ بِحَرْفِ الْجَمْعِ، فَكَأَنَّ مَعْنَاهُ: إِنَّ الْجَامِعِينَ وَالْجَامِعَاتِ لِهَذِهِ الطَّاعَاتِ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾[2].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾[3]

خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ بِنْتَ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى مَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَأَبَتْ وَأَبَى أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ، فَقَالَ: رَضِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْكَحَهَا إِيَّاهُ وَسَاقَ عَنْهُ إِلَيْهَا مَهْرَهَا سِتِّينَ دِرْهَمًا وَخِمَارًا وَمِلْحَفَةً وَدِرْعًا وَإِزَارًا وَخَمْسِينَ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ وَثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ.

---

[1] سورة التَّحْرِيمَ، الآية 55.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقِيلَ: هِيَ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيطٍ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ النِّسَاءِ، وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: "قَدْ قَبِلْتُ"، وَزَوَّجَهَا زَيْدًا. فَسَخِطَتْ هِيَ وَإِخْوَتُهَا وَقَالَا: إِنَّمَا أَرَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَزَوَّجَنَا عَبْدَهُ.

وَالْمَعْنَى: وَمَا صَحَّ لِرَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[1]، أَيْ رَسُولُ اللَّهِ أَوْ لِأَنَّ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ قَضَاءُ اللَّهِ.

"أَمْرًا" مِنَ الْأُمُورِ: أَنْ يَخْتَارُوا مِنْ أَمْرِهِمْ مَا شَاءُوا، بَلْ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا رَأْيَهُمْ تَبَعًا لِرَأْيِهِ، وَاخْتِيَارَهُمْ تِلْوًا لِاخْتِيَارِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَانَ مِنْ حَقِّ الضَّمِيرِ أَنْ يُوَحَّدَ كَمَا تَقُولُ: مَا جَاءَنِي مِنْ رَجُلٍ وَلَا امْرَأَةٍ، إِلَّا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ كَذَا.

قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُمَا وَقَعَا تَحْتَ النَّفْيِ، فَعَمَّا كُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَرَجَعَ الضَّمِيرُ عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى اللَّفْظِ.

وَقُرِئَ: (يَكُونُ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

وَ"الْخِيَرَةُ": مَا يُتَخَيَّرُ.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾[2]

﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾[3] بِالْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ أَجَلُّ النِّعَمِ، وَبِتَوْفِيقِكَ لِعِتْقِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[1] بِمَا وَفَّقَكَ اللَّهُ فيهِ، فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ في نِعْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ رَسُولِهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[2]، يَعْنِي: زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ –رَضِيَ الله عَنْهَا–، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبْصَرَهَا بَعْدَمَا أَنْكَحَهَا إِيَّاهُ، فَوَقَعَتْ في نَفْسِهِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ. وَذَلِكَ أَنَّ نَفْسَهُ كَانَتْ تَجْفُو عَنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ لَا تُرِيدُهَا، وَلَوْ أَرَادَتْهَا لَاخْتَطَبَهَا.

وَسَمِعَتْ زَيْنَبُ بِالتَّسْبِيحَةِ، فَذَكَرَتْهَا لِزَيْدٍ، فَفَطِنَ وَأَلْقَى اللَّهُ في نَفْسِهِ كَرَاهَةَ صُحْبَتِهَا وَالرَّغْبَةَ عَنْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُفَارِقَ صَاحِبَتِي، فَقَالَ: "مَا لَكَ أَرَابَكَ مِنْهَا شَيْءٌ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلَّا خَيْرًا، وَلَكِنَّهَا تَتَعَظَّمُ عَلَيَّ لِشَرَفِهَا وَتُؤْذِينِي، فَقَالَ لَهُ: "امْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، ثُمَّ طَلَّقَهَا بَعْدُ". فَلَمَّا اعْتَدَّتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَا أَجِدُ أَحَدًا أَوْثَقَ في نَفْسِي مِنْكَ، اخْطُبْ عَلَيَّ زَيْنَبَ".

قَالَ زَيْدٌ: فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَتَهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ في صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، حِينَ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ، أَبْشِرِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَخْطُبُكِ، فَفَرِحَتْ وَقَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّيَ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ: "زَوَّجْنَاكَهَا"، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَدَخَلَ بِهَا، وَمَا أَوْلَمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا ذَبَحَ شَاةً وَأَطْعَمَ النَّاسَ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حَتَّى امْتَدَّ النَّهَارُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾[3]؟

قُلْتُ: أَرَادَ: وَاتَّقِ اللَّهَ فَلَا تُطَلِّقْهَا، وَقَصَدَ نَهْيَ تَنْزِيهٍ لَا تَحْرِيمٍ، لِأَنَّ الْأَوْلَى أَنْ لَا يُطَلِّقَ.

وَقِيلَ: أَرَادَ: وَاتَّقِ اللَّهَ، فَلَا تَذُمَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكِبْرِ وَأَذَى الزَّوْجِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الَّذِي أَخْفى في نَفْسِهِ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: تَعَلُّقُ قَلْبِهِ بِهَا.

وَقِيلَ: مَوَدَّةُ مُفَارَقَةِ زَيْدٍ إِيَّاهَا.

وَقِيلَ: عِلْمُهُ بِأَنْ زَيْدًا سَيُطَلِّقُهَا وَسَيَنْكِحُهَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهَا–: لَوْ كَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– شَيْئًا مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ، لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَاذَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَهُ حِينَ قَالَ لَهُ زَيْدٌ: أُرِيدُ مُفَارَقَتَهَا، وَكَانَ مِنَ الْهُجْنَةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: افْعَلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ نِكَاحَهَا؟

قُلْتُ: كَأَنَّ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: أَنْ يَصْمُتَ عِنْدَ ذَلِكَ، أَوْ يَقُولَ لَهُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، حَتَّى لَا يُخَالِفَ سِرُّهُ فِي ذَلِكَ عَلَانِيَتَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَسَاوِيَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالتَّصَلُّبَ فِي الْأُمُورِ، وَالتَّجَاوُبَ فِي الْأَحْوَالِ، وَالِاسْتِمْرَارَ عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَتِبَّةٍ. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ إِرَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَاعْتِرَاضَ عُثْمَانَ بِشَفَاعَتِهِ لَهُ: أَنَّ عُمَرَ قَالَ لَهُ: لَقَدْ كَانَ عَيْنِي إِلَى عَيْنِكَ، هَلْ تُشِيرُ إِلَيَّ فَأَقْتُلَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُومِضُ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ وَاحِدٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عَاتَبَهُ اللَّهُ فِي سَتْرِ مَا اسْتَهْجَنَ التَّصْرِيحَ بِهِ وَلَا يَسْتَهْجِنُ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– التَّصْرِيحَ بِشَيْءٍ إِلَّا الشَّيْءَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَهْجَنٌ، وَقَالَةُ النَّاسِ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِمَا يُسْتَقْبَحُ فِي الْعُقُولِ وَالْعَادَاتِ؟ وَمَا لَهُ لَمْ يُعَاتِبْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِقَمْعِ الشَّهْوَةِ وَكَفِّ النَّفْسِ عَنْ أَنْ تُنَازِعَ إِلَى زَيْنَبَ وَتَتْبَعَهَا؟ وَلَمْ يَعْصِمْ نَبِيَّهُ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ تَعَلُّقِ الْهُجْنَةِ بِهِ وَمَا يُعَرِّضُهُ لِلْقَالَةِ؟

قُلْتُ: كَمْ مِنْ شَيْءٍ يَتَحَفَّظُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ وَيَسْتَحِي مِنَ اطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُبَاحٌ مُتَّسَعٌ، وَحَلَالٌ مُطْلَقٌ، لَا مَقَالَ فِيهِ وَلَا عَيْبَ عِنْدَ اللَّهِ. وَرُبَّمَا كَانَ الدُّخُولُ فِي ذَلِكَ الْمُبَاحِ سُلَّمًا إِلَى حُصُولِ وَاجِبَاتٍ يَعْظُمُ أَثَرُهَا فِي الدِّينِ وَيَجِلُّ ثَوَابُهَا، وَلَوْ لَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْهُ لَأَطْلَقَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِيهِ أَلْسِنَتَهُمْ إِلَّا مَنْ أُوتِيَ فَضْلًا وَعِلْمًا وَدِينًا وَنَظَرًا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ وَلُبُوبِهَا دُونَ قُشُورِهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا طَعِمُوا فِي بُيُوتِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، بَقُوا مُرْتَكِزِينَ فِي مَجَالِسِهِمْ لَا يَرْتَمُونَ مُسْتَأْنِسِينَ بِالْحَدِيثِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ- يُؤْذِيهِ قُعُودُهُمْ وَيُضَيِّقُ صَدْرَهُ حَدِيثُهُمْ، وَالْحَيَاءُ يَصُدُّهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِالِانْتِشَارِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[1].

وَلَوْ أَبْرَزَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكْنُونَ ضَمِيرِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْتَشِرُوا، لَشَقَّ عَلَيْهِمْ، وَلَكَانَ بَعْضُ الْمُقَالَةِ.

فَهَذَا مِنْ ذَاكَ الْقَبِيلِ، لِأَنَّ طُمُوحَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ إِلَى بَعْضِ مُشْتَهِيَاتِهِ مِنَ امْرَأَةٍ أَوْ غَيْرِهَا غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِالْقُبْحِ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي الشَّرْعِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِفِعْلِ الْإِنْسَانِ وَلَا وُجُودُهُ بِاخْتِيَارِهِ، وَتَنَاوُلُ الْمُبَاحِ بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ لَيْسَ بِقَبِيحٍ أَيْضًا، وَهُوَ خِطْبَةُ زَيْنَبَ وَنِكَاحُهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِنْزَالِ زَيْدٍ عَنْهَا، وَلَا طَلَبٍ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ مِنْ زِرِّ قَمِيصِهِ أَنْ يُوَاسِيَهُ بِمُفَارَقَتِهَا، مَعَ قُوَّةِ الْعِلْمِ بِأَنَّ نَفْسَ زَيْدٍ لَمْ تَكُنْ مِنَ التَّعَلُّقِ بِهَا فِي شَيْءٍ، بَلْ كَانَتْ تَجْفُو عَنْهَا، وَنَفْسُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا، وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَنْكَرًا عِنْدَهُمْ أَنْ يَنْزِلَ الرَّجُلُ عَنِ امْرَأَتِهِ لِصَدِيقِهِ، وَلَا مُسْتَهْجَنًا إِذَا نَزَلَ عَنْهَا أَنْ يَنْكِحَهَا الْآخَرُ.

فَإِنَّ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ اسْتَهَمَ الْأَنْصَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ نَزَلَ عَنْ إِحْدَاهُمَا وَأَنْكَحَهَا الْمُهَاجِرَ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مُبَاحًا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ الْقُبْحِ وَلَا مَفْسَدَةٌ وَلَا مَضَرَّةٌ بِزَيْدٍ وَلَا بِأَحَدٍ، بَلْ كَانَ مُسْتَجِرًّا مَصَالِحَ، نَاهِيكَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا أَنَّ بِنْتَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمِنَتِ الْأَيْمَةَ وَالضَّيْعَةَ وَنَالَتِ الشَّرَفَ وَعَادَتْ أُمًّا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى مَا ذَكَرَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[2].

فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يُعَاتِبَ اللَّهُ رَسُولَهُ حِينَ كَتَمَهُ وَبَالَغَ فِي كَتْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾[3]، وَأَنْ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا اتِّحَادَ الضَّمِيرِ وَالظَّاهِرِ، وَالثَّبَاتَ فِي مُوَاطِنِ الْحَقِّ، حَتَّى يَقْتَدِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يَسْتَحْيُوا مِنَ الْمُكَافَحَةِ بِالْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ مُرًّا.

فَإِنْ قُلْتَ: الْوَاوُ فِي ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ، وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ﴾[4] مَا هِيَ؟

---

[1] سورة الْأَحْزَابِ، الآية 53.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: وَاوُ الْحَالِ، أَيْ: تَقُولُ لِزَيْدٍ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ مُخْفِيًا فِي نَفْسِكَ إِرَادَةَ أَنْ لَا يُمْسِكَهَا، وَتُخْفِي خَاشِيًا قَالَةَ النَّاسِ وَتَخْشَى النَّاسَ، حَقِيقًا فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَخْشَى اللَّهَ، أَوْ وَاوُ الْعَطْفِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذْ تَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِكَ: أَمْسِكْ، وَإِخْفَاءِ خِلَافِهِ، وَخَشْيَةِ النَّاسِ. وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، حَتَّى لَا تَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. إِذَا بَلَغَ الْبَالِغُ حَاجَتَهُ مِنْ شَيْءٍ لَهُ فِيهِ هِمَّةٌ قِيلَ: قَضَى مِنْهُ وَطَرَهُ.

وَالْمَعْنَى: فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لِزَيْدٍ فِيها حَاجَةٌ، وَتَقَاصَرَتْ عَنْهَا هِمَّتُهُ، وَطَابَتْ عَنْهَا نَفْسُهُ، وَطَلَّقَهَا، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا، "زَوَّجْنَاكَهَا".

وَقِرَاءَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ: (زَوَّجْتُكَهَا).

وَقِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: أَلَيْسَ تَقْرَأُ عَلَيَّ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا قَرَأْتُهَا عَلَى أَبِي إِلَّا كَذَلِكَ، وَلَا قَرَأَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَبِيهِ إِلَّا كَذَلِكَ، وَلَا قَرَأَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَّا كَذَلِكَ.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾[1] جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ، يَعْنِي: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَكُونَهُ، مَفْعُولًا مَكُونًا لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ مَثَلٌ لِمَا أَرَادَ كَوْنَهُ مِنْ تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زَيْنَبَ، وَمِنْ نَفْيِ الْحَرَجِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِجْرَاءِ أَزْوَاجِ الْمُتَبَنَّيْنَ مَجْرَى أَزْوَاجِ الْبَنِينَ فِي تَحْرِيمِهِنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ انْقِطَاعِ عَلَائِقِ الزَّوَاجِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِأَمْرِ اللَّهِ: الْمَكُونُ، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِكُنَّ، وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2]

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾[3] قَسَمَ لَهُ وَأَوْجَبَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَضَ لِفُلَانٍ فِي الدِّيوَانِ كَذَا. وَمِنْهُ فُرُوضُ الْعَسْكَرِ لِرِزْقَاتِهِمْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾[1]: اسْمٌ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ -كَقَوْلِهِمْ: تَرِبًا، وَجَنْدَلًا-: مُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، كَأَنَّهُ قِيلَ: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً فِي الْأَنْبِيَاءِ الْمَاضِينَ، وَهُوَ أَنْ لَا يُحَرِّجَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى مَا أَبَاحَ لَهُمْ وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَهُمُ الْمَهَائِرُ وَالسَّرَارِي، وَكَانَتْ لِدَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِائَةُ امْرَأَةٍ وَثَلَاثُمِائَةِ سَرِيَّةٍ، وَلِسُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ثَلَثُمِائَةٍ وَسَبْعُمِائَةٍ.

﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾[3]: فِي الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾[4]: يَحْتَمِلُ وُجُوهَ الْإِعْرَابِ: الْجَرُّ، عَلَى الْوَصْفِ لِلْأَنْبِيَاءِ. وَالرَّفْعُ وَالنَّصْبُ، عَلَى الْمَدْحِ عَلَى هُمُ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ، أَوْ عَلَى أَعْنِي الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ.

وَقُرِئَ: (رِسَالَةَ اللَّهِ)، قَدَرًا مَقْدُورًا: قَضَاءً مَقْضِيًّا، وَحُكْمًا، وَوُصِفَ الْأَنْبِيَاءُ بِأَنَّهُمْ لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ: تَعْرِيضٌ بَعْدَ التَّصْرِيحِ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[5].

"حَسِيبًا": كَافِيا لِلْمَخَاوِفِ، أَوْ مُحَاسِبًا عَلَى الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ، فَيجِبُ أَنْ يَكُونَ حَقُّ الْخَشْيَةِ مِنْ مِثْلِهِ.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[6]

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[7]، أَيْ لَمْ يَكُنْ أَبَا رَجُلٍ مِنْكُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، حَتَّى يَثْبُتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا يَثْبُتُ بَيْنَ الْأَبِ وَوَلَدِهِ مِنْ حُرْمَةِ الصِّهْرِ وَالنِّكَاحِ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

"وَلَكِنْ" كَانَ ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾[1] وَكُلُّ رَسُولٍ أَبُو أُمَّتِهِ فيمَا يَرْجِعُ إِلَى وُجُوبِ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ عَلَيْهِمْ. وَوُجُوبِ الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ لَهُمْ عَلَيْهِ، لَا في سَائِرِ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَزَيْدٌ وَاحِدٌ مِنْ رِجَالِكُمُ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَوْلَادِهِ حَقِيقَةً، فَكَانَ حُكْمُهُ حُكْمَكُمْ، وَالِادِّعَاءُ وَالتَّبَنِّي مِنْ بَابِ الِاخْتِصَاصِ وَالتَّقْرِيبِ لَا غَيْرَ.

"وَ" كَانَ ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[2]، يَعْنِي أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ بَالِغٌ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، لَكَانَ نَبِيًّا، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا يُرْوَى أَنَّهُ قَالَ في إِبْرَاهِيمَ حِينَ تُوُفِّي: لَوْ عَاشَ لَكَانَ نَبِيًّا.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا كَانَ أَبًا لِلطَّاهِرِ وَالطَّيِّبِ وَالْقَاسِمِ وَإِبْرَاهِيمَ؟

قُلْتُ: قَدْ أُخْرِجُوا مِنْ حُكْمِ النَّفي بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[3] مِنْ وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرِّجَالِ.

– وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ أَضَافَ الرِّجَالَ إِلَيْهِمْ وَهَؤُلَاءِ رِجَالُهُ لَا رِجَالُهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا كَانَ أَبًا لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ؟

قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ، وَهُمَا أَيْضًا مِنْ رِجَالِهِ لَا مِنْ رِجَالِهِمْ، وَشَيْءٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ وَلَدَهُ خَاصَّةً، لَا وَلَدَ وَلَدِهِ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[4].

أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ قَدْ عَاشَا إِلَى أَنْ نَيَّفَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَرْبَعِينَ وَالْآخَرُ عَلَى الْخَمْسِينَ؟

قُرِئَ: (لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ) بِالنَّصْبِ، عَطْفًا عَلَى ﴿أَبَا أَحَدٍ﴾[5] بِالرَّفْعِ عَلَى: وَلَكِنْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ.

وَ(لَكِنَّ) بِالتَّشْدِيدِ عَلَى حَذْفِ الْخَبَرِ، تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَنْ عَرَفْتُمُوهُ، أَيْ: لَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ.

وَخَاتَمُ بِفَتْحِ التَّاءِ بِمَعْنَى الطَّابَعِ، وَبِكَسْرِهَا بِمَعْنَى الطَّابِعِ وَفَاعِلِ الْخَتْمِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَتُقَوِّيهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَلَكِنَّ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَانَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَعِيسَى يَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؟

قُلْتُ: مَعْنَى كَوْنِهِ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ لَا يُنَبَّأُ أَحَدٌ بَعْدَهُ، وَعِيسَى مِمَّنْ نُبِّئَ قَبْلَهُ، وَحِينَ يَنْزِلُ يَنْزِلُ عَامِلًا عَلَى شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ، مُصَلِّيًا إِلَى قِبْلَتِهِ، كَأَنَّهُ بَعْضُ أُمَّتِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1]

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾[2] أَثْنَوْا عَلَيْهِ بِضُرُوبِ الثَّنَاءِ مِنَ التَّقْدِيسِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَكْثَرُوا ذَلِكَ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾[3]، أَيْ فِي كَافَّةِ الْأَوْقَاتِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَى فَمِ كُلِّ مُسْلِمٍ".

وَرُوِيَ: "فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ".

وَعَنْ قَتَادَةَ: قُولُوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: هَذِهِ كَلِمَاتٌ يَقُولُهَا الطَّاهِرُ وَالْجُنُبُ.

وَالْفِعْلَانِ، أَعْنِي اذْكُرُوا وَسَبِّحُوا مُوَجَّهَانِ إِلَى الْبُكْرَةِ وَالْأَصِيلِ، كَقَوْلِكَ: صُمْ وَصَلِّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالتَّسْبِيحُ مِنْ جُمْلَةِ الذِّكْرِ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِهِ اخْتِصَاصَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ، لِيُبَيِّنَ فَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَذْكَارِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: تَنْزِيهُ ذَاتِهِ عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَتَبْرِئَتُهُ مِنَ الْقَبَائِحِ.

وَمِثَالُ فَضْلِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ: فَضْلُ وَصْفِ الْعَبْدِ بِالنَّزَاهَةِ مِنْ أَدْنَاسِ الْمَعَاصِي، وَالطُّهْرِ مِنْ أَرْجَاسِ الْمَآثِمِ، عَلَى سَائِرِ أَوْصَافِهِ مِنْ كَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَالتَّوَقُّرِ عَلَى الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، وَالِاشْتِمَالِ عَلَى الْعُلُومِ، وَالِاشْتِهَارِ بِالْفَضَائِلِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالذِّكْرِ وَإِكْثَارِهِ: تَكْثِيرُ الطَّاعَاتِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ طَاعَةٍ وَكُلَّ خَيْرٍ مِنْ جُمْلَةِ الذِّكْرِ.

ثُمَّ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ: التَّسْبِيحَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَهِيَ الصَّلَاةُ في جَمِيعِ أَوْقَاتِهَا، لِفَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِهَا، أَوْ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَالْعَشَاءَيْنِ، لِأَنَّ أَدَاءَهَا أَشَقُّ وَمُرَاعَاتَهَا أَشَدُّ.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[1]

لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْمُصَلِّي أَنْ يَنْعَطِفَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، اسْتُعِيرَ لِمَنْ يَنْعَطِفُ عَلَى غَيْرِهِ حُنُوًّا عَلَيْهِ تَرَؤُّفًا، كَعَائِدِ الْمَرِيضِ في انْعِطَافِهِ عَلَيْهِ، وَالْمَرْأَةِ في حُنُوِّهَا عَلَى وَلَدِهَا، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ في الرَّحْمَةِ وَالتَّرَؤُّفِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، أَيْ تَرَحَّمَ عَلَيْكَ وَتَرَأَّفَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[2] إِنْ فَسَّرْتَهُ بِيَتَرَحَّمُ عَلَيْكُمْ وَيَتَرَأَّفُ، فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: "وَمَلَئِكَتُهُ" وَمَا مَعْنَى صَلَاتِهِمْ؟

قُلْتُ: هِيَ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، جُعِلُوا لِكَوْنِهِمْ مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ، كَأَنَّهُمْ فَاعِلُونَ الرَّحْمَةَ وَالرَّأْفَةَ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: حَيَّاكَ اللَّهُ، أَيْ حَيَّاكَ وَأَبْقَاكَ، وَحَيَّيْتُكَ، أَيْ: دَعَوْتُ لَكَ بِأَنْ يُحْيِيَكَ اللَّهُ، لِأَنَّكَ لِاتِّكَالِكَ عَلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ، كَأَنَّكَ تُبْقِيهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَكَذَلِكَ: عَمَّرَكَ اللَّهُ، وَعَمَّرْتُكَ، وَسَقَاكَ اللَّهُ، وَسَقَيْتُكَ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾[3]، أَيِ ادْعُوا اللَّهَ بِأَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

وَالْمَعْنَى: هُوَ الَّذِي يَتَرَحَّمُ عَلَيْكُمْ وَيَتَرَأَّفُ حَيْثُ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِإِكْثَارِ الذِّكْرِ وَالتَّوَفُّرِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالطَّاعَةِ "لِيُخْرِجَكُمْ" مِنْ ظُلُمَاتِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة الْأَحْزَابَ ، الآية 56.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالصَّلَاةِ الرَّحْمَةُ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[2].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: مَا خَصَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِشَرَفٍ إِلَّا وَقَدْ أَشْرَكَنَا فِيهِ، فَأُنْزِلَتْ "تَحِيَّتُهُمْ" مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ، أَيْ: يَحْيَوْنَ يَوْمَ لِقَائِهِ بِسَلَامٍ.

فيجُوزُ أَنْ يُعَظِّمَهُمُ اللَّهُ بِسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَفْعَلُ بِهِمْ سَائِرَ أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ، وَأَنْ يَكُونَ مَثَلًا كَاللِّقَاءِ عَلَى مَا فَسَّرْنَا.

وَقِيلَ: هُوَ سَلَامُ مَلَكِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ مَعَهُ عَلَيْهِمْ وَبِشَارَتُهُمْ بِالْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: سَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ.

وَقِيلَ: عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[3] وَالْأَجْرُ الْكَرِيمُ: الْجَنَّةُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[4]

"شَاهِدًا" عَلَى مَنْ بُعِثْتَ إِلَيْهِمْ، وَعَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ، أَيْ: مَقْبُولًا قَوْلُكَ عِنْدَ اللَّهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، كَمَّلَ يَقْبَلُ قَوْلَ الشَّاهِدِ الْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَكَيْفَ كَانَ شَاهِدًا وَقْتَ الْإِرْسَالِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ شَاهِدًا عِنْدَ تَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ أَوْ عِنْدَ أَدَائِهَا؟

قُلْتُ: هِيَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، كَمَسْأَلَةِ الْكِتَابِ، مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا بِهِ غَدًا، أَيْ: مُقَدِّرًا بِهِ الصَّيْدَ غَدًا.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ فُهِمَ مِنْ قَوْلِهِ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ دَاعِيًا: أَنَّهُ مَأْذُونٌ لَهُ فِي الدُّعَاءِ، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: "بِإِذْنِهِ"؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة الْأَحْزَابَ ، الآية 56.

[3] سورة الرَّعْدَ، الآيتان 23-24.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: لَمْ يُرِدْ بِهِ حَقِيقَةَ الْإِذْنَ. وَإِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مُسْتَعَارًا لِلتَّسْهِيلِ وَالتَّيْسِيرِ، لِأَنَّ الدُّخُولَ فِي حَقِّ الْمَالِكَ مُتَعَذَّرٌ، فَإِذَا صُودِفَ الْإِذْنُ تَسَهَّلَ وَتَيَسَّرَ. فَلَمَّا كَانَ الْإِذْنُ تَسْهِيلًا لِمَا تَعَذَّرَ مِنْ ذَلِكَ، وُضِعَ مَوْضِعَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ دُعَاءَ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالشَّرَائِعِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ وَالتَّعَذُّرِ، فَقِيلَ: بِإِذْنِهِ لِلْإِيذَانِ بِأَنَّ الْأَمْرَ صَعْبٌ لَا يَتَأَتَّى وَلَا يُسْتَطَاعُ إِلَّا إِذَا سَهَّلَهُ اللَّهُ وَيَسَّرَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الشَّحِيحِ: أَنَّهُ غَيْرُ مَأْذُونٍ لَهُ فِي الْإِنْفَاقِ، أَيْ: غَيْرُ مُسَهِّلٍ لَهُ الْإِنْفَاقَ لِكَوْنِهِ شَاقًّا عَلَيْهِ دَاخِلًا فِي حُكْمِ التَّعَذُّرِ.

جَلَّى بِهِ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَاهْتَدَى بِهِ الضَّالُّونَ، كَمَا يُجَلَّى ظَلَامُ اللَّيْلِ بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ وَيُهْتَدَى بِهِ. أَوْ أَمَدَّ اللَّهُ بِنُورِ نُبُوَّتِهِ نُورَ الْبَصَائِرِ، كَمَا يَمُدُّ بِنُورِ السَّرَّاجِ نُورَ الْأَبْصَارِ، وَصَفَهُ بِالْإِنَاءَةِ، لِأَنَّ مِنَ السِّرَاجِ مَا لَا يُضِيءُ إِذَا قَلَّ سَلِيطُهُ وَدَقَّتْ فَتِيلَتُهُ.

وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ: ثَلَاثَةٌ تُضْنِي: رَسُولٌ بَطِيءٌ وَسِرَاجٌ لَا يُضِيءُ، وَمَائِدَةٌ يُنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِيءُ.

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْمُوحِشِينَ؟ فَقَالَ: ظَلَامٌ سَاتِرٌ، وَسِرَاجٌ فَاتِرٌ.

وَقِيلَ: وَذَا سِرَاجٌ مُنِيرٌ. أَوْ وَتَالِيًا سِرَاجًا مُنِيرًا. وَيَجُوزُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى كَافِ "أَرْسَلْنَاكَ".

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾[1]

الْفَضْلُ: مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ زِيَادَةً عَلَى الثَّوَابِ، وَإِذَا ذُكِرَ الْمُتَفَضَّلُ بِهِ وَكِبَرُهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالثَّوَابِ؟!

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْفَضْلِ: الثَّوَابَ، مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْعَطَايَا: فُضُولٌ وَفَوَاضِلُ، وَأَنْ يُرِيدَ أَنَّ لَهُمْ فَضْلًا كَبِيرًا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ آتَاهُمْ مَا فَضَلُوهُمْ بِهِ.

﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾[1]، مَعْنَاهُ: الدَّوَامُ وَالثَّبَاتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. أَوِ التَّهْيِيجُ "أَذَاهُمْ" يُحْتَمَلُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، يَعْنِي: وَدَعْ أَنْ تُؤْذِيَهُمْ بِضَرَرٍ أَوْ قَتْلٍ، وَخُذْ بِظَاهِرِهِمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ فِي بَاطِنِهِمْ. أَوْ: وَدَعْ مَا يُؤْذُونَكَ بِهِ وَلَا تُجَازِهِمْ عَلَيْهِ حَتَّى تُؤْمَرَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، فَإِنَّهُ يَكْفِيكَهُمْ، وَكَفَى بِهِ مُفَوَّضًا إِلَيْهِ.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: وَصَفَهُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ أَوْصَافٍ، وَقَابَلَ كُلًّا مِنْهَا بِخِطَابٍ مُنَاسِبٍ لَهُ، قَابَلَ الشَّاهِدَ بِقَوْلِهِ: وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِهِ وَهُمْ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَهُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ وَالْمُبَشَّرُ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، لِأَنَّهُ إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ أَقْبَلَ جَمِيعَ إِقْبَالِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِلْبِشَارَةِ وَالنَّذِيرُ بِدَعْ أَذَاهُمْ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَ أَذَاهُمْ فِي الْحَاضِرِ –وَالْأَذَى لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عِقَابٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ– كَانُوا مُنْذَرِينَ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِتَيْسِيرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[3]، لِأَنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ يَسَّرَ عَلَيْهِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ بِالِاكْتِفَاءِ بِهِ وَكِيلًا، لِأَنَّ مَنْ أَنَارَهُ اللَّهُ بُرْهَانًا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَكْتَفِي بِهِ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[4]

النِّكَاحُ: الْوَطْءُ، وَتَسْمِيَةُ الْعَقْدِ نِكَاحًا لِمُلَابَسَتِهِ لَهُ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَيْهِ.

وَنَظِيرُهُ: تَسْمِيَتُهُمُ الْخَمْرَ إِثْمًا، لِأَنَّهَا سَبَبٌ فِي اقْتِرَافِ الْإِثْمِ.

وَنَحْوُهُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ: قَوْلُ الرَّاجِزِ:

أَسْنِمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِـــــــهْ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

سَمَّى الْمَاءَ بِأَسْنِمَةِ الْآبَالِ، لِأَنَّهُ سَبَبُ سِمَنِ الْمَالِ وَارْتِفَاعِ أَسْنِمَتِهِ، وَلَمْ يَرِدْ لَفْظُ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا فِي مَعْنَى الْعَقْدِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْوَطْءِ مِنْ بَابِ التَّصْرِيحِ بِهِ.

وَمِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ: الْكِنَايَةُ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمُلَامَسَةِ وَالْمُمَاسَّةِ وَالْقُرْبَانِ وَالتَّغَشِّي وَالْإِتْيَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ خَصَّ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحُكْمُ الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ الْآيَةُ تَسْتَوِي فِيهِ الْمُؤْمِنَاتُ وَالْكِتَابِيَّاتُ؟

قُلْتُ: فِي اخْتِصَامِهِنَّ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ أَصْلَ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ وَالْأَوْلَى بِهِ أَنْ يَتَخَيَّرَ لِنُطْفَتِهِ، وَأَنْ لَا يَنْكِحَ إِلَّا مُؤْمِنَةً عَفِيفَةً، وَيَتَنَزَّهَ عَنْ مُزَاوَجَةِ الْفَوَاسِقِ، فَمَا بَالُ الْكَوَافِرِ، وَيَسْتَنْكِفَ أَنْ يَدْخُلَ تَحْتَ لِحَافِ وَاحِدَةٍ عَدُوَّةِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ، فَالَّتِي فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: تَعْلِيمُ مَا هُوَ جَائِزٌ غَيْرُ مُحَرَّمٍ، مِنْ نِكَاحِ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَهَذِهِ فِيهَا تَعْلِيمُ مَا هُوَ الْأَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِكَاحِ الْمُؤْمِنَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ ثُمَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾[1]؟

قُلْتُ: فَائِدَتُهُ نَفْيُ التَّوَهُّمِ عَمَّنْ عَسَى يَتَوَهَّمُ تَفَاوُتَ الْحُكْمِ بَيْنَ أَنْ يُطَلِّقَهَا، وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ مِنَ النِّكَاحِ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْعُدَ عَهْدُهَا بِالنِّكَاحِ وَيَتَرَاخَى بِهَا الْمُدَّةُ فِي حِبَالَةِ الزَّوَاجِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا خَلَا بِهَا خَلْوَةً يُمْكِنُهُ مَعَهَا الْمِسَاسُ، هَلْ يَقُومُ ذَلِكَ مَقَامَ الْمِسَاسِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ. عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ حُكْمُ الْخَلْوَةِ الصَّحِيحَةِ حُكْمُ الْمِسَاسِ.

وَقَوْلُهُ:﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾[2] دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِدَّةَ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى النِّسَاءِ لِلرِّجَالِ "تَعْتَدُّونَهَا" تَسْتَوْفُونَ عَدَدَهَا، مِنْ قَوْلِكَ: عَدَدْتُ الدَّرَاهِمَ فَاعْتَدَّهَا، كَقَوْلِكَ: كِلْتُهُ فَاكْتَالَهُ، وَوَزَنْتُهُ فَاتَّزَنَهُ.

وَقُرِئَ: (تَعْتَدُونَهَا) مُخَفَّفًا، أَيْ: تَعْتَدُونَ فِيهَا، كَقَوْلِهِ:

وَيَوْمٌ شَهِدْنَـــــــــــــــاهُ

وَالْمُرَادُ بِالِاعْتِدَادِ مَا فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾[3].

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 231.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا هَذَا التَّمْتِيعُ أَوَاجِبٌ أَوْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ؟

قُلْتُ: إِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَفْرُوضٍ كَانَتْ الْمُتْعَةُ وَاجِبَةً، وَلَا تَجِبُ الْمُتْعَةُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَّا لَهَا وَحْدَهَا دُونَ سَائِرِ الْمُطَلَّقَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ مَفْرُوضًا لَهَا، فَالْمُتْعَةُ مُخْتَلَفٌ فيها فَبَعْضٌ عَلَى النَّدْبِ وَالِاسْتِحْبَابِ، وَمِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ.

وَبَعْضٌ عَلَى الْوُجُوبِ ﴿سَرَاحًا جَمِيلا﴾[1] مِنْ غَيْرِ ضِرَارٍ وَلَا مَنْعٍ وَاجِبٌ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[2]

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ، لِأَنَّ الْمَهْرَ أَجْرٌ عَلَى الْبُضْعِ. وَإِيتَاؤُهَا: إِمَّا إِعْطَاؤُهَا عَاجِلًا. وَإِمَّا فَرْضُهَا وَتَسْمِيَتُهَا فِي الْعَقْدِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿اللاّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾[3] وَ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾[4] وَ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[5]، وَمَا فَائِدَةُ هَذِهِ التَّخْصِيصَاتِ؟

قُلْتُ: قَدِ اخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ الْأَفْضَلَ الْأَوْلَى، وَاسْتَحَبَّهُ بِالْأَطْيَبِ الْأَزْكَى، كَمَا اخْتَصَّهُ بِغَيْرِهَا مِنَ الْخَصَائِصِ، وَآثَرَهُ بِمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَثَرِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَذَلِكَ أَنَّ تَسْمِيَةَ الْمَهْرِ فِي الْعَقْدِ أَوْلَى وَأَفْضَلُ مِنْ تَرْكِ التَّسْمِيَةِ، وَإِنْ وَقَعَ الْعَقْدُ جَائِزًا، وَلَهُ أَنْ يُمَاسَّهَا، وَعَلَيْهِ مَهْرُ الْمِثْلِ إِنْ دَخَلَ بِهَا، وَالْمُتْعَةُ إِنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا.

وَسَوْقُ الْمَهْرِ إِلَيْهَا عَاجِلًا أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُسَمِّيَهُ وَيُؤَجِّلَهُ، وَكَانَ التَّعْجِيلُ دَيْدَنَ السَّلَفِ وَسُنَّتَهُمْ، وَمَا لَا يُعْرَفُ بَيْنَهُمْ غَيْرُهُ؛ وَكَذَلِكَ الْجَارِيَةُ إِذَا كَانَتْ سَبِيَّةَ مَالِكِهَا، وَخُطْبَةُ سَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، وَمِمَّا غَنَّمَهُ اللَّهُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ أَحَلُّ وَأَطْيَبُ مِمَّا يَشْتَرِي مِنْ شِقِّ الْجَلْبِ.

وَالسَّبْيُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: سَبْيُ طَيِّبَةٍ، وَسَبْيُ خَبِيثَةٍ، فَسَبْيُ الطَّيِّبَةِ: مَا سُبِيَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ فَالْمَسْبِيُّ مِنْهُمْ سَبْيُ خَبِيثَةٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾[1]، لِأَنَّ فيءَ اللَّهِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الطَّيِّبِ دُونَ الْخَبِيثِ، كَمَا أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ يَجِبُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْحَلَالِ دُونَ الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ قَرَائِبِهِ غَيْرِ الْمَحَارِمِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِ الْمُهَاجِرَاتِ مَعَهُ.

وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ: خَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَذَرَنِي، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَلَمْ أَحِلَّ لَهُ، لِأَنِّي لَمْ أُهَاجِرْ مَعَهُ، كُنْتُ مِنَ الطُّلَقَاءِ. وَأَحْلَلْنَا لَكَ مَنْ وَقَعَ لَهَا أَنْ تَهَبَ لَكَ نَفْسَهَا وَلَا تَطْلُبَ مَهْرًا مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ إِنِ اتَّفَقَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ نَكَّرَهَا.

وَاخْتُلِفَ فِي اتِّفَاقِ ذَلِكَ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا-: لَمْ يَكُنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحَدٌ مِنْهُنَّ بِالْهِبَةِ.

وَقِيلَ: الْمَوْهُوبَاتُ أَرْبَعٌ: مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ أُمُّ الْمَسَاكِينِ الْأَنْصَارِيَّةُ، وَأُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ جَابِرٍ، وَخَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ -رَضِيَ الله عَنْهُنَّ-.

قُرِئَ: ﴿إِنْ وَهَبَتْ﴾[2] عَلَى الشَّرْطِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ -رَضِيَ الله عَنْهُ-: "أَنْ" بِالْفَتْحِ، عَلَى التَّعْلِيلِ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ اللَّامِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مَحْذُوفًا مَعَهُ الزَّمَانُ، كَقَوْلِكَ: اجْلِسْ مَا دَامَ زَيْدٌ جَالِسًا، بِمَعْنَى دَوَامِهِ جَالِسًا، وَوَقْتُ هِبَتِهَا نَفْسَهَا.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِغَيْرِ أَنْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الشَّرْطِ الثَّانِي مَعَ الْأَوَّلِ؟

قُلْتُ: هُوَ تَقْيِيدٌ لَهُ شَرْطٌ في الْإِحْلَالِ هِبَتَهَا نَفْسَهَا، وَفِي الْهِبَةِ: إِرَادَةُ اسْتِنْكَاحِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَأَنَّهُ قَالَ: أَحْلَلْنَاهَا لَكَ إِنْ وَهَبَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَنْكِحَهَا، لِأَنَّ إِرَادَتَهُ هِيَ قَبُولُ الْهِبَةِ وَمَا بِهِ تَتِمُّ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ عَدَلَ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ في قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾[1] ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْخِطَابِ؟

قُلْتُ: لِلْإِيذَانِ بِأَنَّهُ مِمَّا خُصَّ بِهِ وَأُوثِرَ، وَمَجِيئُهُ عَلَى لَفْظِ النَّبِيِّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الِاخْتِصَاصَ تَكْرِمَةٌ لَهُ لِأَجْلِ النُّبُوَّةِ، وَتَكْرِيرُهُ: تَفْخِيمٌ لَهُ وَتَقْرِيرٌ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْكَرَامَةَ لِنُبُوَّتِهِ.

وَاسْتِنْكَاحُهَا: طَلَبُ نِكَاحِهَا وَالرَّغْبَةُ فيهِ.

وَقَدِ اسْتَشْهَدَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى جَوَازِ عَقْدِ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الْهِبَةِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأُمَّتَهُ سَوَاءٌ في الْأَحْكَامِ إِلَّا فيمَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يَصِحُّ، وَقَدْ خُصَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَعْنَى الْهِبَةِ وَلَفْظِهَا جَمِيعًا، لِأَنَّ اللَّفْظَ تَابِعٌ لِلْمَعْنَى، وَالْمُدَّعِي لِلِاشْتِرَاكِ في اللَّفْظِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ: إِنَّ عَقْدَ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الْإِجَارَةِ جَائِزٌ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾[2].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ: لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ الْإِجَارَةَ عَقْدٌ مُؤَقَّتٌ، وَعَقْدَ النِّكَاحِ مُؤَبَّدٌ، فَهُمَا مُتَنَافِيانِ.

"خَالِصَةً": مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، كَوَعْدِ اللَّهِ، وَصِبْغَةِ اللَّهِ، أَيْ: خَلَصَ لَكَ إِحْلَالُ مَا أَحْلَلْنَا لَكَ خَالِصَةً، بِمَعْنَى خُلُوصًا، وَالْفَاعِلُ وَالْفَاعِلَةُ في الْمَصَادِرِ غَيْرُ عَزِيزَيْنِ، كَالْخَارِجِ وَالْقَاعِدِ، وَالْعَافِيةِ وَالْكَاذِبَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا وَرَدَتْ في أَثَرِ الْإِحْلَالَاتِ الْأَرْبَعِ مَخْصُوصَةً بِرَسُولِ اللَّهِ ––صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– – عَلَى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ لَهَا قَوْلُهُ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾[3] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وَهِيَ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾[1] مُتَّصِلٌ بِخَالِصَةٍ لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ الِاعْتِرَاضِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ مَا يَجِبُ فَرْضُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ في الْأَزْوَاجِ وَالْإِمَاءِ، وَعَلَى أَيِّ حَدٍّ وَصْفِهِ يَجِبُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ فَفَرَضَهُ، وَعَلِمَ الْمَصْلَحَةَ في اخْتِصَاصِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ، فَفَعَلَ.

وَمَعْنَى: ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾[2]: لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ ضِيقٌ في دِينِكَ: حَيْثُ اخْتَصَصْنَاكَ بِالتَّنْزِيهِ وَاخْتِيَارِ مَا هُوَ أَوْلَى وَأَفْضَلُ، وَفي دُنْيَاكَ: حَيْثُ أَحْلَلْنَا لَكَ أَجْنَاسَ الْمَنْكُوحَاتِ وَزِدْنَا لَكَ الْوَاهِبَةَ نَفْسَهَا.

وَقُرِئَ: (خَالِصَةٌ) بِالرَّفْعِ، أَيْ: ذَاكَ خُلُوصٌ لَكَ وَخُصُوصٌ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ جَعَلَ خَالِصَةً نَعْتًا لِلْمَرْأَةِ، فَعَلَى مَذْهَبِهِ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ خَالِصَةٌ لَكَ مِنْ دُونِهِمْ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾[3] لِلْوَاقِعِ في الْحَرَجِ إِذَا تَابَ "رَحِيمًا" بِالتَّوْسِعَةِ عَلَى عِبَادِهِ.

رُوِيَ أَنَّ أُمَّهَاتَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ تَغَايَرْنَ وَابْتَغَيْنَ زِيَادَةَ النَّفَقَةِ وَغِظْنَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، هَجَرَهُنَّ شَهْرًا، وَنَزَلَ التَّخْيِيرُ، فَأَشْفَقْنَ أَنْ يُطَلِّقَهُنَّ، فَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، افْرِضْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ مَا شِئْتَ.

وَرُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهَا– قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى رَبَّكَ يُسَارِعُ في هَوَاكَ.

"تُرْجِي" بِهَمْزٍ وَغَيْرِ هَمْزٍ: تُؤَخِّرُ، "وَتُؤْوِي" تَضُمُّ، يَعْنِي: تَتْرُكُ مُضَاجَعَةَ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ، وَتُضَاجِعُ مَنْ تَشَاءُ، أَوْ تُطَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ، وَتُمْسِكُ مَنْ تَشَاءُ. أَوْ لَا تَقْسِمُ لِأَيَّتِهِنَّ شِئْتَ، وَتَقْسِمُ لِمَنْ شِئْتَ، أَوْ تَتْرُكُ تَزَوُّجَ مَنْ شِئْتَ مِنْ نِسَاءِ أُمَّتِكَ، وَتَتَزَوَّجُ مَنْ شِئْتَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا خَطَبَ امْرَأَةً لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْطِبَهَا حَتَّى يَدَعَهَا.

---

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَهَذِهِ قِسْمَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا هُوَ الْغَرَضُ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُطَلِّقَ، وَإِمَّا أَنْ يُمْسِكَ، فَإِذَا أَمْسَكَ ضَاجَعَ أَوْ تَرَكَ وَقَسَمَ أَوْ لَمْ يَقْسِمْ. وَإِذَا طَلَّقَ وَعَزَلَ، فَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ الْمَعْزُولَةَ لَا يَبْتَغِيهَا، أَوْ يَبْتَغِيهَا.

رُوِيَ أَنَّهُ أَرْجَى مِنْهُنَّ سَوْدَةَ وَجُوَيْرِيَةَ وَصَفِيةَ وَمَيْمُونَةَ وَأُمَّ حَبِيبَةَ ، فَكَانَ يَقْسِمُ لَهُنَّ مَا شَاءَ كَمَا شَاءَ، وَكَانَتْ مِمَّنْ آوَى إِلَيْهِ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ –رَضِيَ الله عَنْهُنَّ– أَرْجَى خَمْسَةً وَآوَى أَرْبَعَةً.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يُسَوِّي مَعَ مَا أُطْلِقَ لَهُ وَخُيِّرَ فِيهِ إِلَّا سَوْدَةَ، فَإِنَّهَا وَهَبَتْ لَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ وَقَالَتْ: لَا تُطَلِّقْنِي حَتَّى أُحْشَرَ فِي زُمْرَةِ نِسَائِكَ "ذَلِكَ" التَّفْوِيضُ إِلَى مَشِيئَتِكَ "أَدْنَى" إِلَى قُرَّةِ عُيُونِهِنَّ وَقِلَّةِ حُزْنِهِنَّ وَرِضَاهُنَّ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ إِذَا سَوَّى بَيْنَهُنَّ فِي الْإِيوَاءِ وَالْإِرْجَاءِ وَالْعَزْلِ وَالِابْتِغَاءِ. وَارْتَفَعَ التَّفَاضُلُ، وَلَمْ يَكُنْ لِإِحْدَاهُنَّ مِمَّا تُرِيدُ وَمِمَّا لَا تُرِيدُ إِلَّا مِثْلُ مَا لِلْأُخْرَى.

وَعَلِمْنَ أَنَّ هَذَا التَّفْوِيضَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِوَحْيِهِ اطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُنَّ، وَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَالتَّغَايُرُ، وَحَصَلَ الرِّضَا، وَقَرَّتِ الْعُيُونُ، وَسَلَتِ الْقُلُوبُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[1] فِيهِ وَعِيدٌ لِمَنْ لَمْ تَرْضَى مِنْهُنَّ بِمَا دَبَّرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَفَوَّضَ إِلَى مَشِيئَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَبَعْثٌ عَلَى تَوَاطُؤِ قُلُوبِهِنَّ وَالتَّصَافِي بَيْنَهُنَّ وَالتَّوَافُقِ عَلَى طَلَبِ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَا فِيهِ طِيبُ نَفْسِهِ.

وَقُرِئَ: (تُقِرُّ أَعْيُنَهُنَّ) بِضَمِّ التَّاءِ وَنَصْبِ الْأَعْيُنِ، وَ(تُقَرُّ أَعْيُنُهُنَّ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾[2] بِذَاتِ الصُّدُورِ "حَلِيمًا" لَا يُعَاجِلُ بِالْعِقَابِ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُتَّقَى وَيُحْذَرَ، "كُلَّهُنَّ" تَأْكِيدٌ لِنُونِ يَرْضَيْنَ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (وَيَرْضَيْنَ كُلُّهُنَّ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) عَلَى التَّقْدِيمِ.

وَقَرَأَ: (كُلَّهُنَّ) تَأْكِيدًا لِـ "هُنَّ" فِي "آتَيْتَهُنَّ".

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾[1]

"لَا يَحِلُّ" وَقُرِئَ التَّذْكِيرُ، لِأَنَّ تَأْنِيثَ الْجَمْعِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَإِذَا جَازَ بِغَيْرِ فَصْلٍ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾[2]، كَانَ مَعَ الْفَصْلِ أَجْوَزَ "مِنْ بَعْدُ" مِنْ بَعْدِ التِّسْعِ، لِأَنَّ التِّسْعَ نِصَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الْأَزْوَاجِ، كَمَا أَنَّ الْأَرْبَعَ نِصَابُ أُمَّتِهِ مِنْهُنَّ، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ النِّصَابَ.

﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾[3]: وَلَا أَنْ تَسْتَبْدِلَ بِهَؤُلَاءِ التِّسْعِ أَزْوَاجًا أُخَرَ بِكُلِّهِنَّ أَوْ بَعْضِهِنَّ، أَرَادَ التِّسْعَ لَهُنَّ كَرَامَةً وَجَزَاءً عَلَى مَا اخْتَرْنَ وَرَضِينَ.

فَقَصَرَ النَّبِيَّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَيْهِنَّ، وَهِيَ التِّسْعُ اللَّاتِي مَاتَ عَنْهُنَّ: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفيانَ، سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ ، صَفِيةُ بِنْتُ حُيَيٍّ الْخَيْبَرِيَّةُ، مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ، زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ الْأَسَدِيَةُ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَرْثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ، –رَضِيَ الله عَنْهُنَّ–.

مِنْ فِي ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾[4] لِتَأْكِيدِ النَّفي، وَفَائِدَتُهُ اسْتِغْرَاقُ جِنْسِ الْأَزْوَاجِ بِالتَّحْرِيمِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ النِّسَاءِ اللَّاتِي نَصَّ إِحْلَالَهُنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْأَعْرَابِيَّاتِ وَالْغَرَائِبِ، أَوْ مِنَ الْكِتَابِيَّاتِ، أَوْ مِنَ الْإِمَاءِ بِالنِّكَاحِ.

وَقِيلَ فِي تَحْرِيمِ التَّبَدُّلُ: هُوَ مِنَ الْبَدَلِ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: بَادِلْنِي بِامْرَأَتِكَ، وَأُبَادِلُكَ بِامْرَأَتِي، فَيَنْزِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ امْرَأَتِهِ لِصَاحِبِهِ.

وَيُحْكَى أَنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "يَا عُيَيْنَةُ، أَيْنَ الِاسْتِئْذَانُ"؟ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَجُلٍ قَطُّ مِمَّنْ مَضَى مُنْذُ أَدْرَكْتُ، ثُمَّ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قَالَ: "مَنْ هَذِهِ الْجَمِيلَةُ إِلَى جَنْبِكَ؟"، فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "هَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ"، قَالَ عُيَيْنَةُ:" أَفَلَا أَنْزِلُ لَكَ عَنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ؟"، فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ". فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: "مَنْ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟"، قَالَ: "أَحْمَقُ مُطَاعٌ، وَإِنَّهُ -عَلَى مَا تَرِينَ- لَسَيِّدُ قَوْمِهِ".

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: "مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى أُحِلَّ لَهُ النِّسَاءُ"، يَعْنِي: أَنَّ الْآيَةَ قَدْ نُسِخَتْ.

وَلَا يَخْلُو نَسخُهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالسُّنَّةِ، وَإِمَّا بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾[1]، وَتَرْتِيبُ النُّزُولِ لَيْسَ عَلَى تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾[2] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ، وَهُوَ الضَّمِيرُ فِي "تَبَدَّلَ" لَا مِنَ الْمَفْعُولِ الَّذِي هُوَ ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾[3]، لِأَنَّهُ مُوغِلٌ فِي التَّنْكِيرِ، وَتَقْدِيرُهُ: مَفْرُوضًا إِعْجَابُكَ بِهِنَّ.

وَقِيلَ: هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةُ امْرَأَةُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا مِمَّنْ أَعْجَبَهُ حُسْنُهُنَّ، وَاسْتُثْنِيَ مِمَّنْ حَرُمَ عَلَيْهِ، الْإِمَاءُ.

"رَقِيبًا": حَافِظًا مُهَيْمِنًا، وَهُوَ تَحْذِيرٌ عَنْ مُجَاوَزَةِ حُدُودِهِ وَتَخَطِّي حَلَالِهِ إِلَى حَرَامِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[4]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[1] في مَعْنَى الظَّرْفِ تَقْدِيرُهُ وَقْتَ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ.

وَ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾[2] حَالٌ مِنْ "لَا تَدْخُلُوا" وَقَعَ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى الْوَقْتِ وَالْحَالِ مَعًا. كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا وَقْتَ الْإِذْنِ، وَلَا تَدْخُلُوهَا إِلَّا غَيْرَ نَاظِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا يَتَحَيَّنُونَ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيدْخُلُونَ وَيَقْعُدُونَ مُنْتَظِرِينَ لِإِدْرَاكِهِ.

وَمَعْنَاهُ: لَا تَدْخُلُوا يَا هَؤُلَاءِ الْمُتَحَيِّنُونَ لِلطَّعَامِ، إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ، وَإِلَّا فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ خُصُوصًا، لَمَا جَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ بُيُوتَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ إِذْنًا خَاصًّا، وَهُوَ الْإِذْنُ إِلَى الطَّعَامِ فَحَسْبُ.

وَعَنِ ابْنِ أَبِي عَبْلَةَ أَنَّهُ قَرَأَ: غَيْرِ نَاظِرِينَ، مَجْرُورًا صِفَةً لِطَعَامٍ، وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ، لِأَنَّهُ جَرَى عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، فَمِنْ حَقِّ ضَمِيرِ مَا هُوَ لَهُ أَنْ يَبْرُزَ إِلَى اللَّفْظِ، فيُقَالُ: غَيْرُ نَاظِرِينَ إِنَاهُ أَنْتُمْ، كَقَوْلِكَ: هِنْدٌ زَيْدٌ ضَارِبَتُهُ هِيَ.

وَإِنِيُّ الطَّعَامِ: إِدْرَاكُهُ. يُقَالُ: أَنِيَ الطَّعَامُ إِنًى، كَقَوْلِكَ: قَلَاهُ قِلًى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[3] بَالِغٌ إِنَاهُ.

وَقِيلَ: "إِنَاهُ": وَقْتُهُ، أَيْ: غَيْرُ نَاظِرِينَ وَقْتَ الطَّعَامِ وَسَاعَةَ أَكْلِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ بِتَمْرٍ وَسَوِيقٍ وَشَاةٍ، وَأَمَرَ أَنَسًا أَنْ يَدْعُوَ بِالنَّاسِ، فَتَرَادَفُوا أَفْوَاجًا يَأْكُلُ فَوْجٌ فيخْرُجُ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَوْجٌ إِلَى أَنْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، فَقَالَ: ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَحَدَّثُونَ فَأَطَالُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَخْرُجُوا، فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ -رَضِيَ الله عَنْهَا-، فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ"، فَقَالُوا: "عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟"، وَطَافَ فِي الْحُجُرَاتِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ وَدَعَوْنَ لَهُ، وَرَجَعَ فَإِذَا الثَّلَاثَةُ جُلُوسٌ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَتَوَلَّى، فَلَمَّا رَأَوْهُ مُتَوَلِّيًا خَرَجُوا، فَرَجَعَ وَنَزَلَتْ: ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[4]، نُهُوا

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة الرَّحْمَنِ، الآية 44.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

عَنْ أَنْ يُطِيلُوا الْجُلُوسَ يَسْتَأْنِسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لِأَجْلِ حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ بِهِ. أَوْ عَنْ أَنْ يَسْتَأْنِسُوا حَدِيثَ أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَاسْتِئْنَاسُهُ: تَسْمَعُهُ وَتُوَجِّهُهُ، وَهُوَ مَجْرُورٌ مَعْطُوفٌ عَلَى نَاظِرِينَ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى: وَلَا تَدْخُلُوهَا مُسْتَأْنِسِينَ.

لَا بُدَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾[1] مِنْ تَقْدِيرِ الْمُضَافِ، أَيْ: مِنْ إِخْرَاجِكُمْ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[2]، يَعْنِي أَنَّ إِخْرَاجَكُمْ حَتَّى مَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَحَيَا مِنْهُ.

وَلَمَّا كَانَ الْحَيَاءُ مِمَّا يَمْنَعُ الْحَيِيَّ مِنْ بَعْضِ الْأَفْعَالِ، قِيلَ: ﴿لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[3]، بِمَعْنَى لَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ تَرْكُ الْحَيِيِّ مِنْكُمْ، وَهَذَا أَدَبٌ أَدَّبَ اللَّهُ بِهِ الثَّقَلَاءَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْها–: حَسْبُكَ فِي الثُّقَلَاءِ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لَمْ يَحْتَمِلْهُمْ وَقَالَ: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا .

وَقُرِئَ: (لَا يَسْتَحِي) بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ، الضَّمِيرُ فِي "سَأَلْتُمُوهُنَّ" لِنِسَاءِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلَمْ يُذْكَرْنَ لِأَنَّ الْحَالَ نَاطِقَةٌ بِذِكْرِهِنَّ "مَتَاعًا" حَاجَةً "فَاسْئَلُوهُنَّ " الْمَتَاعَ.

قِيلَ: إِنَّ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– كَانَ يُحِبُّ ضَرْبَ الْحِجَابِ عَلَيْهِنَّ مَحَبَّةً شَدِيدَةً، وَكَانَ يَذْكُرُهُ كَثِيرًا، وَيَوَدُّ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ أُطَاعُ فِيكُنَّ مَا رَأَتْكُنَّ عَيْنٌ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَنَزَلَتْ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: لَئِنْ احْتَجَبْتُنَّ، فَإِنَّ لَكُنَّ عَلَى النِّسَاءِ فَضْلًا، كَمَا أَنَّ لِزَوْجِكُنَّ عَلَى الرِّجَالِ الْفَضْلَ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ –رَضِيَ الله عَنْها–: "يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّكَ لَتَغَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِنَا"، فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُطْعِمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَأَصَابَتْ يَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

وَذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَنُنْهَى أَنْ نُكَلِّمَ بَنَاتَ عَمِّنَا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَئِنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَأَتَزَوَّجَنَّ عَائِشَةَ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾[1]: وَمَا صَحَّ لَكُنَّ إِيذَاءُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا نِكَاحُ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَسُمِّيَ نِكَاحُهُنَّ بَعْدَهُ عَظِيمًا عِنْدَهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَإِيجَابِ حُرْمَتِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِعْلَامُهُ بِذَلِكَ مِمَّا طَيَّبَ بِهِ نَفْسَهُ وَسُرَّ قَلْبُهُ وَاسْتَعْزَرَ شُكْرَهُ. فَإِنَّ نَحْوَ هَذَا مِمَّا يُحَدِّثُ الرَّجُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يُخَلِّي مِنْهُ فِكْرَهُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَفْرُطُ غَيْرَتُهُ عَلَى حُرْمَتِهِ، حَتَّى يَتَمَنَّى لَهَا الْمَوْتَ، لِئَلَّا تُنْكَحَ مِنْ بَعْدِهِ.

وَعَنْ بَعْضِ الْفِتْيَانِ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ لَا يَرَى الدُّنْيَا بِهَا شَغَفًا وَاسْتِهْتَارًا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، وَانْتَحَبَ فَعَلَا نَحِيبُهُ مِمَّا ذَهَبَ بِهِ فِكْرُهُ هَذَا الْمَذْهَبَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهَا، تَصَوُّرًا لِمَا عَسَى يَتَّفِقُ مِنْ بَقَائِهَا بَعْدَهُ وَحُصُولِهَا تَحْتَ يَدِ غَيْرِهِ.

وَعَنْ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ: أَنَّ الزَّوْجَ الثَّانِيَ فِي هَدْمِ الثَّلَاثِ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْعُقُوبَةِ، فَصِينَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَمَّا يُلَاحِظُ ذَلِكَ.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2]

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾[3] مِنْ نِكَاحِهِنَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ "أَوْ تُخْفُوهُ" فِي صُدُورِكُمْ، "فَإِنَّ اللَّهَ" يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَيُعَاقِبُكُمْ بِهِ.

وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ عَامًّا لِكُلِّ بَادٍ وَخَافٍ، لِيَدْخُلَ تَحْتَهُ نِكَاحُهُنَّ وَغَيْرُهُ، وَلِأَنَّهُ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَهْوَلُ وَأَجْزَلُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[1]

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ ايَةُ الْحِجَابِ، قَالَ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ وَالْأَقَارِبُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَنَحْنُ أَيْضًا نُكَلِّمُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ؟"، فَنَزَلَتْ ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾[2]، أَيْ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ فِي أَنْ لَا يَحْتَجِبْنَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْعَمَّ وَالْخَالَ، لِأَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ مَجْرَى الْوَالِدَيْنِ، وَقَدْ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ الْعَمِّ أَبًا.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[3]، وَإِسْمَاعِيلُ عَمُّ يَعْقُوبَ.

وَقِيلَ: كُرِهَ تَرْكُ الِاحْتِجَابِ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُمَا يَصِفَانِهَا لِأَبْنَائِهِمَا، وَأَبْنَاؤُهُمَا غَيْرُ مَحَارِمَ، ثُمَّ نُقِلَ الْكَلَامُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ.

وَفِي هَذَا النَّقْلِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ تَشْدِيدٍ، فَقِيلَ: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾[4] فِيمَا أُمِرْتُنَّ بِهِ مِنَ الِاحْتِجَابِ وَأُنْزِلَ فِيهِ الْوَحْيُ مِنَ الِاسْتِتَارِ، وَاحْطَطْنَ فِيهِ، وَفِيمَا اسْتَثْنَى مِنْهُ مَا قَدَرْتُنَّ، وَاحْفَظْنَ حُدُودَهُمَا وَاسْلُكْنَ طَرِيقَ التَّقْوَى فِي حِفْظِهِمَا، وَلْيَكُنْ عَمَلُكُنَّ فِي الْحُجُبِ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ وَأَنْتُنَّ غَيْرُ مُحَجَّبَاتٍ، لِيَفْضُلَ سِرُّكُنَّ عَلَنَكُنَّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾[5] مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَنِ وَظَاهِرِ الْحِجَابِ وَبَاطِنِهِ.

"شَهِيدًا": لَا يَتَفَاوَتُ فِي عِلْمِهِ الْأَحْوَالُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]

قُرِئَ: (وَمَلَائِكَتُهُ) بِالرَّفْعِ، عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ إِنَّ وَاسْمِهَا، وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيينَ. وَوَجْهُهُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ: أَنْ يُحْذَفَ الْخَبَرُ لِدَلَالَةِ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ.

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾[2]، أَيْ: قُولُوا الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ وَالسَّلَامَ.

وَمَعْنَاهُ: الدُّعَاءُ بِأَنْ يَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ اللَّهُ وَيُسَلِّمَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَاجِبَةٌ أَمْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا؟

قُلْتُ: بَلْ وَاجِبَةٌ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي حَالِ وُجُوبِهَا.

فَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهَا كُلَّمَا جَرَى ذِكْرُهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ".

وَيُرْوَى أَنَّهُ قِيلَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[3]؟"، فَقَالَ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْمَكْنُونِ، وَلَوْلَا أَنَّكُمْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ. إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِي مَلَكَيْنِ، فَلَا أُذْكَرُ عِنْدَ مُسْلِمٍ، فَيُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ: "غَفَرَ اللَّهُ لَكَ"، وَقَالَ اللَّهُ –تَعَالَى– وَمَلَائِكَتُهُ جَوَابًا لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ: "آمِينَ". وَلَا أُذْكَرُ عِنْدَ عَبْدِ مُسْلِمٍ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا قَالَ ذَانِكَ الْمَلَكَانِ: "لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ"، وَقَالَ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ لِذَيْنِكَ الْمَلَكَيْنِ: "آمِينَ".".

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: تَجِبُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً، وَإِنْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ، كَمَا قِيلَ فِي آيَةِ السَّجْدَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ دُعَاءٍ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهَا فِي الْعُمْرِ مَرَّةً، وَكَذَا قَالَ فِي إِظْهَارِ الشَّهَادَتَيْنِ.

وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الِاحْتِيَاطُ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ ذِكْرٍ، لِمَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، أَهِيَ شَرْطٌ فِي جَوَازِهَا أَمْ لَا؟

قُلْتُ: أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ لَا يَرَوْنَهَا شَرْطًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ: كَانُوا يَكْتَفُونَ عَنْ ذَلِكَ –يَعْنِي الصَّحَابَةَ– بِالتَّشَهُّدِ، وَهُوَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ.

وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–، فَقَدْ جَعَلَهَا شَرْطًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِهِ؟

قُلْتُ: الْقِيَاسُ جَوَازُ الصَّلَاةِ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[1]، وَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفى؛ وَلَكِنَّ لِلْعُلَمَاءِ تَفْصِيلًا فِي ذَلِكَ: وَهُوَ أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ كَقَوْلِكَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، فَلَا كَلَامَ فيها.

وَأَمَّا إِذَا أَفْرَدَ غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالصَّلَاةِ، كَمَا يُفْرَدُ هُوَ، فَمَكْرُوهٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ صَارَ شَعَارًا لِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الِاتِّهَامِ بِالرَّفْضِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ".

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[2]

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[3] فيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُعَبِّرَ بِإِيذَائِهِمَا عَنْ فِعْلِ مَا يَكْرَهَانِهِ وَلَا يَرْضَيَانِهِ: مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَإِنْكَارِ النُّبُوَّةِ، وَمُخَالَفَةِ الشَّرِيعَةِ، وَمَا كَانُوا يُصِيبُونَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ أَنْوَاعِ الْمَكْرُوهِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ.

وَإِنَّمَا جَعَلْتُهُ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا، وَحَقِيقَةُ الْإِيذَاءِ صَحِيحَةٌ فِي رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِئَلَّا أَجْعَلَ الْعِبَارَةَ الْوَاحِدَةَ مُعْطِيَةً مَعْنَى الْمَجَازِ وَالْحَقِيقَةِ.

---

[1] سورة الْأَحْزَابِ، الآية 43.

[2] سورة التَّوْبَةِ، الآية 103.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

– وَالثَّانِي: أَنْ يُرَادَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَقِيلَ: في أَذَى اللَّهِ: هُوَ قَوْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ وَثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَالْأَصْنَامُ شُرَكَاؤُهُ.

وَقِيلَ: قَوْلُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ في أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيما حَكَى عَنْ رَبِّهِ: "شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، وَآذَانِي، وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يُؤْذِيَنِي. فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: إِنِّي اتَّخَذْتُ وَلَدًا. وَأَمَّا أَذَاهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِيدُنِي بَعْدَ أَنْ بَدَأَنِي".

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: فَعَلَ أَصْحَابُ التَّصَاوِيرِ الَّذِينَ يَرْمُونَ تَكْوِينَ خَلْقٍ مِثْلَ خَلْقِ اللَّهِ.

وَقِيلَ: في أَذَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَوْلُهُمْ: سَاحِرٌ، شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، مَجْنُونٌ.

وَقِيلَ: كَسْرُ رُبَاعِيَّتِهِ وَشَجُّ وَجْهِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَقِيلَ: طَعْنُهُمْ عَلَيْهِ في نِكَاحِ صَفِيةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، وَأَطْلَقَ إِيذَاءَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَقَيَّدَ إِيذَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، لِأَنَّ أَذَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا غَيْرَ حَقٍّ أَبَدًا.

وَأَمَّا أَذَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَمِنْهُ وَمِنْهُ.

وَمَعْنَى ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾[1]: بِغَيْرِ جِنَايَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ لِلْأَذَى.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ في نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يُؤْذُونَ عَلِيًّا –رَضِيَ الله عَنْهُ– وَيُسْمِعُونَهُ.

وَقِيلَ: في الَّذِينَ أَفَكُوا عَلَى عَائِشَةَ –رَضِيَ الله عَنْهَا–.

وَقِيلَ: في زُنَاةٍ كَانُوا يَتَّبِعُونَ النِّسَاءَ وَهُنَّ كَارِهَاتٌ.

وَعَنِ الْفُضَيْلِ: لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُؤْذِيَ كَلْبًا أَوْ خِنْزِيرًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَكَيْفَ وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ لَا يَكْرِي الْحَوَانِيتَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، لِمَا فيهِ مِنَ الرَّوْعَةِ عِنْدَ كَرِّ الْحَوْلِ؟!

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

الْجِلْبَابُ: ثَوْبٌ وَاسِعٌ أَوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ وَدُونَ الرِّدَاءِ تَلْوِيهِ الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا وَتُبْقِي مِنْهُ مَا تُرْسِلُهُ عَلَى صَدْرِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: الرِّدَاءُ الَّذِي يَسْتُرُ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلَ. وَقِيلَ: الْمِلْحَفَةُ وَكُلُّ مَا يُسْتَتَرُ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ:

مُجَلْبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جِلْبَابَا

وَمَعْنَى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾[1] يُرْخِينَهَا عَلَيْهِنَّ، وَيُغَطِّينَ بِهَا وُجُوهَهُنَّ وَأَعْطَافَهُنَّ. يُقَالُ: إِذَا زَلَّ الثَّوْبُ عَنْ وَجْهِ الْمَرْأَةِ: أَدْنِ ثَوْبَكَ عَلَى وَجْهِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ عَلَى هَجِيرَاهِنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُتَبَذِّلَاتٍ، تَبْرُزُ الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ فَصَلَ بَيْنَ الْحُرَّةِ وَالْأَمَةِ، وَكَانَ الْفِتْيَانُ وَأَهْلُ الشَّطَارَةِ يَتَعَرَّضُونَ إِذَا خَرَجْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى مَقَاضِي حَوَائِجِهِنَّ مِنَ النَّخِيلِ وَالْغِيطَانِ لِلْإِمَاءِ.

وَرُبَّمَا تَعَرَّضُوا لِلْحُرَّةِ بِعِلَّةِ الْأَمَةِ، يَقُولُونَ: حَسِبْنَاهَا أَمَةً، فَأُمِرْنَ أَنْ يُخَالِفْنَ بِزِيِّهِنَّ عَنْ زِيِّ الْإِمَاءِ الْأَرْدِيَةَ وَالْمَلَاحِفَ وَسَتْرَ الرُّءُوسِ وَالْوُجُوهِ، لِيَحْتَشِمْنَ وَيُهَبْنَ، فَلَا يَطْمَعُ فِيهِنَّ طَامِعٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾[2]، أَيْ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِأَنْ يُعْرَفْنَ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ وَلَا يَلْقَيْنَ مَا يَكْرَهْنَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى "مِنْ" فِي ﴿مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾[3]؟

قُلْتُ: هُوَ لِلتَّبْعِيضِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى التَّبْعِيضِ مُحْتَمِلٌ وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَتَجَلْبَبْنَ بِبَعْضِ مَا لَهُنَّ مِنَ الْجَلَالِيبِ، وَالْمُرَادُ: أَنْ لَا تَكُونَ الْحُرَّةُ مُتَبَذِّلَةً فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ، كَالْأَمَةِ وَالْمَاهِنَةِ، وَلَهَا جِلْبَابَانِ فَصَاعِدًا فِي بَيْتِهَا.

– وَالثَّانِي: أَنْ تُرْخِيَ الْمَرْأَةُ بَعْضَ جِلْبَابِهَا وَفَضْلَهُ عَلَى وَجْهِهَا تَتَقَنَّعُ، حَتَّى تَتَمَيَّزَ مِنَ الْأَمَةِ.

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيَّ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَنْ تَضَعَ رِدَاءَهَا فَوْقَ الْحَاجِبِ، ثُمَّ تُدِيرُهُ حَتَّى تَضَعَهُ عَلَى أَنْفِهَا.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: تُغَطِّي إِحْدَى عَيْنَيْهَا وَجَبْهَتَهَا، وَالشِّقَّ الْاخَرَ إِلَّا الْعَيْنَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنِ الْكِسَائِيِّ: يَتَقَنَّعْنَ بِمَلَاحِفِهِنَّ مُنْضَمَّةً عَلَيْهِنَّ، أَرَادَ بِالِانْضِمَامِ مَعْنَى الْإِدْنَاءِ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾[1] لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ مِنَ التَّفْرِيطِ مَعَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُمْكِنُ مَعْرِفَتُهُ بِالْعَقْلِ.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2]

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[3]: قَوْمٌ كَانَ فِيهِمْ ضَعْفُ إِيمَانٍ وَقِلَّةُ ثَبَاتٍ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: هُمُ الزُّنَاةُ وَأَهْلُ الْفُجُورِ مِنْ قَوْلِهِ -تَعَالَى-:﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[4].

"وَالْمُرْجِفُونَ": نَاسٌ كَانُوا يُرْجِفُونَ بِأَخْبَارِ السُّوءِ عَنْ سَرَايَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقُولُونَ: هُزِمُوا وَقُتِلُوا، وَجَرَى عَلَيْهِمْ كَيْتُ وَكَيْتُ، فيكْسِرُونَ بِذَلِكَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ.

يُقَالُ: أَرْجَفَ بِكَذَا، إِذَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ، لِكَوْنِهِ خَبَرًا مُتَزَلْزِلًا غَيْرَ ثَابِتٍ، مِنَ الرَّجْفَةِ وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ.

وَالْمَعْنَى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ عَدَاوَتِهِمْ وَكَيْدِكُمْ، وَالْفَسَقَةُ عَنْ فُجُورِهِمْ، وَالْمُرْجِفُونَ عَمَّا يُؤَلِّفُونَ مِنْ أَخْبَارِ السُّوءِ لَنَأْمُرَنَّكَ بِأَنْ تَفْعَلَ بِهِمُ الْأَفَاعِيلَ الَّتِي تَسُوءُهُمْ وَتَنُوءُهُمْ، ثُمَّ بِأَنْ تَضْطَرَّهُمْ إِلَى طَلَبِ الْجَلَاءِ عَنِ الْمَدِينَةِ، وَإِلَى أَنْ لَا يُسَاكِنُوكَ فيها "إِلَّا" زَمَنًا "قَلِيلًا": رَيْثَمَا يَرْتَحِلُونَ وَيَلْتَقِطُونَ أَنْفُسَهُمْ وَعِيَالَاتِهِمْ؛ فَسَمَّى ذَلِكَ إِغْرَاءً، وَهُوَ التَّحْرِيشُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

"مَلْعُونِينَ" نُصِبَ عَلَى الشَّتْمِ أَوِ الْحَالِ، أَيْ: لَا يُجَاوِرُونَكَ إِلَّا مَلْعُونِينَ، دَخَلَ حَرْفُ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الظَّرْفِ وَالْحَالِ مَعًا، كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾[1]، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَنْتَصِبَ عَنْ "أُخِذُوا"، لِأَنَّ مَا بَعْدَ كَلِمَةِ الشَّرْطِ لَا يَعْمَلُ فِيمَا قَبْلَهَا.

وَقِيلَ: فِي "قَلِيلًا"، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ أَيْضًا.

وَمَعْنَاهُ: لَا يُجَاوِرُونَكَ إِلَّا أَقِلَّاءَ أَذِلَّاءَ مَلْعُونِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ لَا يُجَاوِرُونَكَ؟

قُلْتُ: لَا يُجَاوِرُونَكَ عُطِفَ عَلَى لَنُغْرِيَنَّكَ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُجَابَ بِهِ الْقَسَمُ.

أَلَا تَرَى إِلَى صِحَّةِ قَوْلِكَ: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُوا لَا يُجَاوِرُونَكَ؟

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا كَانَ مِنْ حَقِّ لَا يُجَاوِرُونَكَ أَنْ يُعْطَفَ بِالْفَاءِ، وَأَنْ يُقَالَ: لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ فَلَا يُجَاوِرُونَكَ؟

قُلْتُ: لَوْ جُعِلَ الثَّانِي مُسَبَّبًا عَنِ الْأَوَّلِ، لَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ، وَلَكِنَّهُ جُعِلَ جَوَابًا آخَرَ لِلْقَسَمِ مَعْطُوفًا عَلَى الْأَوَّلِ. وَإِنَّمَا عُطِفَ بِثُمَّ، لِأَنَّ الْجَلَاءَ عَنِ الْأَوْطَانِ كَانَ أَعْظَمَ عَلَيْهِمْ، وَأَعْظَمَ مِنْ جَمِيعِ مَا أُصِيبُوا بِهِ، فَتَرَاخَتْ حَالُهُ عَنْ حَالِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾[2] فِي مَوْضِعِ مُؤَكِّدٍ، أَيْ: سَنَّ اللَّهُ فِي الَّذِينَ يُنَافِقُونَ الْأَنْبِيَاءَ أَنْ يُقَتَّلُوا حَيْثُمَا ثُقِفُوا.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: يَعْنِي كَمَا قُتِلَ أَهْلُ بَدْرٍ وَأُسِرُوا.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[3]

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ اسْتِعْجَالًا عَلَى سَبِيلِ الْهَزْءِ، وَالْيَهُودُ يَسْأَلُونَهُ امْتِحَانًا، لِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– عَمَّى وَقْتَهَا فِي التَّوْرَاةِ وَفِي كُلِّ كِتَابٍ، فَأُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِأَنَّهُ عِلْمٌ قَدِ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ، لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا، ثُمَّ بَيَّنَ لِرَسُولِهِ أَنَّهَا قَرِيبَةُ الْوُقُوعِ، تَهْدِيدًا لِلْمُسْتَعْجِلِينَ، وَإِسْكَاتًا لِلْمُمْتَحِنِينَ.

"قَرِيبًا": شَيْئًا قَرِيبًا، أَوْ لِأَنَّ السَّاعَةَ في مَعْنَى الْيَوْمِ، أَوْ في زَمَانٍ قَرِيبٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1]

السَّعِيرُ: النَّارُ الْمَسْعُورَةُ الشَّدِيدَةُ الْإِيقَادِ.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[2]

وَقُرِئَ: (تُقَلَّبُ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَتُقَلِّبُ: بِمَعْنَى يَتَقَلَّبُ، وَنُقَلِّبُ، أَيْ: نُقَلِّبُ نَحْنُ.

وَتُقَلِّبُ: عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلسَّعِيرِ.

وَمَعْنَى تَقْلِيبِهَا: تَصْرِيفُهَا في الْجِهَاتِ، كَمَا تَرَى الْبُضْعَةَ تَدُورُ في الْقَدْرِ إِذَا غَلَتْ، فَتَرَامَى بِهَا الْغَلَيَانُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ. أَوْ تَغْيِيرُهَا عَنْ أَحْوَالِهَا وَتَحْوِيلُهَا عَنْ هَيْئَاتِهَا. أَوْ طَرْحُهَا في النَّارِ مَقْلُوبِينَ مَنْكُوسِينَ.

وَخُصَّتِ الْوُجُوهُ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الْوَجْهَ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ في الْإِنْسَانِ مِنْ جَسَدِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْوَجْهُ عِبَارَةً عَنِ الْجُمْلَةِ.

وَنَاصِبُ الظَّرْفِ: "يَقُولُونَ " أَوْ مَحْذُوفٌ، وَهُوَ "اذْكُرْ". وَإِذَا نُصِبَ بِالْمَحْذُوفِ، كَانَ "يَقُولُونَ" حَالًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[1]

وَقُرِئَ: (سَادَتَنَا) وَ(سَادَاتَنَا): وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَقَّنُوهُمُ الْكُفْرَ وَزَيَّنُوهُ لَهُمْ.

يُقَالُ: ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَضَلَّهُ إِيَّاهُ، وَزِيَادَةُ الْأَلِفِ لِإِطْلَاقِ الصَّوْتِ: جُعِلَتْ، فَوَاصِلُ الْآيِ كَقَوَافِي الشِّعْرِ. وَفَائِدَتُهَا: الْوَقْفُ وَالدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ قَدِ انْقَطَعَ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفٌ.

وَقُرِئَ: (كَثِيرًا) تَكْثِيرًا لِإِعْدَادِ اللَّعَائِنِ.

وَ(كَبِيرًا) لِيَدُلَّ عَلَى أَشَدِّ اللَّعْنِ وَأَعْظَمِهِ.

"ضِعْفَيْنِ": ضِعْفًا لِضَلَالِهِ وَضِعْفًا لِإِضْلَالِهِ: يَعْتَرِفُونَ، وَيَسْتَغِيثُونَ، وَيَتَمَنَّوْنَ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[2]

﴿لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾[3]، قِيلَ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْدٍ وَزَيْنَبَ، وَمَا سُمِعَ فِيهِ مِنْ قَالَةِ بَعْضِ النَّاسِ.

وَقِيلَ: فِي أَذَى مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: هُوَ حَدِيثُ الْمُومِسَةِ الَّتِي أَرَادَهَا قَارُونُ عَلَى قَذْفِهِ بِنَفْسِهَا.

وَقِيلَ: اتِّهَامُهُمْ إِيَّاهُ بِقَتْلِ هَارُونَ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ الْجَبَلَ فَمَاتَ هُنَاكَ، فَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَمَرُّوا بِهِ عَلَيْهِمْ مَيِّتًا، فَأَبْصَرُوهُ حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ غَيْرُ مَقْتُولٍ.

وَقِيلَ: أَحْيَاهُ اللَّهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِبَرَاءَةِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

وَقِيلَ: قَرَفُوهُ بِعَيْبٍ فِي جَسَدِهِ مِنْ بَرَصٍ أَوْ أُدْرَةٍ، فَأَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

"وَجِيهًا": ذَا جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَهُ، فَلِذَلِكَ كَانَ يُمِيطُ عَنْهُ التُّهَمَ، وَيَدْفَعُ الْأَذَى، وَيُحَافِظُ عَلَيْهِ، لِئَلَّا يَلْحَقَهُ وَصْمٌ وَلَا يُوصَفُ بِنَقِيصَةٍ، كَمَا يَفْعَلُ الْمَلِكُ بِمَنْ بِهِ عِنْدَهُ قُرْبَةٌ وَوَجَاهَةٌ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْأَعْمَشُ وَأَبُو حَيْوَةَ: (وَكَانَعَبْدُ اللَّهِ وَجِيهًا).

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ شُنْبُوذٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَؤُهَا.

وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ أَوْجَهُ، لِأَنَّهَا مُفْصِحَةٌ عَنْ وَجَاهَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[1]، وَهَذِهِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿مِمَّا قَالُوا﴾[2]، مَعْنَاهُ: مِنْ قَوْلِهِمْ، أَوْ مِنْ مَقُولِهِمْ، لِأَنَّ "مَا" إِمَّا مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ، وَأَيُّهُمَا كَانَ فَكَيْفَ تَصِحُّ الْبَرَاءَةُ مِنْهُ؟

قُلْتُ: الْمُرَادُ بِالْقَوْلِ أَوِ الْمَقُولُ: مُؤَدَّاهُ وَمَضْمُونُهُ. وَهُوَ الْأَمْرُ الْمَعِيبُ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ سَمَّوُا السُّبَّةَ بِالْقَالَةِ، وَالْقَالَةَ بِمَعْنَى الْقَوْلِ؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾[4]: قَاصِدًا إِلَى الْحَقِّ.

وَالسَّدَادِ: الْقَصْدُ إِلَى الْحَقِّ، وَالْقَوْلُ بِالْعَدْلِ.

يُقَالُ: سَدَّدَ السَّهْمَ نَحْوَ الرَّمْيَةِ: إِذَا لَمْ يَعْدِلْ بِهِ عَنْ سَمْتِهَا، كَمَا قَالُوا: سَهْمٌ قَاصِدٌ.

وَالْمُرَادُ: نَهْيُهُمْ عَمَّا خَاضُوا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَعَدْلٍ فِي الْقَوْلِ، وَالْبَعْثُ عَلَى أَنْ يَسُدَّ قَوْلُهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ، لِأَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ وَسَدَادَ الْقَوْلِ رَأْسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَالْمَعْنَى: رَاقِبُوا اللَّهَ فِي حِفْظِ أَلْسِنَتِكُمْ، وَتَسْدِيدِ قَوْلِكُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ أَعْطَاكُمُ اللَّهُ مَا هُوَ غَايَةُ الطِّلْبَةِ: مِنْ تَقَبُّلِ حَسَنَاتِكُمْ وَالْإِثَابَةِ عَلَيْهَا، وَمِنْ مَغْفِرَةِ سَيِّئَاتِكُمْ وَتَكْفِيرِهَا.

وَقِيلَ: إِصْلَاحُ الْأَعْمَالِ التَّوْفِيقُ فِي الْمَجِيءِ بِهَا صَالِحَةً مَرْضِيَّةً، وَهَذِهِ الْآيَةُ مُقَرِّرَةٌ لِلَّتِي قَبْلَهَا، بُنِيَتْ تِلْكَ عَلَى النَّهْيِ عَمَّا يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَهَذِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، لِيَتَرَادَفَ عَلَيْهِمُ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ، مَعَ إِتْبَاعِ النَّهْيِ مَا يَتَضَمَّنُ الْوَعِيدَ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامَ-، وَإِتْبَاعِ الْأَمْرِ الْوَعْدَ الْبَلِيغَ، فيقْوَى الصَّارِفُ عَنِ الْأَذَى وَالدَّاعِي إِلَى تَرْكِهِ، لِمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1] وَعَلَّقَ بِالطَّاعَةِ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ، أَتْبَعَهُ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾[2]، وَهُوَ يُرِيدُ بِالْأَمَانَةِ: الطَّاعَةَ، فَعَظَّمَ أَمْرَهَا وَفَخَّمَ شَأْنَهَا.

وَفِيهِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامَ الْعِظَامَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ قَدِ انْقَادَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ -عَزَّ وَعَلَا- انْقِيَادَ مِثْلِهَا -وَهُوَ مَا يَتَأَتَّى مِنَ الْجَمَادَاتِ-، وَأَطَاعَتْ لَهُ الطَّاعَةَ الَّتِي تَصِحُّ مِنْهَا وَتَلِيقُ بِهَا. حَيْثُ لَمْ تَمْتَنِعْ عَلَى مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ إِيجَادًا وَتَكْوِينًا وَتَسْوِيَةً عَلَى هَيْئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ، كَمَا قَالَ: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[3].

وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلَمْ تَكُنْ حَالُهُ -فِيمَا يَصِحُّ مِنْهُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَيَلِيقُ بِهِ مِنَ الِانْقِيَادِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، وَهُوَ حَيَوَانٌ عَاقِلٌ صَالِحٌ لِلتَّكْلِيفِ- مِثْلَ حَالِ تِلْكَ الْجَمَادَاتِ فِيمَا يَصِحُّ مِنْهَا وَيَلِيقُ بِهَا مِنَ الِانْقِيَادِ وَعَدَمِ الِامْتِنَاعِ.

وَالْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ: الطَّاعَةُ، لِأَنَّهَا لَازِمَةُ الْوُجُودِ، كَمَا أَنَّ الْأَمَانَةَ لَازِمَةُ الْأَدَاءِ.

وَعَرْضُهَا عَلَى الْجَمَادَاتِ وَإِبَاؤُهَا وَإِشْفَاقُهَا: مَجَازٌ.

وَأَمَّا حَمْلُ الْأَمَانَةِ، فَمِنْ قَوْلِكَ: فُلَانٌ حَامِلٌ لِلْأَمَانَةِ وَمُحْتَمِلٌ لَهَا، تُرِيدُ: أَنَّهُ لَا يُؤَدِّيهَا إِلَى صَاحِبِهَا، حَتَّى تَزُولَ عَنْ ذِمَّتِهِ وَيَخْرُجَ عَنْ عُهْدَتِهَا، لِأَنَّ الْأَمَانَةَ كَأَنَّهَا رَاكِبَةٌ لِلْمُؤْتَمَنِ عَلَيْهَا وَهُوَ حَامِلُهَا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ: رَكِبَتْهُ الدُّيُونُ، وَلِي عَلَيْهِ حَقٌّ، فَإِذَا أَدَّاهَا لَمْ تَبْقَ رَاكِبَةً لَهُ وَلَا هُوَ حَامِلًا لَهَا؟

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ: لَا يَمْلِكُ مَوْلًى لِمَوْلًى نَصْرًا. يُرِيدُونَ: أَنَّهُ يَبْذُلُ النُّصْرَةَ لَهُ وَيُسَامِحُهُ بِهَا، وَلَا يُمْسِكُهَا كَمَا يُمْسِكُهَا الْخَاذِلُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

أَخُوكَ الَّذِي لَا تَمْلِكُ الْحِسُّ نَفْسَهُ وَتَرْفَضُّ عِنْدَ الْمُحْفِظَاتِ الْكَتَائِفُ

أَيْ: لَا يُمْسِكُ الرِّقَّةَ وَالْعَطْفَ إِمْسَاكَ الْمَالِكِ الضَّنِّينِ مَا فِي يَدِهِ، بَلْ يَبْذُلُ ذَلِكَ وَيَسْمَحُ بِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَبْغِضْ حَقَّ أَخِيكَ؟ لِأَنَّهُ إِذَا أَحَبَّهُ لَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى أَخِيهِ وَلَمْ يُؤَدِّهِ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ أَخْرَجَهُ وَأَدَّاهُ؛ فَمَعْنَى: فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، فَأَبَيْنَ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّينَهَا وَأَبَى الْإِنْسَانُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُحْتَمِلًا لَهَا لَا يُؤَدِّيهَا.

ثُمَّ وَصَفَهُ بِالظُّلْمِ لِكَوْنِهِ تَارِكًا لِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَبِالْجَهْلِ لِإِخْطَائِهِ مَا يُسْعِدُهُ مَعَ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ، وَهُوَ أَدَاؤُهَا.

– وَالثَّانِي: أَنَّ مَا كَلَّفَهُ الْإِنْسَانُ بَلَغَ مِنْ عِظَمِهِ وَثِقَلِ مَحْمَلِهِ: أَنَّهُ عُرِضَ عَلَى أَعْظَمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرَامِ وَأَقْوَاهُ وَأَشَدِّهِ: أَنْ يَتَحَمَّلَهُ وَيَسْتَقِلَّ بِهِ، فَأَبَى حَمْلَهُ وَالِاسْتِقْلَالَ بِهِ وَأَشْفَقَ مِنْهُ، وَحَمَلَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى ضَعْفِهِ وَرَخَاوَةِ قُوَّتِهِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾[1] حَيْثُ حَمَلَ الْأَمَانَةَ ثُمَّ لَمْ يَفِ بِهَا، وَضَمِنَهَا ثُمَّ خَاسَ بِضَمَانِهِ فِيهَا، وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ كَثِيرٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.

وَمَا جَاءَ الْقُرْآنُ إِلَّا عَلَى طُرُقِهِمْ وَأَسَالِيبِهِمْ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: لَوْ قِيلَ لِلشَّحْمِ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ لَقَالَ: أُسَوِّي الْعِوَجَ، وَكَمْ وَكَمْ لَهُمْ مِنْ أَمْثَالٍ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ.

وَتَصَوُّرُ مُقَاوَلَةِ الشَّحْمِ مُحَالٌ، وَلَكِنَّ الْغَرَضَ: أَنَّ السِّمَنَ فِي الْحَيَوَانِ مِمَّا يُحَسِّنُ قَبِيحَهُ، كَمَا أَنَّ الْعُجْفَ مِمَّا يُقَبِّحُ حُسْنَهُ، فَصُوِّرَ أَثَرُ السِّمَنِ فِيهِ تَصْوِيرًا هُوَ أَوْقَعُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ، وَهِيَ بِهِ آنَسُ وَلَهُ أَقْبَلُ، وَعَلَى حَقِيقَتِهِ أَوْقَفُ، وَكَذَلِكَ تَصْوِيرُ عِظَمِ الْأَمَانَةِ وَصُعُوبَةِ أَمْرِهَا وَثِقَلِ مَحْمَلِهَا وَالْوَفَاءِ بِهَا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ عُلِمَ وَجْهُ التَّمْثِيلِ في قَوْلِهِمْ لِلَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ: أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى، لِأَنَّهُ مُثِّلَتْ حَالُهُ –في تَمَيُّلِهِ وَتَرَجُّحِهِ بَيْنَ الرَّأْيَيْنِ وَتَرْكِهِ الْمُضِيَّ عَلَى أَحَدِهِمَا– بِحَالِ مَنْ يَتَرَدَّدُ في ذَهَابِهِ، فَلَا يَجْمَعُ رِجْلَيْهِ لِلْمُضِيِّ في وَجْهِهِ.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُمَثَّلِ وَالْمُمَثَّلِ بِهِ شَيْءٌ مُسْتَقِيمٌ دَاخِلٌ تَحْتَ الصِّحَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا في هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّ عَرْضَ الْأَمَانَةِ عَلَى الْجَمَادِ وَإِبَاءَهُ وَإِشْفَاقَهُ مُحَالٌ في نَفْسِهِ، غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ، فَكَيْفَ صَحَّ بِنَاءُ التَّمْثِيلِ عَلَى الْمُحَالِ، وَمَا مِثَالُ هَذَا إِلَّا أَنَّ تُشَبِّهَ شَيْئًا وَالْمُشَبَّهُ بِهِ غَيْرُ مَعْقُولٍ.

قُلْتُ: الْمُمَثَّلُ بِهِ في الْآيَةِ، وَفى قَوْلِهِمْ: لَوْ قِيلَ لِلشَّحْمِ أَيْنَ تَذْهَبُ. وَفى نَظَائِرِهِ مَفْرُوضٌ، وَالْمَفْرُوضَاتُ تُتَخَيَّلُ في الذِّهْنِ كَمَا الْمُحَقَّقَاتُ: مُثِّلَتْ حَالَ التَّكْلِيفِ في صُعُوبَتِهِ وَثِقَلِ مَحْمَلِهِ بِحَالَةِ الْمَفْرُوضَةِ لَوْ عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا.

وَاللَّامُ في "لِيُعَذِّبَ" لَامُ التَّعْلِيلِ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، لِأَنَّ التَّعْذِيبَ نَتِيجَةُ حَمْلِ الْأَمَانَةِ، كَمَا أَنَّ التَّأْدِيبَ في ضَرَبْتُهُ لِلتَّأْدِيبِ نَتِيجَةَ الضَّرْبِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: (وَيَتُوبَ)، لِيَجْعَلَ الْعِلَّةَ قَاصِرَةً عَلَى فِعْلِ الْحَامِلِ.

وَيَبْتَدِئُ: وَيَتُوبُ اللَّهُ.

وَمَعْنَى قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ: لِيُعَذِّبَ اللَّهُ حَامِلَ الْأَمَانَةِ وَيَتُوبَ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَحْمِلْهَا، لِأَنَّهُ إِذَا تِيبَ عَلَى الْوَافي، كَانَ ذَلِكَ نَوْعًا مِنْ عَذَابِ الْغَادِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، أُعْطِيَ الْأَمَانَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ".

سُورَةُ سَبَإٍ

سورة سبأ

مَكِّيَّةٌ، [إِلَّا آيَةَ 6 فَمَدَنِيَّةٌ]
وَآيَاتُهَا 54 [نَزَلَتْ بَعْدَ لُقْمَانَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[1]

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ يُحْمَدَ وَيُثْنَى عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِ.

وَلَمَّا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2]، ثُمَّ وَصَفَ ذَاتَهُ بِالْإِنْعَامِ بِجَمِيعِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَانَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الدُّنْيَا، كَمَا تَقُولُ: أَحْمِدْ أَخَاكَ الَّذِي كَسَاكَ وَحَمَلَكَ، تُرِيدُ: أَحْمِدْهُ عَلَى كُسْوَتِهِ وَحُمْلَانِهِ.

وَلَمَّا قَالَ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾[3]، عُلِمَ أَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى نِعَمِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الثَّوَابُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدَيْنِ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: أَمَّا الْحَمْدُ في الدُّنْيَا فَوَاجِبٌ، لِأَنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ مُتَفَضَّلٍ بِهَا، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى تَحْصِيلِ نِعْمَةِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ.

وَأَمَّا الْحَمْدُ في الْآخِرَةِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، لِأَنَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ وَاجِبَةِ الْإِيصَالِ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا، وَإِنَّمَا هُوَ تَتِمَّةُ سُرُورِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكْمِلَةُ اغْتِبَاطِهِمْ: يَلْتَذُّونَ بِهِ كَمَا يَلْتَذُّ مَنْ بِهِ الْعِطَاشُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾[1] الَّذِي أَحْكَمَ أُمُورَ الدَّارَيْنِ وَدَبَّرَهَا بِحِكْمَتِهِ "الْخَبِيرُ" بِكُلِّ كَائِنٍ يَكُونُ.

ثُمَّ ذَكَّرَهَا مِمَّا يُحِيطُ بِهِ عِلْمًا ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾[2] مِنَ الْغَيْثِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ﴾[3]، وَمِنَ الْكُنُوزِ وَالدَّفَائِنِ وَالْأَمْوَاتِ، وَجَمِيعِ مَا هِيَ لَهُ كِفَاتٌ.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾[4] مِنَ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ، وَمَاءِ الْعُيُونِ، وَالْغَلَّةِ، وَالدَّوَابِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾[5] مِنَ الْأَمْطَارِ وَالثُّلُوجِ وَالْبَرَدِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْمَلَائِكَةِ وَأَنْوَاعِ الْبَرَكَاتِ وَالْمَقَادِيرِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[6].

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[7] مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ، "وَهُوَ" مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِهِ وَسُبُوغِ فَضْلِهِ.

﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[8] لِلْمُفَرِّطِينَ في أَدَاءِ مَوَاجِبِ شُكْرِهَا. وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: تَنَزَّلُ، بِالنُّونِ وَالتَّشْدِيدِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة الزُّمَرِ، الآية 21.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سورة الذَّارِيَاتِ، الآية 22.

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[8] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]

قَوْلُهُمْ: ﴿لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾[2] نَفى لِلْبَعْثِ وَإِنْكَارٌ لِمَجِيءِ السَّاعَةِ. أَوِ اسْتِبْطَاءٌ لِمَا قَدْ وُعِدُوهُ مِنْ قِيَامِهَا عَلَى سَبِيلِ الْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، كَقَوْلِهِمْ: (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ).

أَوْجَبَ مَا بَعْدَ النَّفى بِبلَى عَلَى الْمَعْنَى: أَنْ لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا إِتْيَانَهَا، ثُمَّ أُعِيدَ إِيجَابُهُ مُؤَكَّدًا بِمَا هُوَ الْغَايَةُ في التَّوْكِيدِ وَالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ التَّوْكِيدُ بِالْيَمِينِ بِاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، ثُمَّ أَمَدَّ التَّوْكِيدَ الْقَسَمِيَّ إِمْدَادًا بِمَا أَتْبَعَ الْمُقْسَمَ بِهِ مِنَ الْوَصْفِ بِمَا وُصِفَ بِهِ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيَجْزِيَ﴾[3]، لِأَنَّ عَظَمَةَ حَالِ الْمُقْسَمِ بِهِ تُؤْذِنُ بِقُوَّةِ حَالِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ وَشِدَّةِ ثَبَاتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِشْهَادِ عَلَى الْأَمْرِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْمُسْتَشْهَدُ بِهِ أَعْلَى كَعْبًا وَأَبْيَنَ فَضْلًا وَأَرْفَعَ مَنْزِلَةً، كَانَتِ الشَّهَادَةُ أَقْوَى وَآكَدَ، وَالْمُسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ أَثْبَتَ وَأَرْسَخَ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ لِلْوَصْفِ الَّذِي وُصِفَ بِهِ الْمُقْسَمُ بِهِ وَجْهُ اخْتِصَاصٍ بِهَذَا الْمَعْنَى؟

قُلْتُ: نَعَمْ وَذَلِكَ أَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ مِنْ مَشَاهِيرِ الْغُيُوبِ، وَأَدْخَلِهَا في الْخُفيةِ، وَأَوَّلُهَا مُسَارَعَةً إِلَى الْقَلْبِ: إِذَا قِيلَ: عَالِمُ الْغَيْبِ، فَحِينَ أَقْسَمَ بِاسْمِهِ عَلَى إِثْبَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ثُمَّ وَصَفَ بِمَا يَرْجِعُ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ، وَأَنَّهُ لَا يَفُوتُ عِلْمَهُ شَيْءٌ مِنَ الْخَفيات، وَانْدَرَجَ تَحْتَهُ إِحَاطَتُهُ بِوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَجَاءَ مَا تَطْلُبُهُ مِنْ وَجْهِ الِاخْتِصَاصِ مَجِيئًا وَاضِحًا.

فَإِنْ قُلْتَ: النَّاسُ قَدْ أَنْكَرُوا إِتْيَانَ السَّاعَةِ وَجَحَدُوهُ، فَهَبْ أَنَّهُ حَلَفَ لَهُمْ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِمْ جَهْدَ الْقَسَمِ، فيمِينُ مَنْ هُوَ في مُعْتَقَدِهِمْ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كَيْفَ تَكُونُ مُصَحِّحَةً لِمَا أَنْكَرُوهُ؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: هَذَا لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى الْيَمِينِ وَلَمْ يَتْبَعْهَا الْحُجَّةُ الْقَاطِعَةُ الْبَيِّنَةُ السَّاطِعَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿لِيَجْزِيَ﴾[1]، فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ في الْعُقُولِ وَرَكَّبَ في الْغَرَائِزِ وُجُوبَ الْجَزَاءِ، وَأَنَّ الْمُحْسِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ثَوَابٍ، وَالْمُسِيءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عِقَابٍ.

وَقَوْلُهُ: "لِيَجْزِيَ" مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[2] تَعْلِيلًا لَهُ.

قُرِئَ: (لَتَأْتِيَنَّكُمْ) بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ. وَوَجْهُ مَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ: أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُهُ لِلسَّاعَةِ بِمَعْنَى الْيَوْمِ. أَوْ يُسْنِدُ عَالِمَ الْغَيْبِ، أَيْ: لَيَأْتِيَنَّكُمْ أَمْرُهُ، كَمَا قَالَ –تَعَالَى–: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[3]، وَقَالَ:﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[4].

وَقُرِئَ: (عَالِمِ الْغَيْبِ) وَ (عَلَّامِ الْغَيْبِ): بِالْجَرِّ، صِفَةً لِرَبِّي.

وَعَالِمُ الْغَيْبِ، وَعَالِمُ الْغُيُوبِ: بِالرَّفْعِ، عَلَى الْمَدْحِ.

وَلَا يَعْزُبُ: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ في الزَّايِ، مِنَ الْعُزُوبِ، وَهُوَ الْبُعْدُ.

يُقَالُ: رَوْضٌ غَزِيبٌ: بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ.

﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾[5]: مِقْدَارَ أَصْغَرِ نَمْلَةٍ "ذَلِكَ " إِشَارَةٌ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ.

وَقُرِئَ: (وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ). بِالرَّفْعِ عَلَى أَصْلِ الِابْتِدَاءِ. وَبِالْفَتْحِ عَلَى نَفْيِ الْجِنْسِ، كَقَوْلِكَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. وَهُوَ كَلَامٌ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَصِحُّ عَطْفُ الْمَرْفُوعِ عَلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ وَزِيَادَةٌ، لَا لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ.

وَعَطْفُ الْمَفْتُوحِ عَلَى ذَرَّةٍ بِأَنَّهُ فَتْحٌ في مَوْضِعِ الْجَرِّ لِامْتِنَاعِ الصَّرْفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَلَا مِثْقَالُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ؟

قُلْتُ: يَأْبَى ذَلِكَ حَرْفُ الِاسْتِثْنَاءِ، إِلَّا إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ في "عَنْهُ" لِلْغَيْبِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة الْأَنْعَامِ، الآية 158.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَجَعَلْتَ "الْغَيْبَ" اسْمًا لِلْخَفِيَاتِ. قَبْلَ أَنْ تُكْتَبَ فِي اللَّوْحِ لِأَنَّ إِثْبَاتَهَا فِي اللَّوْحِ مِنَ الْبُرُوزِ عَنِ الْحِجَابِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ الْغَيْبِ شَيْءٌ، وَلَا يَزِلُّ عَنْهُ إِلَّا مَسْطُورًا فِي اللَّوْحِ.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[1]

وَقُرِئَ: (مُعَجِّزِينَ). وَ(أَلِيمٌ)، وَبِالرَّفْعِ وَالْجَرِّ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: الرِّجْزُ: سُوءُ الْعَذَابِ.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2]

وَيَرَى فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ، أَيْ: وَيَعْلَمُ أُولُو الْعِلْمِ، يَعْنِي أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَنْ يَطَأُ أَعْقَابَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ. أَوْ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، مِثْلَ: كَعْبِ الْأَحْبَارِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ.... الْحَقُّ) هُمَا مَفْعُولَانِ لِيَرَى، وَهُوَ فَصْلُ مَنْ قَرَأَ (الْحَقُّ) بِالرَّفْعِ: جَعَلَهُ مُبْتَدَأً.

وَ"الْحَقُّ": خَبَرًا، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي.

وَقِيلَ: "يَرَى" فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ مَعْطُوفٌ عَلَى "لِيَجْزِيَ"، أَيْ: وَلِيَعْلَمَ أُولُو الْعِلْمِ عِنْدَ مَجِيءِ السَّاعَةِ أَنَّهُ الْحَقُّ. عِلْمًا لَا يُزَادُ عَلَيْهِ فِي الْإِيقَانِ، وَيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَى الَّذِينَ كَذَّبُوا وَتَوَلَّوْا.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: وَلِيَعْلَمَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنَ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ الْحَقُّ فيزْدَادُوا حَسْرَةً وَغَمًّا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾[1]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] قُرَيْشٌ.

قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾[3] يَعْنُونَ مُحَمَّدًا –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: يُحَدِّثُكُمْ بِأُعْجُوبَةٍ مِنَ الْأَعَاجِيبِ: أَنَّكُمْ تُبْعَثُونَ وَتَنْشَئُونَ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ تَكُونُوا رُفَاتًا وَتُرَابًا وَيُمَزِّقُ أَجْسَادَكُمُ الْبِلَى كُلَّ مُمَزَّقٍ، أَيْ: يُفَرِّقُكُمْ وَيُبَدِّدُ أَجْزَاءَكُمْ كُلَّ تَبْدِيدٍ. أَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فِيمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ؟ أَمْ بِهِ جُنُونٌ يُوهِمُهُ ذَلِكَ وَيُلْقِيهِ عَلَى لِسَانِهِ؟

ثُمَّ قَالَ –سُبْحَانَهُ– لَيْسَ مُحَمَّدٌ مِنَ الِافْتِرَاءِ وَالْجُنُونِ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ مُبَرَّأٌ مِنْهُمَا، بَلْ هَؤُلَاءِ الْقَائِلُونَ الْكَافِرُونَ بِالْبَعْثِ: وَاقِعُونَ فِي عَذَابِ النَّارِ فِيمَا يُؤَدِّيهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ وَهُمْ غَافِلُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَجَنُّ الْجُنُونِ وَأَشَدُّهُ إِطْبَاقًا عَلَى عُقُولِهِمْ: جَعَلَ وُقُوعَهُمْ فِي الْعَذَابِ رَسِيلًا لِوُقُوعِهِمْ فِي الضَّلَالِ، كَأَنَّهُمَا كَائِنَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّ الضَّلَالَ لَمَّا كَانَ الْعَذَابُ مِنْ لَوَازِمِهِ وَمُوجِبَاتِهِ، جُعِلَا كَأَنَّهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ مُقْتَرِنَانِ.

وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: يُنْبِيكُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ جَعَلْتَ الْمُمَزَّقَ مَصْدَرًا، كَبَيْتِ الْكِتَابِ:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِي الْقَوَافِي فَلَاعِيًّا بِهِنَّ وَلَا اجْتِلَابَا

فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَانًا؟

قُلْتُ: نَعَمْ. وَمَعْنَاهُ مَا حَصَلَ مِنَ الْأَمْوَاتِ فِي بُطُونِ الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ، وَمَا مَرَّتْ بِهِ السُّيُولُ فَذَهَبَتْ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَمَا سَفَتْهُ الرِّيَاحُ فَطَرَحَتْهُ كُلَّ مَطْرَحٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْعَامِلُ فِي إِذَا؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُلْتُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1]، وَقَدْ سَبَقَ نَظِيرُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْجَدِيدُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَمْ مَفْعُولٍ؟

قُلْتُ: هُوَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، تَقُولُ: جَدَّ فَهُوَ جَدِيدٌ، كَحَدَّ فَهُوَ حَدِيدٌ، وَقَلَّ فَهُوَ قَلِيلٌ. وَعِنْدَ الْكُوفِيينَ بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، مِنْ جَدَّهُ إِذَا قَطَعَهُ.

وَقَالُوا: هُوَ الَّذِي جَدَّهُ النَّاسِجُ السَّاعَةَ فِي الثَّوْبِ، ثُمَّ شَاعَ. وَيَقُولُونَ: وَلِهَذَا قَالُوا مِلْحَفَةٌ جَدِيدٌ، وَهِيَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2]، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أُسْقِطَتِ الْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ: "افْتَرَى" دُونَ قَوْلِهِ: "السِّحْرَ"، وَكِلْتَاهُمَا هَمْزَةُ وَصْلٍ؟

قُلْتُ: الْقِيَاسُ الطَّرْحُ، وَلِكَوْنِ أَمْرًا اضْطَرَّهُمْ إِلَى تَرْكِ إِسْقَاطِهَا فِي نَحْوِ "السِّحْرَ"، وَهُوَ خَوْفُ الْتِبَاسِ الِاسْتِفْهَامِ بِالْخَبَرِ، لِكَوْنِ هَمْزَةِ الْوَصْلِ مَفْتُوحَةً كَهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى وَصْفِ الضَّلَالِ بِالْبُعْدِ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ، لِأَنَّ الْبَعِيدَ صِفَةُ الضَّالِّ إِذَا بَعُدَ عَنِ الْجَادَّةِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ عَنْهَا بُعْدًا كَانَ أَضَلَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَشْهُورًا عَلَمًا فِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ إِنْبَاؤُهُ بِالْبَعْثِ شَائِعًا عِنْدَهُمْ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾[3]، فَنَكَّرُوهُ لَهُمْ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِمُ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ عَلَى مَجْهُولٍ فِي أَمْرٍ مَجْهُولٍ.

قُلْتُ: كَانُوا يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ الطَّنْزَ وَالسُّخْرِيَةَ، فَأَخْرَجُوهُ مَخْرَجَ التَّحَلِّي بِبَعْضِ الْأَحَاجِي الَّتِي يُتَحَاجَى بِهَا لِلضَّحِكِ وَالتَّلَهِّي مُتَجَاهِلِينَ بِهِ وَبِأَمْرِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 56.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[1]

أَعْمُوا فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُمَا حَيْثُمَا كَانُوا وَأَيْنَمَا سَارُوا أَمَامَهُمْ وَخَلْفَهُمْ مُحِيطَتَانِ بِهِمْ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِهِمَا، وَأَنْ يَخْرُجُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَلَمْ يَخَافُوا أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمْ أَوْ يُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا، لِتَكْذِيبِهِمُ الْآيَاتِ وَكُفْرِهِمْ بِالرَّسُولِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَبِمَا جَاءَ بِهِ، كَمَا فَعَلَ بِقَارُونَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾[2] النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْفِكْرِ فِيهِمَا وَمَا يَدُلَّانِ عَلَيْهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ ﴿لَآيَةً﴾[3] وَدَلَالَةً.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[4]، وَهُوَ الرَّاجِعُ إِلَى رَبِّهِ الْمُطِيعُ لَهُ، لِأَنَّ الْمُنِيبَ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبَعْثِ وَمِنْ عِقَابِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ.

قُرِئَ: (يَشَأْ وَيَخْسِفْ وَيُسْقِطْ): بِالْيَاءِ، لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[5]، وَبِالنُّونِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾[6]، وَكِسَفًا: بِفَتْحِ السِّينِ وَسُكُونِهِ.

وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ: (يَخْسِفُ بِهِمْ) بِالْإِدْغَامِ وَلَيْسَتْ بِقَوِيَّةٍ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمِنَ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]

﴿يَا جِبَالُ﴾[2] إِمَّا أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿فَضْلًا﴾[3]، وَإِمَّا مِنْ ﴿آتَيْنَا﴾[4] بِتَقْدِيرِ: قَوْلُنَا يَا جِبَالُ. أَوْ: قُلْنَا يَا جِبَالُ.

وَقُرِئَ: (أَوِّبِي) وَ (أُوبِي): مِنَ التَّأْوِيبِ. وَالْأَوْبِ: أَيْ رَجِّعِي مَعَهُ التَّسْبِيحَ. أَوِ ارْجِعِي مَعَهُ فِي التَّسْبِيحِ كُلَّمَا رَجَعَ فِيهِ، لِأَنَّهُ إِذَا رَجَّعَهُ، فَقَدْ رَجَعَ فِيهِ: وَمَعْنَى تَسْبِيحِ الْجِبَالِ: أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَخْلُقُ فِيهَا تَسْبِيحًا، كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ، فَيُسْمَعُ مِنْهَا مَا يُسْمَعُ مِنَ الْمُسَبِّحِ: مُعْجِزَةً لِدَاوُدَ.

وَقِيلَ: كَانَ يَنُوحُ عَلَى ذَنْبِهِ بِتَرْجِيعٍ وَتَحْزِينٍ، وَكَانَتِ الْجِبَالُ تُسْعِدُهُ عَلَى نَوْحِهِ بِأَصْدَائِهَا وَالطَّيْرُ بِأَصْوَاتِهَا.

وَقُرِئَ: (وَالطَّيْرُ) رَفْعًا وَنَصْبًا، عَطْفًا عَلَى لَفْظِ الْجِبَالِ وَمَحَلِّهَا.

وَجَوَّزُوا أَنْ يَنْتَصِبَ مَفْعُولًا مَعَهُ، وَأَنْ يُعْطَفَ عَلَى فَضْلًا، بِمَعْنَى وَسَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هَذَا النَّظْمِ وَبَيْنَ أَنْ يُقَالَ: ﴿آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[5] تَأْوِيبَ الْجِبَالِ مَعَهُ وَالطَّيْرِ؟

قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا.

أَلَا تَرَى إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْفَخَامَةِ الَّتِي لَا تَخْفَى مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى عِزَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَكِبْرِيَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، حَيْثُ جُعِلَتِ الْجِبَالُ مُنَزَّلَةً مَنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ الَّذِي إِذَا أَمَرَهُمْ أَطَاعُوا وَأَذْعَنُوا، وَإِذَا دَعَاهُمْ سَمِعُوا، وَأَجَابُوا: إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مَا مِنْ حَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَنَاطِقٍ وَصَامِتٍ، إِلَّا وَهُوَ مُنْقَادٌ لِمَشِيئَتِهِ، غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَلَى إِرَادَتِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[1]، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ لَيِّنًا كَالطِّينِ وَالْعَجِينِ وَالشَّمْعِ، يُصَرِّفُهُ بِيَدِهِ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا ضَرْبٍ بِمِطْرَقَةٍ.

وَقِيلَ: لَانَ الْحَدِيدُ فِي يَدِهِ لِمَا أُوتِيَ مِنْ شِدَّةِ الْقُوَّةِ. وَقُرِئَ: (صَابِغَاتٍ)، وَهِيَ الدُّرُوعُ الْوَاسِعَةُ الضَّافِيَةُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَهَا وَكَانَتْ قَبْلَ صَفَائِحَ.

وَقِيلَ: كَانَ يَبِيعُ الدِّرْعَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَيُنْفِقُ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ.

وَقِيلَ: كَانَ يَخْرُجُ حِينَ مَلَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَنَكِّرًا، فَيَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي دَاوُدَ؟ فَيُثْنُونَ عَلَيْهِ، فَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَسَأَلَهُ عَلَى عَادَتِهِ، فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْلَا خَصْلَةٌ فِيهِ فَرِيعَ دَاوُدُ، فَسَأَلَهُ؟ فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّهُ يُطْعِمُ عِيَالَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَسَأَلَ عِنْدَ ذَلِكَ رَبَّهُ أَنْ يُسَبِّبَ لَهُ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ.

﴿وَقَدِّرْ﴾[2] لَا تَجْعَلِ الْمَسَامِيرَ دِقَاقًا فَتُقْلَقُ، وَلَا غِلَاظًا فَتُفْصَمُ الْحِلَقُ.

وَالسَّرْدُ: نَسْجُ الدُّرُوعِ.

﴿وَاعْمَلُوا﴾[3] الضَّمِيرُ لِدَاوُدَ وَأَهْلِهِ ﴿وَ﴾[4] سَخَّرْنَا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾[5] فِيمَنْ نَصَبَ: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ مُسَخَّرَةٌ، فِيمَنْ رَفَعَ، وَكَذَلِكَ فِيمَنْ قَرَأَ: الرِّيَاحُ بِالرَّفْعِ.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾[6] جَرْيُهَا بِالْغَدَاةِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَرْيُهَا بِالْعَشِيِّ كَذَلِكَ. وَقُرِئَ: (غَدَوْتُهَا وَرَوْحَتُهَا).

وَعَنْ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: كَانَ يَغْدُو، فَيَقِيلُ بِاصْطَخْرَ، ثُمَّ يَرُوحُ فَيَكُونُ رَوَاحُهُ بِكَابُلَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَيُحْكَى أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى مَكْتُوبًا فِي مَنْزِلٍ بِنَاحِيَةِ دِجْلَةَ كَتَبَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ: نَحْنُ نَزَلْنَاهُ وَمَا بَنَيْنَاهُ وَمَبْنِيًّا وَجَدْنَاهُ، غَدَوْنَا مِنَ اصْطَخْرَ فَقُلْنَاهُ، وَنَحْنُ رَائِحُونَ مِنْهُ فَبَائِتُونَ بِالشَّامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. الْقِطْرُ: النُّحَاسُ الْمُذَابُ مِنَ الْقَطِرَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَاذَا أَرَادَ بِعَيْنِ الْقِطْرِ؟

قُلْتُ: أَرَادَ بِهَا مَعْدِنَ النُّحَاسِ وَلَكِنَّهُ أَسَالَهُ كَمَا أَلَانَ الْحَدِيدَ لِدَاوُدَ، فَنَبَعَ كَمَا يَنْبُعُ الْمَاءُ مِنَ الْعَيْنِ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ عَيْنَ الْقِطْرِ بِاسْمِ مَا آلَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[1]، وَقِيلَ: كَانَ يَسِيلُ فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[2]: بِأَمْرِهِ.

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾[3]: وَمَنْ يَعْدِلُ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾[4] الَّذِي أَمَرْنَاهُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ سُلَيْمَانَ .

وَقُرِئَ: (يَزِغْ مِنْ أَزَاغَهُ). وَعَذَابُ السَّعِيرِ: عَذَابُ الْآخِرَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، وَعَنِ السُّدِّيِّ: كَانَ مَعَهُ مَلَكٌ بِيَدِهِ سَوْطٌ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا اسْتَعْصَى عَلَيْهِ ضَرَبَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ الْجِنِّيُّ.

الْمَحَارِيبُ: الْمَسَاكِنُ وَالْمَجَالِسُ الشَّرِيفَةُ الْمَصُونَةُ عَنِ الِابْتِذَالِ: سُمِّيَتْ مَحَارِيبَ، لِأَنَّهُ يُحَامَى عَلَيْهَا وَيُذَبُّ عَنْهَا. وَقِيلَ: هِيَ الْمَسَاجِدُ.

وَالتَّمَاثِيلُ: صُوَرُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ، كَانَتْ تُعْمَلُ فِي الْمَسَاجِدِ مِنْ نُحَاسٍ وَصُفْرٍ وَزُجَاجٍ وَرُخَامٍ لِيَرَاهَا النَّاسُ فَيَعْبُدُوا نَحْوَ عِبَادَتِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اسْتَجَازَ سُلَيْمَانُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– عَمَلَ التَّصَاوِيرِ؟

قُلْتُ: هَذَا مِمَّا يَجُوزُ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي الشَّرَائِعِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُقَبَّحَاتِ الْعَقْلِ كَالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: لَمْ يَكُنِ اتِّخَاذُ الصُّوَرِ إِذْ ذَاكَ مُحَرَّمًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ صُوَرِ الْحَيَوَانِ كَصُوَرِ الْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ التِّمْثَالَ كُلَّ مَا صُوِّرَ عَلَى مِثْلِ صُورَةِ غَيْرِهِ مِنْ حَيَوَانٍ وَغَيْرِ حَيَوَانٍ. أَوْ تُصَوَّرُ مَحْذُوفَةَ الرُّءُوسِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا لَهُ أَسَدَيْنِ فِي أَسْفَلِ كُرْسِيِّهِ، وَنَسْرَيْنِ فَوْقَهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصْعَدَ بَسَطَ الْأَسَدَانِ لَهُ ذِرَاعَيْهِمَا، وَإِذَا قَعَدَ أَظَلَّهُ النَّسْرَانِ بِأَجْنِحَتِهِمَا.

وَالْجَوَابِي: الْحِيَاضُ الْكِبَارُ، قَالَ:

تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُحَلِّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

لِأَنَّ الْمَاءَ يُجْبَى فِيهَا، أَيْ: يُجْمَعُ. جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا مَجَازًا وَهِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَالِيَةِ كَالدَّابَّةِ. وَقِيلَ: كَانَ يَقْعُدُ عَلَى الْجَفْنَةِ أَلْفُ رَجُلٍ.

وَقُرِئَ: بِحَذْفِ الْيَاءِ اكْتِفَاءً بِالْكَسْرَةِ. كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[1].

"رَسِيَّاتٍ" ثَابِتَاتٍ عَلَى الْأَثَافِي لَا تَنْزِلُ عَنْهَا لِعِظَمِهَا.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ﴾[2] حِكَايَةَ مَا قِيلَ لِآلِ دَاوُدَ.

وَانْتَصَبَ ﴿شُكْرًا﴾[3] عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، أَيِ: اعْمَلُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوهُ عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِنَعْمَائِهِ.

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ يَجِبُ أَنْ تُؤَدَّى عَلَى طَرِيقِ الشُّكْرِ. أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: شَاكِرِينَ. أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ اشْكُرُوا وَاشْكُرًا، لِأَنَّ عَمِلُوا فِيهِ مَعْنَى اشْكُرُوا، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْعَمَلَ لِلْمُنْعِمِ شُكْرٌ لَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِاعْمَلُوا مَفْعُولًا بِهِ.

وَمَعْنَاهُ: إِنَّا سَخَّرْنَا لَكُمُ الْجِنَّ يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا شِئْتُمْ، فَاعْمَلُوا أَنْتُمْ شُكْرًا عَلَى طَرِيقِ الْمُشَاكَلَةِ.

وَ﴿الشَّكُورُ﴾[4] الْمُتَوَفِّرُ عَلَى أَدَاءِ الشُّكْرِ، الْبَاذِلُ وُسْعَهُ فِيهِ: قَدْ شَغَلَ بِهِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ، اعْتِقَادًا وَاعْتِرَافًا وَكَدْحًا، وَأَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: مَنْ يَشْكُرُ عَلَى أَحْوَالِهِ كُلِّهَا.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الشُّكْرِ. وَقِيلَ: مَنْ يَرَى عَجْزَهُ عَنِ الشُّكْرِ.

وَعَنْ دَاوُدَ أَنَّهُ جَزَّأَ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَمْ تَكُنْ تَأْتِي سَاعَةٌ مِنَ السَّاعَاتِ إِلَّا وَإِنْسَانٌ مِنْ آلِ دَاوُدَ قَائِمٌ يُصَلِّي.

---

[1] سورة الْقَمَرَ، الآية 6.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ الله عَنْهُ– أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْقَلِيلِ"، فَقَالَ عُمَرُ: "مَا هَذَا الدُّعَاءُ؟"، فَقَالَ الرَّجُلُ: "إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، فَأَنَا أَدْعُوهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلِ"، فَقَالَ عُمَرُ: "كُلُّ النَّاسِ أَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ".

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[2]

قُرِئَ: (فَلَمَّا قَضَى عَلَيْهِ الْمَوْتَ) وَ (دَابَّةُ الْأَرْضِ): الْأَرَضَةُ، وَهِيَ الدُّوَيْبَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا السُّرْفَةُ وَالْأَرْضُ فِعْلُهَا، فَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ. يُقَالُ: أَرِضَتِ الْخَشَبَةُ أَرَضًا. إِذَا أَكَلَتْهَا الْأَرَضَةُ.

وَقُرِئَ بِفَتْحِ الرَّاءِ، مِنْ أَرِضَتِ الْخَشَبَةُ أَرَضًا، وَهُوَ مِنْ بَابِ فَعَلْتُهُ فَفَعِلَ، كَقَوْلِكَ: أَكَلَتِ الْقَوَادِحُ الْأَسْنَانَ أَكْلًا، فَأُكِلَتْ أَكْلًا. وَالْمِنْسَأَةُ: الْعَصَا، لِأَنَّهُ يُنْسَأُ بِهَا، أَيْ: يُطْرَدُ وَيُؤَخَّرُ.

وَقُرِئَ: بِفَتْحِ الْمِيمِ وَبِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ قَلْبًا وَحَذْفًا، وَكِلَاهُمَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ، وَلَكِنَّ إِخْرَاجَ الْهَمْزَةِ بَيْنَ بَيْنَ هُوَ التَّخْفِيفُ الْقِيَاسِيُّ.

وَمِنْسَاءَتَهُ عَلَى مِفْعَالَهِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمِيضَأَةِ مِيضَاءَةٌ.

وَمِنْ سَأَتِهِ، أَيْ: مِنْ طَرَفِ عَصَاهُ، سُمِّيَتْ بِسَأَةِ الْقَوْسِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ. وَفِيهَا لُغَتَانِ، كَقَوْلِهِمْ: قِحَةٌ وَقِحَةٌ.

وَقُرِئَ: (أَكَلَتْ مِنْسَأَتَهُ).

﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾[3] مِنْ تَبَيُّنِ الشَّيْءِ إِذَا ظَهَرَ وَتَجَلَّى.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَ﴿إِنَّ﴾[1] مَعَ صِلَتِهَا بَدَلٌ مِنَ الْجِنِّ بَدَلَ الِاشْتِمَالِ، كَقَوْلِكَ: تَبَيَّنَ زَيْدٌ جَهْلَهُ: وَالظُّهُورُ لَهُ فِي الْمَعْنَى، أَيْ: ظَهَرَ أَنَّ الْجِنَّ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ﴾[2] أَوْ عَلِمَ الْجِنُّ كُلُّهُمْ عِلْمًا بَيِّنًا -بَعْدَ الْتِبَاسِ الْأَمْرِ عَلَى عَامَّتِهِمْ وَضَعَفَتِهِمْ وَتَوَهُّمِهِمْ - أَنَّ كِبَارَهُمْ يُصَدِّقُونَ فِي ادِّعَائِهِمْ عِلْمَ الْغَيْبِ، أَوْ عِلْمَ الْمُدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ مِنْهُمْ عَجْزَهُمْ؛ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ وَإِنْ كَانُوا عَالِمِينَ قَبْلَ ذَلِكَ بِحَالِهِمْ.

وَإِنَّمَا أُرِيدَ: التَّهَكُّمَ بِهِمْ، كَمَا تَتَهَكَّمُ بِمُدَّعِي الْبَاطِلِ إِذَا دُحِضَتْ حُجَّتُهُ وَظَهَرَ إِبْطَالُهُ بِقَوْلِكَ: "هَلْ تَبَيَّنْتَ أَنَّكَ مُبْطِلٌ؟".

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ مُتَبَيِّنًا.

وَقُرِئَ: (تُبُيِّنَتِ الْجِنُّ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، عَلَى أَنَّ الْمُتَبَيَّنَ فِي الْمَعْنَى هُوَ ﴿أَنَّ﴾[3] مَعَ مَا فِي صِلَتِهَا، لِأَنَّهُ بَدَلٌ.

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: تَبَايَنَتِ الْإِنْسُ بِمَعْنَى: تَعَارَفَتْ وَتَعَالَمَتْ.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿كَانُوا﴾[4] لِلْجِنِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[5]، أَيْ عَلِمَتِ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانَ الْجِنُّ يَصْدُقُونَ فِيمَا يُوهِمُونَهُمْ مِنْ عِلْمِهِمُ الْغَيْبَ، مَا لَبِثُوا.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (تَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ).

رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمُدَدَ الطِّوَالَ، فَلَمَّا دَنَا أَجَلُهُ لَمْ يُصْبِحْ إِلَّا رَأَى فِي مِحْرَابِهِ شَجَرَةً نَابِتَةً قَدْ أَنْطَقَهَا اللَّهُ، فيسْأَلُهَا:" لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟"، فَتَقُولُ: لِكَذَا؛ حَتَّى أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَرَأَى الْخَرُّوبَةَ، فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: "نَبَتُّ لِخَرَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ"، فَقَالَ: "مَا كَانَ اللَّهُ لِيُخَرِّبَهُ وَأَنَا حَيٌّ، أَنْتِ الَّتِي عَلَى وَجْهِكِ هَلَاكِي وَخَرَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"، فَنَزَعَهَا وَغَرَسَهَا فِي حَائِطٍ لَهُ، وَقَالَ:

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

"اللَّهُمَّ عَمِّ عَنِ الْجِنِّ مَوْتِيَ، حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ وَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْإِنْسِ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ"، وَقَالَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ: "إِذَا أُمِرْتَ بِي، فَأَعْلِمْنِي"، فَقَالَ: "أُمِرْتُ بِكَ، وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْ عُمْرِكَ سَاعَةٌ"؛ فَدَعَا الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا عَلَيْهِ صَرْحًا مِنْ قَوَارِيرَ لَيْسَ لَهُ بَابٌ، فَقَامَ يُصَلِّي مُتَّكِئًا عَلَى عَصَاهُ، فَقُبِضَ رُوحُهُ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَيْهَا؛ وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَجْتَمِعُ حَوْلَ مِحْرَابِهِ أَيْنَمَا صَلَّى، فَلَمْ يَكُنْ شَيْطَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي صَلَاتِهِ إِلَّا احْتَرَقَ، فَمَرَّ بِهِ شَيْطَانٌ فَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ؛ فَنَظَرَ فَإِذَا سُلَيْمَانُ قَدْ خَرَّ مَيِّتًا، فَفَتَحُوا عَنْهُ فَإِذَا الْعَصَا قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَرَضَةُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَعْرِفُوا وَقْتَ مَوْتِهِ، فَوَضَعُوا الْأَرَضَةَ عَلَى الْعَصَا، فَأَكَلَتْ مِنْهَا فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِقْدَارًا، فَحَسَبُوا عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ مُنْذُ سَنَةٍ، وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَحْسَبُونَهُ حَيًّا؛ فَأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا الْغَيْبَ، لَمَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً.

وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَسَّسَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي مَوْضِعِ فُسْطَاطِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهُ، فَوَصَّى بِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ بِإِتْمَامِهِ، فَلَمَّا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ سَنَةٌ سَأَلَ أَنْ يُعَمَّى عَلَيْهِمْ مَوْتُهُ حَتَّى يَفْرَغُوا مِنْهُ، لِيَبْطُلَ دَعْوَاهُمْ عِلْمَ الْغَيْبِ.

رُوِيَ أَنَّ أَفْرِيدُونَ جَاءَ لِيَصْعَدَ كُرْسِيَّهُ، فَلَمَّا دَنَا ضَرَبَ الْأَسَدَانِ سَاقَهُ فَكَسَرَاهَا، فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدُ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ، وَكَانَ عُمْرُ سُلَيْمَانَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ سَنَةً: مَلَكَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَبَقِيَ فِي مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَابْتَدَأَ بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ مُلْكِهِ.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[1]

قُرِئَ: ﴿لِسَبَأٍ﴾[2] بِالصَّرْفِ وَمَنْعِهِ، وَقَلْبِ الْهَمْزَةِ أَلِفًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَمَسْكَنِهِمْ: بِفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِهَا، وَهُوَ مَوْضِعُ سُكْنَاهُمْ، وَهُوَ بَلَدُهُمْ وَأَرْضُهُمُ الَّتِي كَانُوا مُقِيمِينَ فيها، أَوْ مَسْكَنُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

وَقُرِئَ: (مَسَاكِنِهِمْ) وَ(جَنَّتَانِ) بَدَلٌ مِنْ آيَةٍ. أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: الْآيَةُ جَنَّتَانِ.

وَفِي الرَّفْعِ مَعْنَى الْمَدْحِ، تَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (جَنَّتَيْنِ) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى كَوْنِهِمَا آيَةً؟

قُلْتُ: لَمْ يَجْعَلِ الْجَنَّتَيْنِ فِي أَنْفُسِهِمَا آيَةً، وَإِنَّمَا جَعَلَ قِصَّتَهُمَا، وَأَنَّ أَهْلَهُمَا أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِ اللَّهِ –تَعَالَى– عَلَيْهِمَا فَخَرَّبَهُمَا، وَأَبْدَلَهُمْ عَنْهُمَا الْخَمْطَ وَالْأَثْلَ: آيَةً، وَعِبْرَةً لَهُمْ، لِيَعْتَبِرُوا وَيَتَّعِظُوا، فَلَا يَعُودُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَغَمْطِ النِّعَمِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَهُمَا آيَةً، أَيْ: عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَوُجُوبِ شُكْرِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عَظَّمَ اللَّهُ جَنَّتَيْ أَهْلِ سَبَأٍ وَجَعَلَهُمَا آيَةً، وَرُبَّ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَيَّاتِ الْعِرَاقِ يَحْتَفُّ بِهَا مِنَ الْجِنَانِ مَا شِئْتَ؟

قُلْتُ: لَمْ يُرِدْ بُسْتَانَيْنِ اثْنَيْنِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ جَمَاعَتَيْنِ مِنَ الْبَسَاتِينِ: جَمَاعَةً عَنْ يَمِينِ بَلَدِهِمْ، وَأُخْرَى عَنْ شِمَالِهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمَاعَتَيْنِ فِي تَقَارُبِهَا وَتَضَامِّهَا، كَأَنَّهَا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا تَكُونُ بِلَادُ الرِّيفِ الْعَامِرَةُ وَبَسَاتِينُهَا، أَوْ أَرَادَ بُسْتَانَيْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَنْ يَمِينِ مَسْكَنِهِ وَشِمَالِهِ، كَمَا قَالَ: جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾[1] إِمَّا حِكَايَةً لِمَا قَالَ لَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ الْمَبْعُوثُونَ إِلَيْهِمْ، أَوْ لِمَا قَالَ لَهُمْ لِسَانُ الْحَالِ. أَوْ هُمْ أَحِقَّاءُ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ.

وَلَمَّا قَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[2] أَتْبَعَهُ قَوْلَهُ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[3]، يَعْنِي: هَذِهِ الْبَلْدَةُ الَّتِي فيها رِزْقُكُمْ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ، وَرَبُّكُمُ الَّذِي رَزَقَكُمْ وَطَلَبَ شُكْرَكُمْ رَبٌّ غَفُورٌ لِمَنْ شَكَرَهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: كَانَتْ أَخْصَبَ الْبِلَادِ وَأَطْيَبَهَا: تَخْرُجُ الْمَرْأَةُ وَعَلَى رَأْسِهَا الْمِكْتَلُ، فَتَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَسِيرُ بَيْنَ تِلْكَ الشَّجَرِ، فيمْتَلِئُ الْمِكْتَلُ بِمَا يَتَسَاقَطُ فيهِ مِنَ الثَّمَرِ.

﴿طَيِّبَةً﴾[1]: لَمْ تَكُنْ سَبِخَةً .

وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ فيها بَعُوضٌ وَلَا ذُبَابٌ وَلَا بُرْغُوثٌ وَلَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ.

وَقُرِئَ: (بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبًّا غَفُورًا) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَدْحِ.

وَعَنْ ثَعْلَبٍ: مَعْنَاهُ اسْكُنْ وَاعْبُدْ "الْعَرِمُ" الْجُرُذُ الَّذِي نَقَبَ عَلَيْهِمُ السُّكَّرَ، ضَرَبَتْ لَهُمْ بِلْقِيسُ الْمَلِكَةُ بِسَدٍّ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ، فَحَقِنَتْ بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ، وَتَرَكَتْ فيهِ خُرُوقًا عَلَى مِقْدَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ سِقْيِهِمْ.

فَلَمَّا طَغَوْا قِيلَ: بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيُذَكِّرُونَهُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوهُمْ وَقَالُوا: "مَا نَعْرِفُ لِلَّهِ نِعْمَةً"، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى سَدِّهِمُ الْخُلْدَ، فَنَقَبَهُ مِنْ إِسْفَلِهِ، فَغَرَّقَهُمْ.

وَقِيلَ: الْعَرِمُ جَمْعُ عُرْمَةٍ: وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمَرْكُومَةُ. وَيُقَالُ لِلْكُدْسِ مِنَ الطَّعَامِ: عُرْمَةٌ. وَالْمُرَادُ: الْمُسْنَاةُ الَّتِي عَقَدُوهَا سُكْرًا.

وَقِيلَ: الْعَرِمُ اسْمُ الْوَادِي.

وَقِيلَ: الْعَرِمُ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ.

وَقُرِئَ: (الْعَرِمُ) بِسُكُونِ الرَّاءِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: كَانُوا فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ–

.

وَقُرِئَ: (أُكْلٍ) بِالضَّمِّ وَالسُّكُونِ، وَبِالتَّنْوِينِ وَالْإِضَافَةِ.

وَالْأُكُلُ: الثَّمَرُ.

وَالْخَمْطُ: شَجَرُ الْأَرَاكِ.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: كُلُّ شَجَرٍ ذِي شَوْكٍ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ نَبْتٍ أَخَذَ طَعْمًا مِنْ مَرَارَةٍ، حَتَّى لَا يُمْكِنَ أَكْلُهُ. وَالْأَثْلُ: شَجَرٌ يُشْبِهُ الطُّرْفَاءَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَجْوَدُ عُودًا.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَوَجْهُ مَنْ نَوَّنَ: أَنَّ أَصْلَهُ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ أُكُلٍ خَمْطٍ. فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. أَوْ وَصَفَ الْأَكْلَ بِالْخَمْطِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَوَاتَيْ أُكُلٍ بَشِعٍ.

وَمَنْ أَضَافَ، وَهُوَ أَبُو عُمَرَ وَحْدَهُ، فَلِأَنَّ أَكْلَ الْخَمْطِ فِي مَعْنَى الْبَرِيرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ذَوَاتَيْ بَرِيرٍ.

وَالْأَثْلُ وَالسِّدْرُ: مَعْطُوفَانِ عَلَى أُكُلٍ، لَا عَلَى خَمْطٍ، لِأَنَّ الْأَثْلَ لَا أُكُلَ لَهُ.

وَقُرِئَ: (وَأَثْلًا) وَ(شَيْئًا) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى جَنَّتَيْنِ. وَتَسْمِيَةُ الْبَدَلِ جَنَّتَيْنِ، لِأَجْلِ الْمُشَاكَلَةِ وَفِيهِ: ضَرْبٌ مِنَ التَّهَكُّمِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: قَالَ السِّدْرُ: لِأَنَّهُ أَكْرَمُ مَا بَدَّلُوا.

وَقُرِئَ: (وَهَلْ يُجَازَى) وَ (هَلْ نُجَازِي) بِالنُّونِ. وَ(هَلْ يُجَازِي) وَالْفَاعِلُ اللَّهُ وَحْدَهُ. وَ(هَلْ يَجْزِي).

وَالْمَعْنَى: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ لَا يَسْتَحِقُّهُ إِلَّا الْكَافِرُ، وَهُوَ الْعِقَابُ الْعَاجِلُ.

وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُ تُكَفَّرُ سَيِّئَاتُهُ بِحَسَنَاتِهِ، وَالْكَافِرُ يَحْبُطُ عَمَلُهُ، فيجَازَى بِجَمِيعِ مَا عَمِلَهُ مِنَ السُّوءِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ الْجَزَاءَ عَامٌّ لِكُلِّ مُكَافَأَةٍ، يُسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي مَعْنَى الْمُعَاقَبَةِ، وَأُخْرَى فِي مَعْنَى الْإِنَابَةِ.

فَلَمَّا اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنَى الْمُعَاقَبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾[1]، بِمَعْنَى: عَاقَبْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ، قِيلَ: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾[2] بِمَعْنَى: وَهَلْ يُعَاقَبُ؟ وَهُوَ الْوَجْهُ الصَّحِيحُ.

وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لَمْ قِيلَ: وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ، عَلَى اخْتِصَاصِ الْكَفُورِ بِالْجَزَاءِ، وَالْجَزَاءُ عَامٌّ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدِ الْجَزَاءَ الْعَامَّ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْخَاصَّ، وَهُوَ الْعِقَابُ، بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الْعُمُومُ وَلَيْسَ بِمَوْضِعِهِ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ: لَمْ يَصِحَّ وَلَمْ يَسُدَّ كَلَامًا؟

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

فَتَبَيَّنَ أَنَّ مَا يُتَخَيَّلُ مِنَ السُّؤَالِ مُضْمَحِلٌّ، وَأَنَّ الصَّحِيحَ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ مَا جَاءَ عَلَيْهِ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَفَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1]

﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[2]، وَهِيَ قُرَى الشَّامِ.

﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾[3]: مُتَوَاصِلَةً، يُرَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ لِتَقَارُبِهَا، فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِأَعْيُنِ النَّاظِرِينَ. أَوْ رَاكِبَةٌ مَتْنَ الطَّرِيقِ: ظَاهِرَةٌ لِلسَّابِلَةِ، لَمْ تَبْعُدْ عَنْ مَسَالِكِهِمْ حَتَّى تَخْفى عَلَيْهِمْ.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾[4]، قِيلَ: كَانَ الْغَادِي مِنْهُمْ يُقِيلُ فِي قَرْيَةٍ، وَالرَّائِحُ يَبِيتُ فِي قَرْيَةٍ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الشَّامَ لَا يَخَافُ جُوعًا وَلَا عَطَشًا وَلَا عَدُوًّا، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَمْلِ زَادٍ وَلَا مَاءٍ.

﴿سِيرُوا فِيهَا﴾[5]، وَقُلْنَا لَهُمْ: سِيرُوا وَلَا قَوْلَ ثَمَّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا مُكِّنُوا مِنَ السَّيْرِ وَسُوِّيَتْ لَهُمْ أَسْبَابُهُ، كَأَنَّهُمْ أُمِرُوا بِذَلِكَ وَأُذِنَ لَهُمْ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾[6]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: سِيرُوا فِيهَا، إِنْ شِئْتُمْ بِاللَّيْلِ وَإِنْ شِئْتُمْ بِالنَّهَارِ، فَإِنَّ الْأَمْنَ فِيهَا لَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ. أَوْ سِيرُوا فِيهَا آمِنِينَ لَا تَخَافُونَ.

وَإِنْ تَطَاوَلَتْ مُدَّةُ سَفَرِكُمْ وَامْتَدَّتْ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ، أَوْ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَكُمْ وَأَيَّامَكُمْ مُدَّةَ أَعْمَارِكُمْ، فَإِنَّكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَزَمَانٍ، لَا تَلْقَوْنَ فِيهَا إِلَّا الْأَمْنَ.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقُرِئَ: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وَبَعْدُ. (وَيَا رَبَّنَا) عَلَى الدُّعَاءِ، بَطَرُوا النِّعْمَةَ، وَبَشِمُوا مِنْ طِيبِ الْعَيْشِ، وَمَلُّوا الْعَافِيَةَ، فَطَلَبُوا الْكَدَّ وَالتَّعَبَ كَمَا طَلَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ مَكَانَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ جَنَى جِنَانَنَا أَبْعَدَ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ نَشْتَهِيَهُ، وَتَمَنَّوْا أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّأْمِ مَفَاوِزَ لِيَرْكَبُوا الرَّوَاحِلَ فيها وَيَتَزَوَّدُوا الْأَزْوَادَ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِجَابَةَ.

وَقُرِئَ: (رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وَبَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا عَلَى النِّدَاءِ، وَإِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى بَيْنَ وَرَفْعِهِ بِهِ، كَمَا تَقُولُ: سَيَّرَ فَرْسَخَانِ، وَبُوعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا.

وَقُرِئَ: (رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) وَ(بَيْنَ سَفَرِنَا) وَبَعْدُ، بِرَفْعِ رَبِّنَا عَلَى الِابْتِدَاءِ.

وَالْمَعْنَى خِلَافُ الْأَوَّلِ، وَهُوَ اسْتِبْعَادُ مَسَايِرِهِمْ عَلَى قِصَرِهَا وَدُنُوِّهَا لِفَرْطِ تَنَعُّمِهِمْ وَتَرَفُّهِهِمْ، كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَاجَوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَحَازَنُونَ عَلَيْهِ.

﴿أَحَادِيثَ﴾[1] يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهِمْ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَفَرَّقْنَاهُمْ تَفْرِيقًا اتَّخَذَهُ النَّاسُ مَثَلًا مَضْرُوبًا، يَقُولُونَ: ذَهَبُوا أَيْدِيَ سَبَأٍ، وَتَفَرَّقُوا أَيَادِيَ سَبَأٍ.

قَالَ كُثَيِّرٌ:

أَيَادِي سَبَا يَا عَزُّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَمْ يَحْلُ بَالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ

لَحِقَ غَسَّانُ بِالشَّامِ، وَأَنْمَارُ يَثْرِبَ، وَجُذَامُ بِتِهَامَةَ، وَالْأَزْدُ بِعُمَانَ.

"صَبَّارٍ" عَنِ الْمَعَاصِي لِلنِّعَمِ.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[2]

قُرِئَ: (صَدَّقَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَرُفِعَ إِبْلِيسُ وَنُصِبَ الظَّنُّ، فَمَنْ شَدَّدَ فَعَلَى: حَقَّقَ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ، أَوْ وَجَدَهُ صَادِقًا، وَمَنْ خَفَّفَ فَعَلَى: صَدَقَ في ظَنِّهِ أَوْ صَدَقَ يَظُنُّ ظَنًّا، نَحْوَ فَعْلَتَهُ جَهْدَكَ، وَبِنَصْبِ إِبْلِيسَ وَرَفْعِ الظَّنِّ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

فَمَنْ شَدَّدَ فَعَلَى: وَجَدَهُ ظَنَّهُ صَادِقًا، وَمَنْ خَفَّفَ فَعَلَى: قَالَ لَهُ ظَنَّهُ الصِّدْقَ حِينَ خَيَّلَهُ إِغْوَاءَهُمْ، يَقُولُونَ: صَدَقَكَ ظَنُّكَ، وَبِالتَّخْفِيفِ وَرَفْعِهِمَا عَلَى: صَدَقَ عَلَيْهِمْ ظَنُّ إِبْلِيسَ.

وَلَوْ قُرِئَ بِالتَّشْدِيدِ مَعَ رَفْعِهِمَا لَكَانَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي صَدَقَ، كَقَوْلِهِ: صَدَقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي.

وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ حِينَ وَجَدَ آدَمَ ضَعِيفَ الْعَزْمِ قَدْ أَصْغَى إِلَى وَسْوَسَتِهِ قَالَ: إِنَّ ذُرِّيَّتَهُ أَضْعَفُ عَزْمًا مِنْهُ، فَظَنَّ بِهِمُ اتِّبَاعَهُ وَقَالَ: لَأُضِلَّنَّهُمْ، لَأُغْوِيَنَّهُمْ.

وَقِيلَ: ظَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ إِخْبَارِ اللَّهِ –تَعَالَى– الْمَلَائِكَةَ أَنَّهُ يَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿عَلَيْهِمْ﴾[1] وَ﴿اتَّبَعُوهُ﴾[2] إِمَّا لِأَهْلِ سَبَأٍ، أَوْ لِبَنِي آدَمَ.

وَقَلَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلا فَرِيقًا﴾[3]، لِأَنَّهُمْ قَلِيلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْكُفَّارِ، كَمَا قَالَ: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا﴾[4]، ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[5].

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ﴾[6] مِنْ تَسْلِيطٍ وَاسْتِيلَاءٍ بِالْوَسْوَسَةِ وَالِاسْتِغْوَاءِ إِلَّا لِغَرَضٍ صَحِيحٍ وَحِكْمَةٍ بَيِّنَةٍ.

وَذَلِكَ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنَ الشَّاكِّ فِيهَا، وَعَلَّلَ التَّسْلِيطَ بِالْعِلْمِ وَالْمُرَادُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعِلْمُ.

وَقُرِئَ: (لِيَعْلَمَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ "حَفِيظٌ" مُحَافِظٌ عَلَيْهِ، وَفَعِيلٌ وَمُفَاعِلٌ: مُتَآخِيَانِ.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾[7]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 62.

[5] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 17.

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿قُلْ﴾[1] لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ﴾[2] عَبَدْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَسَمَّيْتُمُوهُمْ بِاسْمِهِ، كَمَا تَدْعُونَ اللَّهَ.

وَالْتَجِئُوا إِلَيْهِمْ فيمَا يَعْرُوكُمْ كَمَا تَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ.

وَانْتَظِرُوا اسْتِجَابَتَهُمْ لِدُعَائِكُمْ وَرَحْمَتَهُمْ، كَمَا تَنْتَظِرُونَ وَأَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ وَيَرْحَمَكُمْ.

ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[3] مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ﴾[4] فِي هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مِنْ شَرِكَةٍ فِي الْخَلْقِ وَلَا فِي الْمُلْكِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[5]، وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ عُوَيْنٍ يُعِينُهُ عَلَى تَدْبِيرِ خَلْقِهِ؛ يُرِيدُ: أَنَّهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْبُعْدِ عَنْ أَحْوَالِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يُدْعَوْا كَمَا يُدْعَى وَيُرَجَّوْا كَمَا يُرْجَى؟

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ مَفْعُولَا زَعَمَ؟

قُلْتُ: أَحَدُهُمَا الضَّمِيرُ الْمَحْذُوفُ الرَّاجِعُ مِنْهُ إِلَى الْمَوْصُولِ.

وَأَمَّا الثَّانِي، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[6] أَوْ ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾[7] أَوْ مَحْذُوفًا فَلَا يَصِحُّ الْأَوَّلُ، لِأَنَّ قَوْلَكَ: هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا يَلْتَئِمُ كَلَامًا، وَلَا الثَّانِي، لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَبِمَا لَوْ قَالُوهُ قَالُوا مَا هُوَ حَقٌّ وَتَوْحِيدٌ؟

فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُهُ: زَعَمْتُمُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَحُذِفَ الرَّاجِعُ إِلَى الْمَوْصُولِ، كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ:﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾[8] اسْتِخْفَافًا، لِطُولِ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[8] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 41.

الْمَوْصُولِ لِصِلَتِهِ؛ وَحُذِفَ آلِهَةٌ، لِأَنَّهُ مَوْصُوفٌ صِفَتُهُ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1]، وَالْمَوْصُوفُ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَإِقَامَةُ الصِّفَةِ مَقَامَهُ إِذَا كَانَ مَفْهُومًا، فَإِذًا مَفْعُولَا زَعَمَ مَحْذُوفَانِ جَمِيعًا بِسَبَبَيْنِ مُخْتَلِفِينِ.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[2]

تَقُولُ: الشَّفَاعَةُ لِزَيْدٍ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ الشَّافِعُ، كَمَا تَقُولُ: الْكَرَمُ لِزَيْدٍ، وَعَلَى مَعْنَى أَنَّهُ الْمَشْفُوعُ لَهُ، كَمَا تَقُولُ: الْقِيَامُ لِزَيْدٍ، فَاحْتَمَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[3] أَنْ يَكُونَ عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ، أَيْ: لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ، إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنَ الشَّافِعِينَ وَمُطْلَقَةً لَهُ. أَوْ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ، إِلَّا كَائِنَةً لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، أَيْ: لِشَفِيعِهِ، أَوْ هِيَ اللَّامُ الثَّانِيَةُ فِي قَوْلِكَ: أَذِنَ لِزَيْدٍ لِعَمْرٍو، أَيْ لِأَجْلِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِلَّا لِمَنْ وَقَعَ الْإِذْنُ لِلشَّفِيعِ لِأَجْلِهِ.

وَهَذَا وَجْهٌ لَطِيفٌ، وَهُوَ الْوَجْهُ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِقَوْلِهِمْ: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَا اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾[4]، وَلِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَتْ حَتَّى غَايَةً؟

قُلْتُ: بِمَا فُهِمَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، مِنْ أَنَّ ثَمَّ انْتِظَارًا لِلْإِذْنِ وَتَوَقُّعًا وَتَمَهُّلًا وَفَزَعًا مِنَ الرَّاجِينَ لِلشَّفَاعَةِ وَالشُّفَعَاءِ، هَلْ يُؤْذَنُ لَهُمْ أَوْ لَا يُؤْذَنُ؟

وَأَنَّهُ لَا يُطْلَقُ الْإِذْنُ إِلَّا بَعْدَ مَلِيٍّ مِنَ الزَّمَانِ، وَطُولٍ مِنَ التَّرَبُّصِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْحَالِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[5]، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَتَرَبَّصُونَ وَيَتَوَقَّفُونَ مَلِيًّا فَزِعِينَ وَهِلِينَ؛ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ،

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

أَيْ: كُشِفَ الْفَزَعُ عَنْ قُلُوبِ الشَّافِعِينَ وَالْمَشْفُوعِ لَهُمْ بِكَلِمَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا رَبُّ الْعِزَّةِ فِي إِطْلَاقِ الْإِذْنِ، تَبَاشَرُوا بِذَلِكَ وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾[1]، قَالَ: ﴿الْحَقَّ﴾[2]، أَيِ الْقَوْلَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْإِذْنُ بِالشَّفَاعَةِ لِمَنِ ارْتَضَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : "فَإِذَا أَذِنَ لِمَنْ أَذِنَ أَنْ يَشْفَعَ فَزَعَتْهُ الشَّفَاعَةُ".

وَقُرِئَ: (أَذِنَ لَهُ)، أَيْ: أَذِنَ لَهُ اللَّهُ، وَأُذِنَ لَهُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (فُزِّعَ) مُخَفَّفًا، بِمَعْنَى فَزِعَ.

وَقُرِئَ: (فَزِعَ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَفَزِعَ، أَيْ: نَفَى الْوَجَلَ عَنْهَا وَأَفْنَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: فَزِعَ الزَّادُ، إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ.

ثُمَّ تَرَكَ ذِكْرَ الْوَجَلِ وَأُسْنِدَ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، كَمَا تَقُولُ: دَفَعَ إِلَيَّ زَيْدٌ، إِذَا عُلِمَ مَا الْمَدْفُوعُ وَقَدْ تُخَفَّفُ.

وَأَصْلُهُ: فَزِعَ الْوَجَلُ عَنْهَا، أَيِ: انْتَفَى عَنْهَا، وَفَنِيَ ثُمَّ حُذِفَ الْفَاعِلُ وَأُسْنِدَ إِلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ.

وَقَرَأَ: (افْرَنْقَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)، بِمَعْنَى: انْكَشَفَ عَنْهَا.

وَعَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ أَنَّهُ هَاجَ بِهِ الْمِرَارُ فَالْتَفَّ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عَلَيَّ تَكَأْكُؤُكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ؟ افْرَنْقِعُوا عَنِّي.

وَالْكَلِمَةُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ حُرُوفِ الْمُفَارَقَةِ مَعَ زِيَادَةِ الْعَيْنِ، كَمَا رُكِّبَ ﴿اقْمَطَرَّ﴾[3] مِنْ حُرُوفِ الْقَمْطِ، مَعَ زِيَادَةِ الرَّاءِ.

وَقُرِئَ: (الْحَقُّ) بِالرَّفْعِ، أَيْ: مَقُولَةُ الْحَقِّ.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[4] ذُو الْعُلُوِّ وَالْكِبْرِيَاءِ، لَيْسَ لِمَلِكٍ وَلَا نَبِيٍّ أَنْ يَتَكَلَّمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَنْ يُشْفَعَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1]

أَمَرَهُ بِأَنْ يُقَرِّرَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾[2]، ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَنْ يَتَوَلَّى الْإِجَابَةَ وَالْإِقْرَارَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: يَرْزُقُكُمُ اللَّهُ.

وَذَلِكَ بِالْإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ بِقُلُوبِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ رُبَّمَا أَبَوْا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ، لِأَنَّ الَّذِي تَمَكَّنَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعِنَادِ وَحُبِّ الشِّرْكِ قَدْ أَلْجَمَ أَفْوَاهَهُمْ عَنِ النُّطْقِ بِالْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِحَّتِهِ، وَلِأَنَّهُمْ إِنْ تَفَوَّهُوا بِأَنَّ اللَّهَ رَازِقُهُمْ، لَزِمَهُمْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: فَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ وَتُؤْثِرُونَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الرِّزْقِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾[3] حَتَّى قَالَ: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[4]، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاّ الضَّلالُ﴾[5]، فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَرَّةً، وَمَرَّةً كَانُوا يَتَلَعْثَمُونَ عِنَادًا وَضِرَارًا وَحِذَارًا مِنْ إِلْزَامِ الْحُجَّةِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾[6]، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ بَعْدَ الْإِلْزَامِ وَالْإِلْجَامِ الَّذِي لَمْ يَزِدْ عَلَى إِقْرَارِهِمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَمْ يَتَقَاصَرْ عَنْهُ؟

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[7]، وَمَعْنَاهُ: وَإِنْ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الَّذِينَ يُوَحِّدُونَ الرَّازِقَ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْعِبَادَةِ وَمِنَ الَّذِينَ يُشْرِكُونَ بِهِ الْجَمَادَ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ، لَعَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.

وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْصِفِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ مُوَالٍ أَوْ مُنَافٍ قَالَ لِمَنْ خُوطِبَ بِهِ: قَدْ أَنْصَفَكَ صَاحِبُكَ، وَفِي دَرَجَةٍ بَعْدَ تَقَدُّمِهِ مَا قَدَّمَ مِنَ التَّقْرِيرِ الْبَلِيغِ دَلَالَةً غَيْرَ خَفِيَةٍ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سورة يُونُسَ، الآية 31.

[4] سورة يُونُسَ، الآية 31.

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدَ، الآية 166.

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

عَلَى مَنْ هُوَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي الضَّلَالِ الْمُبِينِ، وَلَكِنَّ التَّعْرِيضَ وَالتَّوْرِيَةَ أَفْضَلُ بِالْمُجَادِلِ إِلَى الْغَرَضِ، وَأَهْجَمُ بِهِ عَلَى الْغَلَبَةِ، مَعَ قِلَّةِ شَغَبِ الْخَصْمِ وَفَلِّ شَوْكَتِهِ بِالْهُوَيْنَا. وَنَحْوُهُ قَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: عَلِمَ اللَّهُ الصَّادِقُ مِنِّي وَمِنْكَ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَكَاذِبٌ. وَمِنْهُ بَيْتُ حَسَّانَ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ؟ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ خُولِفَ بَيْنَ حَرْفَي الْجَرِّ الدَّاخِلَيْنِ عَلَى الْحَقِّ وَالضَّلَالِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ كَأَنَّهُ مُسْتَعْلٍ عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ يُرْكِضُهُ حَيْثُ شَاءَ، وَالضَّالُّ كَأَنَّهُ مُنْغَمِسٌ فِي ظَلَامٍ مُرَتَّبِكٌ فِيهِ لَا يَدْرِي أَنْ يَتَوَجَّهَ.

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ إِمَّا عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) .

﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾[1]

هَذَا أَدْخَلُ فِي الْإِنْصَافِ أَبْلَغُ فِيهِ مِنَ الْأَوَّلِ، حَيْثُ أَسْنَدَ الْإِجْرَامَ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ وَالْعَمَلَ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ، وَإِنْ أَرَادَ بِالْإِجْرَامِ: الصَّغَائِرَ وَالزَّلَّاتِ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْهَا مُؤْمِنٌ، وَبِالْعَمَلِ: الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ الْعِظَامَ. وَفَتَحَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ حُكْمُهُ وَفَصْلُهُ، أَنَّهُ يُدْخِلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ وَأُولَئِكَ النَّارَ.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَرُونِيَ﴾[3]، وَكَانَ يَرَاهُمْ وَيَعْرِفُهُمْ؟

قُلْتُ: أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُرِيَهُمُ الْخَطَأَ الْعَظِيمَ فِي إِلْحَاقِ الشُّرَكَاءِ بِاللَّهِ، وَأَنْ يُقَايِسَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْنَامِهِمْ لِيُطْلِعَهُمْ عَلَى إِحَالَةِ الْقِيَاسِ إِلَيْهِ وَالْإِشْرَاكِ بِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَ﴿كَلَّا﴾[1] رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ مَذْهَبِهِمْ بَعْدَ مَا كَسَدَهُ بِإِبْطَالِ الْمُقَايَسَةِ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2] بَعْدَ مَا حَجَّهُمْ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى تَفَاحُشِ غَلَطِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يُقَدِّرُوا حَقَّ قَدْرِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيْنَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. أَوْ ضَمِيرِ الشَّأْنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5]

﴿إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[6]: إِلَّا إِرْسَالَهُ عَامَّةً لَهُمْ مُحِيطَةً بِهِمْ، لِأَنَّهَا إِذَا شَمَلَتْهُمْ فَقَدْ كَفَتْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى أَرْسَلْنَاكَ جَامِعًا لِلنَّاسِ فِي الْإِنْذَارِ وَالْإِبْلَاغِ، فَجَعَلَهُ حَالًا مِنَ الْكَافِ وَحَقُّ التَّاءِ عَلَى هَذَا أَنْ تَكُونَ لِلْمُبَالَغَةِ كَتَاءِ الرَّاوِيَةِ وَالْعَلَّامَةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ حَالًا مِنَ الْمَجْرُورِ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ فَقَدْ أَخْطَأَ، لِأَنَّ تَقَدُّمَ حَالِ الْمَجْرُورِ عَلَيْهِ فِي الْإِحَالَةِ بِمَنْزِلَةِ تَقَدُّمِ الْمَجْرُورِ عَلَى الْجَارِّ، وَكَمْ تَرَى مِمَّنْ يَرْتَكِبُ هَذَا بِالْخَطَأِ، ثُمَّ لَا يَقَعُ بِهِ، حَتَّى يُضَمَّ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّامَ بِمَعْنَى إِلَى، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوِي لَهُ الْخَطَأُ الْأَوَّلُ إِلَّا الْخَطَأَ الثَّانِيَ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ ارْتِكَابِ الْخَطَأَيْنِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[7]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 67.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سورة الْإِخْلَاصَ، الآية 1.

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قُرِئَ: (مِيعَادُ يَوْمٍ)، وَ(مِعْيَادُ يَوْمٍ)، وَ(مِيعَادٌ يَوْمًا)، وَالْمِيعَادُ: ظَرْفُ الْوَعْدِ مِنْ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ، وَهُوَ هَا هُنَا الزَّمَانُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: مِيعَادٌ يَوْمٌ فَأَبْدَلَ مِنْهُ الْيَوْمَ.

إِنْ قُلْتَ: فَمَا تَأْوِيلُ مَنْ أَضَافَهُ إِلَى يَوْمٍ، أَوْ نَصَبَ يَوْمًا؟

قُلْتُ: أَمَّا الْإِضَافَةُ فَإِضَافَةُ تَبْيِينٍ، كَمَا تَقُولُ: سَحْقُ ثَوْبٍ، وَبَعِيرُ سَانِيَةٍ.

وَأَمَّا نَصْبُ الْيَوْمِ، فَعَلَى التَّعْظِيمِ بِإِضْمَارٍ، فَعَلَى تَقْدِيرِهِ: لَكُمْ مِيعَادٌ، أَعْنِي يَوْمًا أَوْ أُرِيدُ يَوْمًا مِنْ صِفَتِهِ كَيْتُ وَكَيْتُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّفْعُ عَلَى هَذَا، أَعْنِي التَّعْظِيمَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ انْطَبَقَ هَذَا جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِمْ؟

قُلْتُ: مَا سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ مُنْكِرُونَ لَهُ إِلَّا تَعَنُّتًا، وَلَا اسْتِرْشَادًا، فَجَاءَ الْجَوَابُ عَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ مُطَابِقًا لِمَجِيءِ السُّؤَالِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالتَّعَنُّتِ، وَأَنَّهُمْ مُرْصَدُونَ لِيَوْمٍ يُفَاجِئُهُمْ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَأَخُّرًا عَنْهُ وَلَا تَقَدُّمًا عَلَيْهِ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1]

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: مَا نَزَلَ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، يُرْوَى: أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ سَأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كُتُبِهِمْ، فَأَغْضَبَهُمْ ذَلِكَ وَقَرَنُوا إِلَى الْقُرْآنِ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَهُ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- في الْكُفْرِ، فَكَفَرُوا بِهَا جَمِيعًا.

وَقِيلَ: الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ جَحَدُوا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَأَنْ يَكُونَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعَادَةِ لِلْجَزَاءِ حَقِيقَةً، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ وَمَالِهِمْ في الْآخِرَةِ فَقَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ لِلْمُخَاطَبِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَلَوْ تَرَى﴾[1] فِي الْآخِرَةِ مَوْقِفَهُمْ وَهُمْ يَتَجَاذَبُونَ أَطْرَافَ الْمُحَادَثَةِ وَيَتَرَاجَعُونَهَا بَيْنَهُمْ، لَرَأَيْتَ الْعَجِيبَ، فَحُذِفَ الْجَوَابُ. وَالْمُسْتَضْعَفُونَ: هُمُ الْأَتْبَاعُ، وَالْمُسْتَكْبِرُونَ: هُمُ الرُّءُوسُ وَالْمُقَدَّمُونَ.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

أَوْلَى الِاسْمِ أَعْنِي "أَنَحْنُ" حُرِّفَ الْإِنْكَارُ، لِأَنَّ الْغَرَضَ إِنْكَارُ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الصَّادِّينَ لَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَإِثْبَاتُ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ صَدُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ أَتَوْا مِنْ قِبَلِ اخْتِيَارِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: أَنَحْنُ أَجْبَرْنَاكُمْ وَحُلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كَوْنِكُمْ مُمَكَّنِينَ مُخْتَارِينَ.

﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾[3]: بَعْدَ أَنْ صَمَّمْتُمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِيمَانِ وَصَحَّتْ نِيَّاتُكُمْ فِي اخْتِيَارِهِ؟ بَلْ أَنْتُمْ مَنَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حَظَّهَا وَآثَرْتُمُ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى وَأَطَعْتُمْ آمِرَ الشَّهْوَةِ دُونَ آمِرِ النَّهْيِ، فَكُنْتُمْ مُجْرِمِينَ كَافِرِينَ لِاخْتِيَارِكُمْ لَا لِقَوْلِنَا وَتَسْوِيلِنَا.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذْ وَإِذَا مِنَ الظُّرُوفِ اللَّازِمَةِ لِلظَّرْفِيَةِ، فَلِمَ وَقَعَتْ إِذْ مُضَافًا إِلَيْهَا؟

قُلْتُ: قَدِ اتُّسِعَ فِي الزَّمَانِ مَا لَمْ يُتَّسَعْ فِي غَيْرِهِ، فَأُضِيفَ إِلَيْهَا الزَّمَانُ، كَمَا أُضِيفَ إِلَى الْجُمَلِ فِي قَوْلِكَ: جِئْتُكَ بَعْدَ إِذْ جَاءَ زَيْدٌ، وَحِينَئِذٍ، وَيَوْمَئِذٍ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَانَ الْحُجَّاجِ أَمِيرٌ، وَحِينَ خَرَجَ زَيْدٌ.

لَمَّا أَنْكَرَ الْمُسْتَكْبِرُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾[4] أَنْ يَكُونُوا هُمُ السَّبَبَ فِي كُفْرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَثْبَتُوا بِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾[5] أَنَّ ذَلِكَ بِكَسْبِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ، كَرَّ عَلَيْهِمُ

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

الْمُسْتَضْعَفُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[1]، فَأَبْطَلُوا بِإِضْرَابِهِمْ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: مَا كَانَ الْإِجْرَامُ مِنْ جِهَتِنَا، بَلْ مِنْ جِهَةِ مَكْرِكُمْ لَنَا دَائِبًا لَيْلًا وَنَهَارًا، وَحَمَلَكُمْ إِيَّانَا عَلَى الشِّرْكِ وَاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ.

وَمَعْنَى مَكْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: مَكْرُكُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَاتُّسِعَ فِي الظَّرْفِ بِإِجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَإِضَافَةِ الْمَكْرِ إِلَيْهِ. أَوْ جُعِلَ لَيْلُهُمْ وَنَهَارُهُمْ مَاكِرَيْنِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ.

وَقُرِئَ: (بَلْ مَكْرٌ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) بِالتَّنْوِينِ وَنَصْبِ الظَّرْفِينِ. وَبَلْ مَكَرٌّ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. أَيْ تَكُرُّونَ الْإِغْوَاءَ مَكَرًّا دَائِبًا لَا تَفْتُرُونَ عَنْهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ؟

قُلْتُ: هُوَ مُبْتَدَأٌ أَوْ خَبَرٌ، عَلَى مَعْنَى: بَلْ سَبَبُ مَكْرِكُمْ أَوْ مَكَرِّكُمْ، أَوْ مَكْرُكُمْ أَوْ مَكَرُّكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ. وَالنَّصْبُ عَلَى: بَلْ تَكُرُّونَ الْإِغْوَاءَ مَكَرَّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قِيلَ: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[2]، بِغَيْرِ عَاطِفٍ، وَقِيلَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾[3]؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا مَرَّ أَوَّلًا كَلَامُهُمْ، فَجِيءَ بِالْجَوَابِ مَحْذُوفَ الْعَاطِفِ عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِئْنَافِ، ثُمَّ جِيءَ بِكَلَامٍ آخَرَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ، فَعُطِفَ عَلَى كَلَامِهِمُ الْأَوَّلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَنْ صَاحِبُ الضَّمِيرِ فِي ﴿وَأَسَرُّوا﴾[4].

قُلْتُ: الْجِنْسُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى النَّوْعَيْنِ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، وَهُمُ الظَّالِمُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[5] يَنْدَمُ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ، وَالْمُسْتَضْعَفُونَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمُ الْمُضِلِّينَ.

﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6]، أَيْ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَجَاءَ بِالصَّرِيحِ لِلتَّنْوِيهِ بِذَمِّهِمْ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْأَغْلَالَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سورة سَبَأ، الآية 31.

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَعَنْ قَتَادَةَ: أَسَرُّوا الْكَلَامَ بِذَلِكَ بَيْنَهُمْ. وَقِيلَ: أَسَرُّوا النَّدَامَةَ أَظْهَرُوهَا، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1]

هَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِمَّا مُنِيَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْكُفْرِ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْمُنَافَسَةِ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْمُفَاخَرَةِ وَزَخَارِفِهَا، وَالتَّكَبُّرِ بِذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالِاسْتِهَانَةِ بِهِمْ مِنْ أَجْلِهِ، وَقَوْلِهِمْ: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[2]، وَأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ قَطُّ إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَهْلُ مَكَّةَ وَكَادُوهُ بِنَحْوِ مَا كَادُوهُ بِهِ، وَقَاسُوا أَمْرَ الْآخِرَةِ الْمَوْهُومَةِ أَوِ الْمَفْرُوضَةِ عِنْدَهُمْ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يُكْرَمُوا عَلَى اللَّهِ لَمَا رَزَقَهُمْ.

وَلَوْلَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هَانُوا عَلَيْهِ لَمَا حَرَمَهُمْ، فَعَلَى قِيَاسِهِمْ ذَلِكَ قَالُوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[3] أَرَادُوا أَنَّهُمْ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، نَظَرًا إِلَى أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]

وَقَدْ أَبْطَلَ اللَّهُ –تَعَالَى– حُسْبَانَهُمْ بِأَنَّ الرِّزْقَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يَقْسِمُهُ كَمَا يَشَاءُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ مِنَ الْمَصَالِحِ، فَرُبَّمَا وَسَّعَ عَلَى الْعَاصِي وَضَيَّقَ عَلَى الْمُطِيعِ، وَرُبَّمَا عَكَسَ، وَرُبَّمَا وَسَّعَ عَلَيْهِمَا وَضَيَّقَ عَلَيْهِمَا، فَلَا يَنْقَاسُ عَلَيْهِ أَمْرُ الثَّوَابِ الَّذِي مَبْنَاهُ عَلَى الِاسْتِحْقَاقِ. وَقَدَرُ الرِّزْقِ: تَضْيِيقُهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية 73.

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

قَالَ –تَعَالَى–: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[1].

وَقُرِئَ: (وَيُقَدِّرُ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[2]

أَرَادَ: وَجَمَاعَةُ أَمْوَالِكُمْ وَلَا جَمَاعَةُ أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَمْعَ الْمُكَسَّرَ عُقَلَاؤُهُ وَغَيْرُ عُقَلَائِهِ سَوَاءٌ فِي حُكْمِ التَّأْنِيثِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّتِي هِيَ التَّقْوَى، وَهِيَ الْمُقَرِّبَةُ عِنْدَ اللَّهِ زُلْفَى وَحْدَهَا، أَيْ: لَيْسَتْ أَمْوَالُكُمْ بِتِلْكَ الْمَوْضُوعَةِ لِلتَّقْرِيبِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: بِاللَّاتِي تُقَرِّبُكُمْ، لِأَنَّهَا جَمَاعَاتٌ. وَقُرِئَ: (بِالَّذِي يُقَرِّبُكُمْ)، أَيْ: بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَرِّبُكُمْ. وَالزُّلْفَى وَالزُّلْفَةُ: كَالْقُرْبَى وَالْكُرْبَةُ، وَمَحَلُّهَا النَّصْبُ، أَيْ: تُقَرِّبُكُمْ قُرْبَةً، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا إِلا مَنْ آمَنَ﴾[3] اسْتِثْنَاءٌ مِنْ ﴿كُمْ﴾[4] فِي ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾[5].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْأَمْوَالَ لَا تُقَرِّبُ أَحَدًا إِلَّا الْمُؤْمِنَ الصَّالِحَ الَّذِي يُنْفِقُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَوْلَادُ لَا تُقَرِّبُ أَحَدًا إِلَّا مَنْ عَلَّمَهُمُ الْخَيْرَ وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ وَرَشَّحَهُمْ لِلصَّلَاحِ وَالطَّاعَةِ.

جَزَاءَ ﴿الضِّعْفِ﴾[6] مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ، أَصْلُهُ: فَأُولَئِكَ لَهُمْ أَنْ يُجَازَوُا الضِّعْفَ، ثُمَّ جَزَاءَ الضِّعْفِ، ثُمَّ جَزَاءَ الضِّعْفِ.

وَمَعْنَى جَزَاءِ الضِّعْفِ: أَنَّ تُضَاعَفَ لَهُمْ حَسَنَاتُهُمْ، الْوَاحِدَةُ عَشْرًا.

---

[1] سورة الطَّلَاقِ، الآية 7.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقُرِئَ: (جَزَاءَ الضِّعْفَ)، عَلَى فَأُولَئِكَ لَهُمُ الضِّعْفُ جَزَاءً وَجَزَاءَ الضِّعْفَ عَلَى أَنْ يُجَازَوُا الضِّعْفَ، وَجَزَاءٌ الضِّعْفُ مَرْفُوعَانِ: الضِّعْفُ بَدَلٌ مِنْ جَزَاءٍ.

وَقُرِئَ: ﴿فِي الْغُرُفَاتِ﴾[1] بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَسُكُونِهَا. وَفِي الْغُرْفَةِ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[3]، فَهُوَ يُعَوِّضُهُ لَا مُعَوِّضَ سِوَاهُ: إِمَّا عَاجِلًا بِالْمَالِ، أَوِ الْقَنَاعَةِ الَّتِي هِيَ كَنْزٌ لَا يَنْفَدُ. وَإِمَّا آجِلًا بِالثَّوَابِ الَّذِي كَلُّ خُلْفٍ دُونَهُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ مَا يُقِيمُهُ فَلْيَقْتَصِدْ، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ، وَلَعَلَّ مَا قُسِمَ لَهُ قَلِيلٌ وَهُوَ يُنْفِقُ نَفَقَةَ الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِ، فَيُنْفِقُ جَمِيعَ مَا في يَدِهِ ثُمَّ يَبْقَى طُولَ عُمُرِهِ في فَقْرٍ، وَلَا يَتَأَوَّلَنَّ: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، فَإِنَّ هَذَا في الْآخِرَةِ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَمَا كَانَ مِنْ خُلْفٍ، فَهُوَ مِنْهُ ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[4]، وَأَعْلَاهُمْ رَبُّ الْعِزَّةِ، بِأَنَّ كُلَّ مَا رُزِقَ غَيْرُهُ: مِنْ سُلْطَانٍ يَرْزُقُ جُنْدَهُ، أَوْ سَيِّدٍ يَرْزُقُ عَبْدَهُ، أَوْ رَجُلٍ يَرْزُقُ عِيَالَهُ، فَهُوَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِي هَؤُلَاءِ، وَهُوَ خَالِقُ الرِّزْقِ وَخَالِقُ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا يَنْتَفِعُ الْمَرْزُوقُ بِالرِّزْقِ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَدَنِي وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَشْتَهِي، فَكَمْ مِنْ مُشْتَهٍ لَا يَجِدُ، وَوَاجِدٍ لَا يَشْتَهِي.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[5]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

هَذَا الْكَلَامُ خِطَابٌ لِلْمَلَائِكَةِ وَتَقْرِيعٌ لِلْكُفَّارِ، وَارِدٌ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ:

إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ

وَنَحْوُهُ: قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1]، وَقَدْ عَلِمَ –سُبْحَانَهُ– كَوْنَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى مُنَزَّهِينَ بُرَآءَ مِمَّا وُجِّهَ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّؤَالِ الْوَارِدِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيرِ.

وَالْغَرَضُ: أَنْ يَقُولَ وَيَقُولُوا، وَيَسْأَلَ وَيُجِيبُوا، فيكُونُ تَقْرِيعُهُمْ أَشَدَّ، وَتَعْبِيرُهُمْ أَبْلَغَ، وَخَجَلُهُمْ أَعْظَمَ: وَهُوَ أَنَّهُ أَلْزَمُ، وَيَكُونُ اقْتِصَاصُ ذَلِكَ لُطْفًا لِمَنْ سَمِعَهُ، وَزَاجِرًا لِمَنِ اقْتَصَّ عَلَيْهِ. وَالْمُوَالَاةُ: خِلَافُ الْمُعَادَاةِ.

وَمِنْهَا: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْوَلْيِ وَهُوَ الْقُرْبُ، كَمَا أَنَّ الْمُعَادَاةَ مِنَ الْعَدْوَاءِ، وَهِيَ الْبُعْدُ، وَالْوَلْيُ: يَقَعُ عَلَى الْمُوَالِي وَالْمُوَالَى جَمِيعًا.

وَالْمَعْنَى أَنْتَ الَّذِي نُوَالِيهِ مِنْ دُونِهِمْ، إِذْ لَا مُوَالَاةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَبَيَّنُوا بِإِثْبَاتِ مُوَالَاةِ اللَّهِ وَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ: بَرَاءَتَهُمْ مِنَ الرِّضَا بِعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَانَتْ حَالُهُ مُنَافِيَةً لِذَلِكَ.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾[2] يُرِيدُونَ الشَّيَاطِينَ، حَيْثُ أَطَاعُوهُمْ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ. وَقِيلَ: صَوَّرَتْ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ صُوَرَ قَوْمٍ مِنَ الْجِنِّ وَقَالُوا: هَذِهِ صُوَرُ الْمَلَائِكَةِ فَاعْبُدُوهَا.

وَقِيلَ: كَانُوا يَدْخُلُونَ فِي أَجْوَافِ الْأَصْنَامِ إِذَا عُبِدَتْ، فيعْبَدُونَ بِعِبَادَتِهَا. وَقُرِئَ: (نَحْشُرُهُمْ) وَ (نَقُولُ) بِالنُّونِ وَالْيَاءِ.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[3]

---

[1] سورة الْمَائِدَةَ، الآية 116.

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَمْلِكُ فيهِ أَحَدٌ مَنْفَعَةً وَلَا مَضَرَّةً لِأَحَدٍ، لِأَنَّ الدَّارَ دَارُ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَالْمُثِيبُ وَالْمُعَاقِبُ هُوَ اللَّهُ، فَكَانَتْ حَالُهَا خِلَافَ حَالِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ تَكْلِيفٍ، وَالنَّاسُ فيها مُخَلَّى بَيْنَهُمْ، يَتَضَارُّونَ وَيَتَنَافَعُونَ.

وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مُعَاقَبَتَهُ الظَّالِمِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿لا يَمْلِكُ﴾[1].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2]

الْإِشَارَةُ الْأُولَى: إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–. وَالثَّانِيَةُ: إِلَى الْقُرْآنِ. وَالثَّالِثَةُ: إِلَى الْحَقِّ، وَالْحَقُّ أَمْرُ النُّبُوَّةِ كُلُّهُ وَدِينُ الْإِسْلَامِ كَمَا هُوَ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، وَفِي أَنْ لَمْ يَقُلْ وَقَالُوا، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾[4]، وَمَا فِي اللَّامَيْنِ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْقَائِلِينَ وَالْمَقُولِ فيهِ، وَفِي ﴿لَمَّا﴾[5] مِنَ الْمُبَادَهَةِ بِالْكُفْرِ: دَلِيلٌ عَلَى صُدُورِ الْكَلَامِ عَنْ إِنْكَارٍ عَظِيمٍ وَغَضَبٍ شَدِيدٍ، وَتَعْجِيبٍ مِنْ أَمْرِهِمْ بَلِيغٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَقَالَ أُولَئِكَ الْكَفَرَةُ الْمُتَمَرِّدُونَ بِجَرَاءَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَمُكَابَرَتِهِمْ لِمِثْلِ ذَلِكَ الْحَقِّ النَّيِّرِ قَبْلَ أَنْ يَذُوقُوهُ.

﴿إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[6]، فَبَتُّوا الْقَضَاءَ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ، ثُمَّ بَتُّوهُ عَلَى أَنَّهُ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ كُلُّ عَاقِلٍ تَأَمَّلَهُ سَمَّاهُ سِحْرًا.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1]

وَمَا آتَيْنَاهُمْ كُتُبًا يَدْرُسُونَهَا فيها بُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ الشِّرْكِ، وَلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ نَذِيرًا يُنْذِرُهُمْ بِالْعِقَابِ إِنْ لَمْ يُشْرِكُوا، كَمَا قَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾[2] أَوْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ أُمِّيُّونَ أَهْلُ جَاهِلِيَّةٍ لَا مِلَّةَ لَهُمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ بِإِنْزَالِ كِتَابٍ وَلَا بَعْثَةِ رَسُولٍ، كَمَا قَالَ: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾[3]، فَلَيْسَ لِتَكْذِيبِهِمْ وَجْهٌ مُتَشَبِّثٌ، وَلَا شُبْهَةٌ مُتَعَلِّقٌ، كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَإِنْ كَانُوا مُبْطِلِينَ: نَحْنُ أَهْلُ كُتُبٍ وَشَرَائِعَ، وَمُسْتَنِدُونَ إِلَى رُسُلٍ وَمِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ﴾[4] تَقَدَّمُوهُمْ مِنَ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ كَمَا كَذَّبُوا، وَمَا بَلَغَ هَؤُلَاءِ بَعْضَ مَا آتَيْنَا أُولَئِكَ مِنْ طُولِ الْأَعْمَارِ وَقُوَّةِ الْأَجْرَامِ وَكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، فَحِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ جَاءَهُمْ إِنْكَارِي بِالتَّدْمِيرِ وَالِاسْتِئْصَالِ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمُ اسْتِظْهَارُهُمْ بِمَا هُمْ بِهِ مُسْتَظْهِرُونَ، فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟

وَقُرِئَ: (يُدَرِّسُونَهَا) مِنَ التَّدْرِيسِ وَهُوَ تَكْرِيرُ الدَّرْسِ. أَوْ مِنْ دَرْسِ الْكِتَابِ، وَدَرْسُ الْكُتُبِ: وَيُدَرِّسُونَهَا، بِتَشْدِيدِ الدَّالِ، يَفْتَعِلُونَ مِنَ الدَّرْسِ.

وَالْمِعْشَارُ كَالْمِرْبَاعِ، وَهُمَا: الْعُشْرُ، وَالرُّبُعُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾[5]، وَهُوَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[6]؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[7]: وَفَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمُ التَّكْذِيبَ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سورة الرُّومَ، الآية 35.

[3] سورة الزُّخْرُفَ، الآية 21.

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ: جَعَلَ تَكْذِيبَ الرُّسُلِ مُسَبَّبًا عَنْهُ.

وَنَظِيرُهُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: أَقْدَمَ فُلَانٌ عَلَى الْكُفْرِ، فَكَفَرَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْعَطِفَ عَلَى قَوْلِهِ: وَمَا بَلَغُوا، كَقَوْلِكَ: مَا بَلَغَ زَيْدٌ مِعْشَارَ فَضْلِ عَمْرٍو فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1]، أَيْ لِلْمُكَذِّبِينَ الْأَوَّلِينَ، فَلْيَحْذَرُوا مِنْ مِثْلِهِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2]

﴿بِوَاحِدَةٍ﴾[3] بِخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾[4] عَلَى أَنَّهُ عَطْفُ بَيَانٍ بِهَا، وَأَرَادَ بِقِيَامِهِمْ: إِمَّا الْقِيَامُ عَلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَفَرُّقِهِمْ عَنْ مُجْتَمَعِهِمْ عِنْدَهُ وَإِمَّا الْقِيَامُ الَّذِي لَا يُرَادُ بِهِ الْمُثُولُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ، وَلَكِنَّ الِانْتِصَابَ فِي الْأَمْرِ وَالنُّهُوضَ فِيهِ بِالْهِمَّةِ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ إِنْ فَعَلْتُمُوهَا أَصَبْتُمُ الْحَقَّ وَتَخَلَّصْتُمْ، وَهِيَ: أَنْ تَقُومُوا لِوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا. مُتَفَرِّقِينَ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَوَاحِدًا وَاحِدًا.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[5] فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا جَاءَ بِهِ، أَمَّا الِاثْنَانِ: فَيَتَفَكَّرَانِ وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْصُولَ فِكْرِهِ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَنْظُرَانِ فِيهِ مُتَصَادِقَيْنِ مُتَنَاصِفِينِ، لَا يَمِيلُ بِهِمَا اتِّبَاعُ هَوًى وَلَا يَنْبِضُ لَهُمَا عِرْقُ عَصَبِيَّةٍ، حَتَّى يَهْجُمَ بِهِمَا الْفِكْرُ الصَّالِحُ وَالنَّظَرُ عَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ وَسَنَنِهِ؛ وَكَذَلِكَ الْفَرْدُ: يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ مِنْ عَادَاتِ الْعُقَلَاءِ وَمَجَارِي أَحْوَالِهِمْ، وَالَّذِي أَوْجَبَ تَفَرُّقَهُمْ مَثْنَى وَفُرَادَى: أَنَّ الِاجْتِمَاعَ مِمَّا يُشَوِّشُ الْخَوَاطِرَ، وَيُعْمِي الْبَصَائِرَ، وَيَمْنَعُ مِنَ الرَّوِيَّةِ، وَيُخَلِّطُ الْقَوْلَ، وَمَعَ ذَلِكَ يُقِلُّ الْإِنْصَافُ، وَيَكْثُرُ الِاعْتِسَافُ، وَيَثُورُ عَجَاجُ التَّعَصُّبِ، وَلَا يُسْمَعُ إِلَّا نُصْرَةُ الْمَذْهَبِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَأَرَاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[1] أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَظِيمٌ الَّذِي تَحْتَهُ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا، لَا يَتَصَدَّى لِادِّعَاءِ مِثْلِهِ إِلَّا رَجُلَانِ إِمَّا مَجْنُونٌ لَا يُبَالِي بِافْتِضَاحِهِ إِذَا طُولِبَ بِالْبُرْهَانِ فَعَجَزَ، بَلْ لَا يَدْرِي مَا الِافْتِضَاحُ وَمَا رُقْبَةُ الْعَوَاقِبِ. وَإِمَّا عَاقِلٌ رَاجِحُ الْعَقْلِ مُرَشَّحٌ لِلنُّبُوَّةِ، مُخْتَارٌ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَا يَدَّعِيهِ إِلَّا بَعْدَ صِحَّتِهِ عِنْدَهُ بِحُجَّتِهِ وَبُرْهَانِهِ، وَإِلَّا فَمَا يُجْدِي عَلَى الْعَاقِلِ دَعْوَى شَيْءٍ لَا بَيِّنَةَ لَهُ عَلَيْهِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا بِهِ مِنْ جَنَّةٍ، بَلْ عَلِمْتُمُوهُ أَرْجَحَ قُرَيْشٍ عَقْلًا، وَأَرْزَنَهُمْ حِلْمًا وَأَثْقَبَهُمْ ذِهْنًا وَآصَلَهُمْ رَأْيًا، وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا، وَأَنْزَهَهُمْ نَفْسًا، وَأَجْمَعَهُمْ لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَيُمْدَحُونَ بِهِ، فَكَانَ مَظِنَّةً لِأَنْ تَظُنُّوا بِهِ الْخَيْرَ، وَتُرَجِّحُوا فِيهِ جَانِبَ الصِّدْقِ عَلَى الْكَذِبِ، وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ كَفَاكُمْ أَنْ تُطَالِبُوهُ بِأَنْ يَأْتِيَكُمْ بِآيَةٍ، فَإِذَا أَتَى بِهَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾[2] بِمَ يَتَعَلَّقُ؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا تَنْبِيهًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَرِيقَةِ النَّظَرِ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا فَتَعْلَمُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ، وَقَدْ جَوَّزَ بَعْضُهُمْ أَنْ تَكُونَ مَا اسْتِفْهَامِيَّةً.

﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3]، كَقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ".

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4]

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾[1] جَزَاءُ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾[2]، تَقْدِيرُهُ: أَيُّ شَيْءٍ سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾[3].

وَفِيهِ مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: نَفى مَسْأَلَةِ الْأَجْرِ رَأْسًا، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي شَيْئًا فَخُذْهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ بِهِ الْبَتَّ، لِتَعْلِيقِهِ الْأَخْذَ بِمَا لَمْ يَكُنْ.

وَالثَّانِي: أَنْ يُرِيدَ بِالْأَجْرِ مَا أَرَادَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مِنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾[4]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[5]، لِأَنَّ اتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَى اللَّهِ نَصِيبُهُمْ وَمَا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَكَذَلِكَ الْمَوَدَّةُ فِي الْقَرَابَةِ، لِأَنَّ الْقَرَابَةَ قَدِ انْتَظَمَتْهُ وَإِيَّاهُمْ.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[6]: حَفِيظٌ مُهَيْمِنٌ، يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَطْلُبُ الْأَجْرَ عَلَى نَصِيحَتِكُمْ وَدُعَائِكُمْ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا أَطْمَعُ مِنْكُمْ فِي شَيْءٍ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾[7]

الْقَذْفُ وَالرَّمْيُ: تَزْجِيَةُ السَّهْمِ وَنَحْوِهِ بِدَفْعٍ وَاعْتِمَادٍ، وَيُسْتَعَارَانِ مِنْ حَقِيقَتِهِمَا لِمَعْنَى الْإِلْقَاءِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾[8].

وَمَعْنَى: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾[9] يُلْقِيهِ وَيَنَزِّلُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ. أَوْ يَرْمِي بِهِ الْبَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ وَيُزْهِقُهُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 57.

[5] سورة الشُّورَى، الآية 23.

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[8] سورة طَهَ، الآية 39.

[9] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿عَلامُ الْغُيُوبِ﴾[1] رَفْعٌ مَحْمُولٌ عَلَى مَحَلِّ إِنَّ وَاسْمِهَا، أَوْ عَلَى الْمُسْتَكِنِّ في يَقْذِفُ، أَوْ هُوَ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ صِفَةً لِرَبِّي، أَوْ عَلَى الْمَدْحِ.

وَقُرِئَ: (الْغُيُوبِ) بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، فَالْغُيُوبُ كَالْبُيُوتِ. وَالْغَيُوبُ كَالصَّبُورِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي غَابَ وَخَفِي جِدًّا.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[2]

وَالْحَيُّ إِمَّا أَنْ يُبْدِئَ فِعْلًا أَوْ يُعِيدَهُ فَإِذَا هَلَكَ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِبْدَاءٌ وَلَا إِعَادَةٌ، فَجَعَلُوا قَوْلَهُمْ: لَا يُبْدِئُ وَلَا يُعِيدُ مَثَلًا في الْهَلَاكِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ عَبِيدٍ:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

وَالْمَعْنَى: جَاءَ الْحَقُّ وَهَلَكَ الْبَاطِلُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾[3].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: دَخَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَكَّةَ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ نَبْعَةٍ وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا".

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[4]. وَالْحَقُّ: الْقُرْآنُ.

وَقِيلَ: الْإِسْلَامُ.

وَقِيلَ: السَّيْفُ.

وَقِيلَ: الْبَاطِلُ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، أَيْ: مَا يُنْشِئُ خَلْقًا وَلَا يُعِيدُهُ، الْمُنْشِئُ وَالْبَاعِثُ: هُوَ اللَّهُ –تَعَالَى–.

وَعَنِ الْحَسَنِ: لَا يُبْدِئُ لِأَهْلِهِ خَيْرًا وَلَا يُعِيدُهُ، أَيْ: لَا يَنْفَعُهُمْ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ شَيْءٍ يُنْشِئُ إِبْلِيسُ وَيُعِيدُهُ، فَجَعَلَهُ لِلِاسْتِفْهَامِ.

وَقِيلَ لِلشَّيْطَانِ: الْبَاطِلُ، لِأَنَّهُ صَاحِبُ الْبَاطِلِ، أَوْ لِأَنَّهُ هَالِكٌ، كَمَا قِيلَ لَهُ: الشَّيْطَانُ مِنْ شَاطَ إِذَا هَلَكَ.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[1]

قُرِئَ: (ضَلَلْتُ أَضِلُّ) بِفَتْحِ الْعَيْنِ مَعَ كَسْرِهَا. وَضَلِلْتُ أَضَلُّ، بِكَسْرِهَا مَعَ فَتْحِهَا، وَهُمَا لُغَتَانِ، نَحْوَ: ظَلِلْتُ أَظَلُّ.

وَقُرِئَ: (إِضَلُّ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ مَعَ فَتْحِ الْعَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ التَّقَابُلُ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[3]، وَإِنَّمَا كَانَ يَسْتَقِيمُ أَنْ يُقَالَ: فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ، فَإِنَّمَا اهْتَدِي لَهَا، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[4] فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا. أَوْ يُقَالُ: فَإِنَّمَا أَضِلُّ بِنَفْسِي.

قُلْتُ: هُمَا مُتَقَابِلَانِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ النَّفْسَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا فَهُوَ بِهَا، أَعْنِي: أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ وَبَالٌ عَلَيْهَا وَضَارٌّ لَهَا فَهُوَ بِهَا وَبِسَبَبِهَا، لِأَنَّ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَمَا لَهَا مِمَّا يَنْفَعُهَا فَبِهِدَايَةِ رَبِّهَا وَتَوْفِيقِهِ.

وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ، وَإِنَّمَا أَمَرَ رَسُولَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُسْنِدَهُ إِلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ إِذَا دَخَلَ تَحْتَهُ مَعَ جَلَالَةِ حَمْلِهِ وَسَدَادِ طَرِيقَتِهِ كَانَ غَيْرُهُ أَوْلَى بِهِ.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾[5]: يُدْرِكُ قَوْلَ كُلِّ ضَالٍّ وَمُهْتَدٍ، وَفِعْلَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمَا شَيْءٌ.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1]

﴿وَلَوْ تَرَى﴾[2] جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ، يَعْنِي: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا وَحَالًا هَائِلَةً. وَ﴿لَوْ﴾[3] وَ﴿إِذْ﴾[4] وَالْأَفْعَالُ الَّتِي هِيَ ﴿فَزِعُوا﴾[5] وَ ﴿أُخِذُوا﴾[6]، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ: كُلُّهَا لِلْمُضِيِّ.

وَالْمُرَادُ بِهَا: الِاسْتِقْبَالُ، لِأَنَّ مَا اللَّهُ فَاعِلُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَنْزِلَةِ مَا قَدْ كَانَ وَوُجِدَ لِتَحَقُّقِهِ.

وَوَقْتُ الْفَزَعِ: وَقْتُ الْبَعْثِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ.

وَقِيلَ: وَقْتُ الْمَوْتِ. وَقِيلَ: يَوْمُ بَدْرٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: نَزَلَتْ فِي خَسْفِ الْبَيْدَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا يَغْزُونَ الْكَعْبَةَ لِيُخَرِّبُوهَا، فَإِذَا دَخَلُوا الْبَيْدَاءَ خُسِفَ بِهِمْ، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾[7]: فَلَا يَفُوتُونَ اللَّهَ وَلَا يَسْبِقُونَهُ.

وَقُرِئَ: (فَلَا فَوْتَ). وَالْأَخْذُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ: مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ إِذَا بُعِثُوا، أَوْ مِنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا إِذَا مَاتُوا، أَوْ مِنْ صَحْرَاءِ بَدْرٍ إِلَى الْقَلِيبِ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ إِذَا خُسِفَ بِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطِفَ قَوْلُهُ: ﴿وَأُخِذُوا﴾[8]؟

قُلْتُ: فِي وَجْهَانِ: الْعَطْفُ عَلَى فَزِعُوا، أَيْ: فَزِعُوا وَأُخِذُوا، فَلَا فَوْتَ لَهُمْ. أَوْ عَلَى لَا فَوْتَ، عَلَى مَعْنَى: إِذَا فَزِعُوا فَلَمْ يُفَوِّتُوا وَأُخِذُوا.

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
7 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
8 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

وَقُرِئَ: (وَأُخِذَ) وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ لَا فَوْتَ، وَمَعْنَاهُ: فَلَا فَوْتَ هُنَاكَ، وَهُنَاكَ أَخْذٌ.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[1]

﴿آمَنَّا بِهِ﴾[2] بِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِمُرُورِ ذِكْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾[3]: وَالتَّنَاوُشُ وَالتَّنَاوُلُ: أَخَوَانِ، إِلَّا أَنَّ التَّنَاوُشَ تَنَاوُلٌ سَهْلٌ لِشَيْءٍ قَرِيبٍ، يُقَالُ نَاشَهُ يَنُوشُهُ، وَتَنَاوَشَهُ الْقَوْمُ. وَيُقَالُ: تَنَاوَشُوا فِي الْحَرْبِ: نَاشَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِطَلَبِهِمْ مَا لَا يَكُونُ، وَهُوَ أَنْ يَنْفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَمَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانُهُمْ فِي الدُّنْيَا: مُثِّلَتْ حَالُهُمْ بِحَالِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الشَّيْءَ مِنْ غَلْوَةٍ، كَمَا يَتَنَاوَلُهُ الْآخَرُ مِنْ قَيْسِ ذِرَاعٍ تَنَاوُلًا سَهْلًا لَا تَعَبَ فِيهِ.

وَقُرِئَ: (التَّنَاوُشُ) هُمِزَتِ الْوَاوُ الْمَضْمُومَةُ كَمَا هُمِزَتْ فِي أَجْؤُهِ وَأَدْؤُرٌ.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو التَّنَاوُشُ بِالْهَمْزِ التَّنَاوُلُ مِنْ بُعْدٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَأَشْتَ إِذَا أَبْطَأْتَ وَتَأَخَّرْتَ، وَمِنْهُ الْبَيْتُ:

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِـــي

أَيْ: أَخِيرًا.

﴿وَيَقْذِفُونَ﴾[4] مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿قَدْ كَفَرُوا﴾[5]، عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ، يَعْنِي: وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ ﴿بِالْغَيْبِ﴾[6] وَيَأْتُونَ بِهِ ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[7]، وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ –

---

1 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
2 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
3 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
4 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
5 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .
6 سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَاعِرٌ، سَاحِرٌ، كَذَّابٌ.

وَهَذَا تَكَلُّمٌ بِالْغَيْبِ وَالْأَمْرِ الْخَفِي، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا مِنْهُ سِحْرًا وَلَا شِعْرًا وَلَا كَذِبًا، وَقَدْ أَتَوْا بِهَذَا الْغَيْبِ مِنْ جِهَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ حَالِهِ، لِأَنَّ أَبْعَدَ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ: الشِّعْرُ وَالسِّحْرُ، وَأَبْعَدَ شَيْءٍ مِنْ عَادَتِهِ الَّتِي عُرِفَتْ بَيْنَهُمْ وَجُرِّبَتِ الْكَذِبُ وَالزُّورُ.

قُرِئَ: (وَيُقْذَفُونَ بِالْغَيْبِ)، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، أَيْ: يَأْتِيهِمْ بِهِ شَيَاطِينُهُمْ وَيُلَقِّنُوهُمْ إِيَّاهُ.

وَإِنْ شِئْتَ فَعَلِّقْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾[1] عَلَى أَنَّهُ مِثْلُهُمْ فِي طَلَبِهِمْ تَحْصِيلَ مَا عَطَّلُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِهِمْ آمَنَّا فِي الْآخِرَةِ.

وَذَلِكَ مَطْلَبٌ مُسْتَبْعَدٌ بِمَنْ يَقْذِفُ شَيْئًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَا مَجَالَ لِلظَّنِّ فِي لُحُوقِهِ، حَيْثُ يُرِيدُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ لِكَوْنِهِ غَائِبًا عَنْهُ شَاحِطًا.

وَالْغَيْبُ: الشَّيْءُ الْغَائِبُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2]، وَكَانُوا يَقُولُونَ: وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَالْعُقَابِ وَالثَّوَابِ، وَنَحْنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَنَا، قَائِسِينَ أَمْرَ الْآخِرَةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.

فَهَذَا كَانَ قَذْفُهُمْ بِالْغَيْبِ، وَهُوَ غَيْبٌ وَمَقْذُوفٌ بِهِ مِنْ جِهَةٍ بَعِيدَةٍ، لِأَنَّ دَارَ الْجَزَاءِ لَا تَنْقَاسُ عَلَى دَارِ التَّكْلِيفِ ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾[3] مِنْ نَفْعِ الْإِيمَانِ يَوْمَئِذٍ وَالنَّجَاةِ بِهِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ. أَوْ مِنَ الرَّدِّ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا حَكَى عَنْهُمْ: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[4].

﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾[5] بِأَشْبَاهِهِمْ مِنْ كَفَرَةِ الْأُمَمِ وَمَنْ كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَهُمْ ﴿مُرِيبٍ﴾[6] إِمَّا مِنْ أَرَابَهُ، إِذَا أَوْقَعَهُ فِي الرِّيبَةِ وَالتُّهْمَةِ. أَوْ مِنْ أَرَابَ الرَّجُلُ، إِذَا صَارَ ذَا رِيبَةٍ وَدَخَلَ فِيهَا، وَكِلَاهُمَا مَجَازٌ، إِلَّا أَنْ بَيْنَهُمَا فَرِيقًا: وَهُوَ أَنَّ الْمُرِيبَ مِنَ الْأَوَّلِ مَنْقُولٌ مِمَّنْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ

---

[7] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية .

مُرِيبًا مِنَ الْأَعْيَانِ إِلَى الْمَعْنَى، وَالْمُرِيبُ مِنَ الثَّانِي مَنْقُولٌ مِنْ صَاحِبِ الشَّكِّ إِلَى الشَّكِّ، كَمَا تَقُولُ: شِعْرُ شَاعِرٌ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ سَبَأٍ لَمْ يَبْقَ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا كَانَ لَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رَفِيقًا وَمُصَافِحًا".

سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ

سورة الملائكة

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْفُرْقَانِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾[2]: مُبْتَدِئَهَا وَمُبْتَدِعَهَا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: "مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى اخْتَصَمَ إِلَيَّ أَعْرَابِيَّانِ فِي بِئْرٍ"، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: "أَنَا فَطَرْتُهَا"، أَيِ ابْتَدَأْتُهَا.

وَقُرِئَ: الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ.

وَقُرِئَ: جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ، بِالرَّفْعِ عَلَى الْمَدْحِ.

﴿رُسُلًا﴾[3] بِضَمِّ السِّينِ وَسُكُونِهَا ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾[4] أَصْحَابَ أَجْنِحَةٍ، وَأُولُو: اسْمُ جَمْعٍ لِذُو، كَمَا أَنَّ أُولَاءِ اسْمُ جَمْعٍ لِذَا، وَنَظِيرُهُمَا فِي الْمُتَمَكِّنَةِ: الْمَخَاضُ وَالْخِلْفَةُ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾[1] صِفَاتُ الْأَجْنِحَةِ، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْصَرِفْ لِتَكَرُّرِ الْعَدْلِ فيها، وَذَلِكَ أَنَّهَا عُدِلَتْ عَنْ أَلْفَاظِ الْأَعْدَادِ عَنْ صِيَغٍ إِلَى صِيَغٍ أُخَرَ، كَمَا عُدِلَ عُمَرُ عَنْ عَامِرٍ، وَحَذَامِ عَنْ حَاذِمَةَ، وَعَنْ تَكْرِيرٍ إِلَى غَيْرِ تَكْرِيرٍ. وَأَمَّا الْوَصْفيةُ، فَلَا يَفْتَرِقُ الْحَالُ فيمَا بَيْنَ الْمَعْدُولَةِ وَالْمَعْدُولِ عَنْهَا.

أَلَا تَرَاكَ تَقُولُ: مَرَرْتُ بِنِسْوَةٍ أَرْبَعٍ، وَبِرِجَالٍ ثَلَاثَةٍ، فَلَا يُعَرَّجُ عَلَيْهَا؟

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَلْقًا أَجْنِحَتُهُمُ اثْنَانِ اثْنَانِ، أَيْ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَنَاحَانِ، وَخَلْقًا أَجْنِحَتُهُمْ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ، وَخَلْقًا أَجْنِحَتُهُمْ أَرْبَعَةٌ أَرْبَعَةٌ.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[2]، أَيْ: يَزِيدُ في خَلْقِ الْأَجْنِحَةِ، وَفى غَيْرِهِ مَا تَقْتَضِيهِ مَشِيئَتُهُ وَحِكْمَتُهُ.

وَالْأَصْلُ: الْجَنَاحَانِ، لِأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْيَدَيْنِ، ثُمَّ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ زِيَادَةٌ عَلَى الْأَصْلِ، وَذَلِكَ أَقْوَى لِلطَّيَرَانِ وَأَعْوَنُ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قِيَاسُ الشَّفْعِ مِنَ الْأَجْنِحَةِ أَنْ يَكُونَ في كُلِّ شِقٍّ نِصْفُهُ، فَمَا صُورَةُ الثَّلَاثَةِ؟

قُلْتُ: لَعَلَّ الثَّالِثَ يَكُونُ في وَسَطِ الظَّهْرِ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ يَمُدُّهُمَا بِقُوَّةٍ. أَوْ لَعَلَّهُ لِغَيْرِ الطَّيَرَانِ، فَقَدْ مَرَّ في بَعْضِ الْكُتُبِ أَنْ صِنْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، فَجَنَاحَانِ يَلُفُّونَ بِهَا أَجْسَادَهُمْ، وَجَنَاحَانِ يَطِيرَانِ بِهِمَا في الْأَمْرِ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ، وَجَنَاحَانِ مُرْخَيَانِ عَلَى وُجُوهِهِمْ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامَ– لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ".

وَرُوِيَ: أَنَّهُ سَأَلَ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامَ– أَنْ يَتَرَاءَى لَهُ في صُورَتِهِ فَقَالَ: "إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ. قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ"، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ في صُورَتِهِ، فَغُشِيَ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، ثُمَّ أَفَاقَ وَجِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامَ– مُسْنِدُهُ وَإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى صَدْرِهِ وَالْأُخْرَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كُنْتُ أَرَى أَنْ شَيْئًا مِنَ الْخَلْقِ هَكَذَا"، فَقَالَ جِبْرِيلُ:" فَكَيْفَ لَوْ

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

رَأَيْتَ إِسْرَافِيلَ! لَهُ اثْنَا عَشَرَ جَنَاحًا: جَنَاحٌ مِنْهَا بِالْمُشْرِقِ، وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ، وَإِنَّ الْعَرْشَ عَلَى كَاهِلِهِ، وَإِنَّهُ لَيَتَضَاءَلُ الْأَحَايِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الْوَصْعِ"، وَهُوَ الْعُصْفُورُ الصَّغِيرُ.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[1]: هُوَ الْوَجْهُ الْحَسَنُ، وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ، وَالشَّعَرُ الْحَسَنُ".

وَقِيلَ: "الْحَظُّ الْحَسَنُ".

وَعَنْ قَتَادَةَ: الْمَلَاحَةُ في الْعَيْنَيْنِ.

وَالْآيَةُ مُطْلَقَةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ زِيَادَةٍ في الْخَلْقِ: مِنْ طُولِ قَامَةٍ، وَاعْتِدَالِ صُورَةٍ، وَتَمَامٍ في الْأَعْضَاءِ، وَقُوَّةٍ في الْبَطْشِ، وَحَصَافَةٍ في الْعَقْلِ، وَجَزَالَةٍ في الرَّأْيِ، وَجَرَاءَةٍ في الْقَلْبِ، وَسَمَاحَةٍ في النَّفْسِ، وَذَلَاقَةٍ في اللِّسَانِ وَلَبَاقَةٍ في التَّكَلُّمِ، وَحُسْنِ تَأَنٍّ في مُزَاوَلَةِ الْأُمُورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]

اسْتُعِيرَ الْفَتْحُ لِلْإِطْلَاقِ وَالْإِرْسَالِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[3] مَكَانَ: لَا فَاتِحَ لَهُ؟

يَعْنِي: أَيُّ شَيْءٍ يُطْلِقُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ، أَيْ مِنْ نِعْمَةِ رِزْقٍ أَوْ مَطَرٍ أَوْ صِحَّةٍ أَوْ أَمْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ نَعْمَائِهِ الَّتِي لَا يُحَاطُ بِعَدَدِهَا، وَتَنْكِيرُهُ الرَّحْمَةُ لِلْإِشَاعَةِ وَالْإِبْهَامِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مِنْ أَيَّةِ رَحْمَةٍ كَانَتْ سَمَاوِيَّةً أَوْ أَرْضِيَّةً، فَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهَا وَحَبْسِهَا، وَأَيُّ شَيْءٍ يُمْسِكُ اللَّهُ، فَلَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أَنَّثَ الضَّمِيرَ أَوَّلًا، ثُمَّ ذَكَّرَ آخِرًا؟ وَهُوَ رَاجِعٌ في الْحَالَيْنِ إِلَى الِاسْمِ الْمُتَضَمِّنِ مَعْنَى الشَّرْطِ؟

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قُلْتُ: هُمَا لُغَتَانِ: الْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى وَعَلَى اللَّفْظِ، وَالْمُتَكَلِّمُ عَلَى الْخِيَرَةِ فِيهِمَا، فَأَنَّثَ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ، وَذَكَّرَ عَلَى أَنَّ لَفْظَ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ لَا تَأْنِيثَ فيه، وَلِأَنَّ الْأَوَّلَ فُسِّرَ بِالرَّحْمَةِ، فَحَسُنَ إِتْبَاعُ الضَّمِيرِ التَّفْسِيرَ، وَلَمْ يُفَسَّرِ الثَّانِي فَتُرِكَ عَلَى أَصْلِ التَّذْكِيرِ.

وَقُرِئَ: فَلَا مُرْسِلَ لَهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا بُدَّ لِلثَّانِي مِنْ تَفْسِيرٍ، فَمَا تَفْسِيرُهُ؟

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرُهُ مِثْلَ تَفْسِيرِ الْأَوَّلِ. وَلَكِنَّهُ تُرِكَ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُطْلَقًا فِي كُلِّ مَا يُمْسِكُهُ مِنْ غَضَبِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَإِنَّمَا فُسِّرَ الْأَوَّلُ دُونَ الثَّانِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ فَسَّرَ الرَّحْمَةَ بِالتَّوْبَةِ وَعَزَاهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–؟

قُلْتُ: إِنْ أَرَادَ بِالتَّوْبَةِ الْهِدَايَةَ لَهَا وَالتَّوْفِيقَ فِيهَا –وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– إِنْ قَالَهُ، فَمَقْبُولٌ؛ وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يَتُوبَ الْعَاصِي تَابَ، وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَتُبْ، فَمَرْدُودٌ، لِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يَشَاءُ التَّوْبَةَ أَبَدًا.

وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَشَاءَهَا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾[1]: مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–:﴿ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾[2]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾[3]، أَيْ مِنْ بَعْدِ هِدَايَتِهِ وَبَعْدِ آيَاتِهِ.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾[4]: الْغَالِبُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِرْسَالِ وَالْإِمْسَاكِ.

"الْحَكِيمُ": الَّذِي يُرْسِلُ وَيُمْسِكُ مَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ إِرْسَالَهُ وَإِمْسَاكَهُ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[5]

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سورة الْجَاثِيَةِ، الآية 23.

[3] سورة الْجَاثِيَةِ، الآية 5.

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

لَيْسَ الْمُرَادُ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ ذِكْرَهَا بِاللِّسَانِ فَقَطْ، وَلَكِنْ بِهِ وَبِالْقَلْبِ، وَحِفْظُهَا مِنَ الْكُفْرَانِ وَالْغَمْطِ وَشُكْرُهَا بِمَعْرِفَةِ حَقِّهَا وَالِاعْتِرَافِ بِهَا وَطَاعَةِ مُوليهَا.

وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّجُلِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ: اذْكُرْ أَيَادِيَ عِنْدَكَ. يُرِيدُ حِفْظَهَا وَشُكْرَهَا وَالْعَمَلَ عَلَى مُوجِبِهَا، وَالْخِطَابُ عَامٌّ لِلْجَمِيعِ، لِأَنَّ جَمِيعَهُمْ مَغْمُورُونَ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: يُرِيدُ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، حَيْثُ أَسْكَنَكُمْ حُرْمَةً وَمَنَعَكُمْ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالنَّاسُ يُتَخَطَّفُونَ مِنْ حَوْلِكُمْ.

وَعَنْهُ: نِعْمَةُ اللَّهِ الْعَافِيَةُ.

وَقُرِئَ: (غَيْرُ اللَّهِ) بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، فَالْجَرُّ وَالرَّفْعُ عَلَى الْوَصْفِ لَفْظًا وَمَحَلًّا، وَالنَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَحَلٌّ إِذَا أَوْقَعْتَهُ صِفَةً لِخَالِقٍ، وَأَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَحَلٌّ إِذَا رَفَعْتَ مَحَلَّ مِنْ خَالِقٍ، بِإِضْمَارِ يَرْزُقُكُمْ، وَأَوْقَعْتَ يَرْزُقُكُمْ تَفْسِيرًا لَهُ، أَوْ جَعَلْتَهُ كَلَامًا مُبْتَدَأً بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ –تَعَالَى–؟

قُلْتُ: نَعَمْ إِنْ جَعَلْتَ "يَرْزُقُكُمْ " كَلَامًا مُبْتَدَأً، وَهُوَ الْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَوْجُهِ الثَّلَاثَةِ.

وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهَيْنِ الْآخَرَيْنِ: وَهُمَا الْوَصْفُ وَالتَّفْسِيرُ، فَقَدْ يُقَيَّدُ فِيهِمَا بِالرِّزْقِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَخَرَجَ مِنَ الْإِطْلَاقِ، فَكَيْفَ يُسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى اخْتِصَاصِهِ، بِالْإِطْلَاقِ، وَالرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ، وَمِنَ الْأَرْضِ النَّبَاتُ؟

﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾[3] جُمْلَةٌ مَفْصُولَةٌ لَا مَحَلَّ لَهَا، مِثْلَ: يَرْزُقُكُمْ فِي الْوَجْهِ الثَّالِثِ، وَلَوْ وَصَلْتَهَا كَمَا وَصَلْتَ يَرْزُقُكُمْ لَمْ يُسَاعِدْ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ قَوْلَكَ: هَلْ مِنْ خَالِقٍ آخَرَ سِوَى

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا ذَلِكَ الْخَالِقُ: غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ، لِأَنَّ قَوْلَكَ: هَلْ مِنْ خَالِقٍ سِوَى اللَّهِ إِثْبَاتٌ لِلَّهِ؟ فَلَوْ ذَهَبْتَ تَقُولُ ذَلِكَ: كُنْتَ مُنْقِضًا بِالنَّفى بَعْدَ الْإِثْبَاتِ؟

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[1]: فَمِنْ أَيِّ وَجْهٍ تُصْرَفُونَ عَنِ التَّوْحِيدِ إِلَى الشِّرْكِ؟.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[2]

نَعَى بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ سُوءَ تَلَقِّيهِمْ لِآيَاتِ اللَّهِ، وَتَكْذِيبَهُمْ بِهَا، وَسَلَّى رَسُولَهُ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَنَّ لَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، ثُمَّ جَاءَ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ: مِنْ رُجُوعِ الْأُمُورِ إِلَى حِكْمَةٍ وَمُجَازَاةِ الْمُكَذِّبِ بِمَا يَسْتَحِقَّانِهِ.

وَقُرِئَ: (تُرْجَعُ) بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ صِحَّةِ جَزَاءِ الشَّرْطِ، وَمِنْ حَقِّ الْجَزَاءِ أَنْ يَتَعَقَّبَ الشَّرْطَ هَذَا سَابِقٌ لَهُ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَتَأَسَّ بِتَكْذِيبِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ، فَوُضِعَ: ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3] مَوْضِعَ: فَتَأَسَّ، اسْتِغْنَاءً بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبِّبِ: أَعْنِي بِالتَّكْذِيبِ عَنِ التَّأَسِّي.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى التَّنْكِيرِ فِي رُسُلٍ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ، أَيْ رُسُلٌ ذَوُو عَدَدٍ كَثِيرٍ، وَأُولُو آيَاتٍ وَنُذُرٍ، وَأَهْلُ أَعْمَارٍ طِوَالٍ وَأَصْحَابُ صَبْرٍ وَعَزْمٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَهَذَا أَسْلَى لَهُ، وَأَحَثُّ عَلَى الْمُصَابَرَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1]

وَعَدَ اللَّهُ الْجَزَاءَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾[2]: فَلَا تَخْدَعَنَّكُمْ ﴿الدُّنْيَا﴾[3] وَلَا يُذْهِلَنَّكُمُ التَّمَتُّعُ بِهَا وَالتَّلَذُّذُ بِمَنَافِعِهَا عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ وَطَلَبِ مَا عِنْدَ اللَّهِ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[4]: لَا يَقُولَنَّ لَكُمُ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَغْفِرُ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَيَعْفُو عَنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ.

وَالْغَرُورُ: الشَّيْطَانُ، لِأَنَّ ذَلِكَ دَيْدَنُهُ.

وَقُرِئَ بِالضَّمِّ، وَهُوَ مَصْدَرُ غَرَّهُ كَاللُّزُومِ وَالنُّهُوكِ أَوْ جَمْعُ غَارٍّ كَقَاعِدٍ وَقُعُودٍ أَخْبَرَنَا اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنَّ الشَّيْطَانَ لَنَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَاقْتَصَّ عَلَيْنَا قِصَّتَهُ وَمَا فَعَلَ بِأَبِينَا آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلَامَ–، وَكَيْفَ انْتُدِبَ لِعَدَاوَةِ جِنْسِنَا مِنْ قَبْلِ وُجُودِهِ وَبَعْدَهُ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ نَتَوَلَّاهُ وَنُطِيعُهُ فِيمَا يُرِيدُ مِنَّا مِمَّا فِيهِ هَلَاكُنَا، فَوَعَظَنَا –عَزَّ وَجَلَّ– بِأَنَّهُ كَمَا عَلِمْتُمْ عَدُوُّكُمُ الَّذِي لَا عَدُوَّ أَعْرَقَ فِي الْعَدَاوَةِ مِنْهُ، وَأَنْتُمْ تُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِحَالِهِ.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[5] فِي عَقَائِدِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَلَا يُوجَدَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَى مُعَادَاتِهِ وَمُنَاصَبَتِهِ فِي سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ، ثُمَّ لَخَّصَ سِرَّ أَمْرِهِ وَخَطَأَ مَنِ اتَّبَعَهُ بِأَنَّ غَرَضَهُ الَّذِي يَؤُمُّهُ فِي دَعْوَةِ شِيعَتِهِ وَمُتَّبِعِي خُطُوَاتِهِ: هُوَ أَنْ يُورِدَهُمْ مَوْرِدَ الشِّقْوَةِ وَالْهَلَاكِ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

أَصْحَابِ السَّعِيرِ. ثُمَّ كَشَفَ الْغِطَاءَ وَقَشَرَ اللِّحَاءَ، لِيَقْطَعَ الْأَطْمَاعَ الْفَارِغَةَ وَالْأَمَانِيَ الْكَاذِبَةَ، فَبَنَى الْأَمْرَ كُلَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ وَتَرْكِهِمَا.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1]

لَمَّا ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا، قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[2]، يَعْنِي: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ، كَمَنْ لَمْ يُزَيَّنْ لَهُ، فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: (لَا)، فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[3]، وَمَعْنَى تَزْيِينِ الْعَمَلِ وَالْإِضْلَالِ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَاصِي عَلَى صِفَةٍ لَا تُجْدِي عَلَيْهِ الْمَصَالِحُ، حَتَّى يَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ خِذْلَانَ اللَّهِ –تَعَالَى– وَتَخْلِيَتَهُ وَشَأْنَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهِيمُ فِي الضَّلَالِ وَيُطْلِقُ آمِرَ النَّهْيِ، وَيَعْتَنِقُ طَاعَةَ الْهَوَى، حَتَّى يَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا وَالْحَسَنَ قَبِيحًا، كَأَنَّمَا غُلِبَ عَلَى عَقْلِهِ وَسُلِبَ تَمْيِيزَهُ، وَيَقْعُدُ تَحْتَ قَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ:

اسْقِنِي حَتَّى تَرَانِي حَسَنًا عِنْدِي الْقَبِيحَ

وَإِذَا خَذَلَ اللَّهُ الْمُصَمِّمِينَ عَلَى الْكُفْرِ وَخَلَّاهُمْ وَشَأْنَهُمْ، فَإِنَّ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ لَا يَهْتَمَّ بِأَمْرِهِمْ وَلَا يُلْقِيَ بِالًا إِلَى ذِكْرِهِمْ، وَلَا يَحْزَنَ وَلَا يَتَحَسَّرَ عَلَيْهِمْ: اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ اللَّهِ –تَعَالَى– فِي خِذْلَانِهِمْ وَتَخْلِيَتِهِمْ.

وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ أَنَّ الْمَعْنَى: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، فَحَذَفَ الْجَوَابَ لِدَلَالَةِ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِ: أَوْ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1] عَلَيْهِ.

حَسَرَاتٍ: مَفْعُولٌ لَهُ، يَعْنِي: فَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ لِلْحَسَرَاتِ. وَعَلَيْهِمْ صِلَةُ تَذْهَبْ، كَمَا تَقُولُ: هَلَكَ عَلَيْهِ حُبًّا، وَمَاتَ عَلَيْهِ حُزْنًا. أَوْ هُوَ بَيَانٌ لِلْمُتَحَسَّرِ عَلَيْهِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِحَسَرَاتٍ، لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ صِلَتُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا، كَأَنَّ كُلَّهَا صَارَتْ حَسَرَاتٍ لِفَرْطِ التَّحَسُّرِ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

مَشَقَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهُنَّ مَعَ السُّرَى حَتَّى ذَهَبْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورَا

يُرِيدُ: رَجَعْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا، أَيْ: لَمْ يَبْقَ إِلَّا كَلَاكِلُهَا وَصُدُورُهَا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامُ

وَقُرِئَ: (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2]: وَعِيدٌ لَهُمْ بِالْعِقَابِ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[3]

وَقُرِئَ: (أَرْسَلَ الرِّيحَ).

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَاءَ ﴿فَتُثِيرُ﴾[4] عَلَى الْمُضَارَعَةِ دُونَ مَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ؟

قُلْتُ: لِيُحْكَى الْحَالُ الَّتِي تَقَعُ فيها إِثَارَةُ الرِّيَاحِ السَّحَابَ، وَتَسْتَحْضِرُ تِلْكَ الصُّوَرَ الْبَدِيعَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ بِفِعْلٍ فيهِ نَوْعُ تَمْيِيزٍ وَخُصُوصِيَّةٍ، بِحَالٍ تُسْتَغْرَبُ، أَوْ تَهُمُّ الْمُخَاطَبَ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَأَبَّطَ شَرًّا:

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

بِأَبِي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْـــــوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَـــــرَّتْ صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِـــــــرَانِ

لِأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يُصَوِّرَ لِقَوْمِهِ الْحَالَةَ الَّتِي تَشَجَّعَ فيها بِزَعْمِهِ عَلَى ضَرْبِ الْغُولِ، وَكَأَنَّهُ يُبْصِرُهُمْ إِيَّاهَا وَيُطْلِعُهُمْ عَلَى كُنْهِهَا، مُشَاهَدَةً لِلتَّعْجِيبِ مِنْ جُرْأَتِهِ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ، وَثَبَاتِهِ عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ.

وَكَذَلِكَ سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ، وَإِحْيَاءُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ بَعْدَ مَوْتِهَا: لَمَّا كَانَا مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ.

قِيلَ: فَسُقْنَا، وَأَحْيَيْنَا، مَعْدُولًا بِهِمَا عَنْ لَفْظِ الْغَيْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَدْخَلُ فِي الِاخْتِصَاصِ وَأَدَلُّ عَلَيْهِ.

وَالْكَافُ فِي ﴿كَذَلِكَ﴾[1] فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ، أَيْ: مِثْلُ إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ نُشُورُ الْأَمْوَاتِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟". فَقَالَ: "هَلْ مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلَكَ مَحْلًا ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا". قَالَ: "نَعَمْ". قَالَ: "فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَتِلْكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ".

وَقِيلَ: يُحْيِي اللَّهُ الْخَلْقَ بِمَاءٍ يُرْسِلُهُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ الْخَلْقِ.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2]

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

كَانَ الْكَافِرُونَ يَتَعَزَّزُونَ بِالْأَصْنَامِ، كَمَا قَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[1]، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةِ قُلُوبِهِمْ كَانُوا يَتَعَزَّزُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ –تَعَالَى–: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2]، فَبَيَّنَ أَنْ لَا عَزَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ.

وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وَالْمَعْنَى: فَلْيَطْلُبْهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَوُضِعَ قَوْلُهُ: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[4] مَوْضِعَهُ، اسْتِغْنَاءً بِهِ عَنْهُ لِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُطْلَبُ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَمَالِكِهِ.

وَنَظِيرُهُ قَوْلُكَ: مَنْ أَرَادَ النَّصِيحَةَ فَهِيَ عِنْدَ الْأَبْرَارِ، تُرِيدُ: فَلْيَطْلُبْهَا عِنْدَهُمْ، إِلَّا أَنَّكَ أَقَمْتَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَقَامَهُ.

وَمَعْنَى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: أَنَّ الْعِزَّةَ كُلَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ: عَزَّةُ الدُّنْيَا وَعَزَّةُ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ عَرَّفَ أَنَّ مَا تُطْلَبُ بِهِ الْعِزَّةُ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[5]، وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَ لَا تُقْبَلُ وَلَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُكْتَبُ حَيْثُ تُكْتَبُ الْأَعْمَالُ الْمَقْبُولَةُ، كَمَا قَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[6]، إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِهَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي يُحَقِّقُهَا وَيُصَدِّقُهَا، فَرَفَعَهَا وَأَصْعَدَهَا.

وَقِيلَ: الرَّافِعُ الْكَلِمُ، وَالْمَرْفُوعُ الْعَمَلُ، لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا مِنْ مُوَحِّدٍ.

وَقِيلَ: الرَّافِعُ هُوَ اللَّهُ –تَعَالَى–، وَالْمَرْفُوعُ الْعَمَلُ.

وَقِيلَ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ: كُلُّ ذِكْرٍ مِنْ تَكْبِيرٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَدُعَاءٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

[1] سُورَةُ مَرْيَم، الآية 81.

[2] سُورَةُ النِّسَاءِ، الآية 139.

[3] سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ، الآية 188.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِذَا قَالَهَا الْعَبْدُ عَرَجَ بِهَا الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ، فَحَيَّا بِهَا وَجْهَ الرَّحْمَنِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ صَالِحٌ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ".

وَفِي الْحَدِيثِ: "وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً إِلَّا بِإِصَابَةِ السُّنَّةِ".

وَعَنِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ: قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ كَثَرِيدٍ بِلَا دَسَمٍ، وَسَحَابٍ بِلَا مَطَرٍ، وَقَوْسٍ بِلَا وَتَرٍ.

وَقُرِئَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[1] عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[2] عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ، مِنْ أَصْعَدَ.

وَالْمِصْعَدُ: هُوَ الرَّجُلُ أَيْ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ.

وَقُرِئَ: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[3]، بِنَصْبِ الْعَمَلِ وَالرَّافِعُ الْكَلِمُ أَوِ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَإِنْ قُلْتَ: مَكَرَ: فِعْلٌ غَيْرُ مُتَعَدٍّ. لَا يُقَالُ: مَكَرَ فُلَانٌ عَمَلَهُ فَبِمَ نُصِبَ "السَّيِّئَاتِ "؟

قُلْتُ: هَذِهِ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَوْ لِمَا فِي حُكْمِهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾[4] أَصْلُهُ وَالَّذِينَ مَكَرُوا وَالْمَكَرَاتُ السَّيِّئَاتُ. أَوْ أَصْنَافُ الْمَكْرِ السَّيِّئَاتُ، وَعَنَى بِهِنَّ مَكَرَاتِ قُرَيْشٍ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَتَدَاوَرُوا الرَّأْيَ فِي إِحْدَى ثَلَاثِ مَكَرَاتٍ يَمْكُرُونَهَا بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِمَّا إِثْبَاتُهُ، أَوْ قَتْلُهُ، أَوْ إِخْرَاجُهُ، كَمَا حَكَى اللَّهُ –سُبْحَانَهُ– عَنْهُمْ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[5].

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سورة فَاطِرَ، الآية 43.

[5] سورة الْأَنْفَالِ، الآية 30.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[1]، يَعْنِي: مَكَرَ أُولَئِكَ الَّذِينَ مَكَرُوا تِلْكَ الْمَكَرَاتِ الثَّلَاثَ هُوَ خَاصَّةً يَبُورُ، أَيْ: يَكْسُدُ وَيَفْسُدُ، دُونَ مَكْرِ اللَّهِ بِهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَقَتَلَهُمْ وَأَثْبَتَهُمْ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مَكَرَاتِهِمْ جَمِيعًا وَحَقَّقَ فِيهِمْ قَوْلَهُ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]، وَقَوْلَهُ: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[3].

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4]

﴿أَزْوَاجًا﴾[5] أَصْنَافًا، أَوْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾[6].

وَعَنْ قَتَادَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: زَوَّجَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا "بِعِلْمِهِ" فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: إِلَّا مَعْلُومَةً لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾[7]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ مُعَمَّرًا بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ،

فَإِنْ قُلْتَ: الْإِنْسَانُ إِمَّا مُعَمَّرٌ، أَيْ طَوِيلُ الْعُمُرِ: أَوْ مَنْقُوصُ الْعُمُرِ، أَيْ قَصِيرُهُ.

فَأَمَّا أَنْ يَتَعَاقَبَ عَلَيْهِ التَّعْمِيرُ وَخِلَافُهُ فَمُحَالٌ، فَكَيْفَ صَحَّ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾[8]؟

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

2 سورة الْأَنْفَالِ، الآية 30.

3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

6 سورة الشُّورَى، الآية 50.

7 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

8 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قُلْتُ: هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَسَامَحِ فيهِ، ثِقَةً في تَأْوِيلِهِ بِأَفْهَامِ السَّامِعِينَ، وَاتِّكَالًا عَلَى تَسْدِيدِهِمْ مَعْنَاهُ بِعُقُولِهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِمْ إِحَالَةُ الطُّولِ وَالْقِصَرِ في عُمُرٍ وَاحِدٍ. وَعَلَيْهِ كَلَامُ النَّاسِ الْمُسْتَفِيضُ. يَقُولُونَ: لَا يُثِيبُ اللَّهُ عَبْدًا، وَلَا يُعَاقِبُهُ إِلَّا بِحَقٍّ. وَمَا تَنَعَّمْتُ بَلَدًا وَلَا اجْتَوَيْتُهُ إِلَّا قَلَّ فيهِ ثَوَابِي وَفيهِ تَأْوِيلٌ آخَرُ: هُوَ أَنَّهُ لَا يَطُولُ عُمُرُ إِنْسَانٍ وَلَا يَقْصُرُ إِلَّا في كِتَابٍ.

وَصُورَتُهُ: أَنْ يُكْتَبَ في اللَّوْحِ: إِنْ حَجَّ فُلَانٌ أَوْ غَزَا فَعُمُرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَإِنْ حَجَّ وَغَزَا فَعُمُرُهُ سِتُّونَ سَنَةً، فَإِذَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَبَلَغَ السِّتِّينَ، فَقَدْ عُمِّرَ. وَإِذَا أَفْرَدَ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهِ الْأَرْبَعُونَ، فَقَدْ نَقَصَ مِنْ عُمُرِهِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ، وَهُوَ السِّتُّونَ.

وَإِلَيْهِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في قَوْلِهِ: "إِنَّ الصَّدَقَةَ وَالصِّلَةَ تُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَتَزِيدَانِ في الْأَعْمَارِ".

وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ حِينَ طُعِنَ عُمَرُ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: لَوْ أَنَّ عُمَرَ دَعَا اللَّهَ لَأَخَّرَ في أَجَلِهِ، فَقِيلَ لِكَعْبٍ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]؟ قَالَ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾[2]، وَقَدِ اسْتَفَاضَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ، وَفَسَحَ في مُدَّتِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: يُكْتَبُ في الصَّحِيفَةِ عُمُرُهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً، ثُمَّ يُكْتَبُ في أَسْفَلِ ذَلِكَ: ذَهَبَ يَوْمٌ، ذَهَبَ يَوْمَانِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِ .

وَعَنْ قَتَادَةَ –رَضِيَ الله عَنْهُ–: الْمُعَمَّرُ مَنْ بَلَغَ السِّتِّينَ سَنَةً، وَالْمَنْقُوصُ مَنْ عُمُرُهُ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ سِتِّينَ سَنَةً، وَالْكِتَابُ: اللَّوْحُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ: عِلْمُ اللَّهِ، أَوْ صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ.

وَقُرِئَ: (وَلَا يَنْقُصُ) عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ مِنْ عُمُرِهِ بِالتَّخْفِيفِ.

---

[1] سورة يُونُسَ، الآية 49.

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

ضَرَبَ الْبَحْرَيْنِ: الْعَذْبَ وَالْمَالِحَ مَثَلَيْنِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، ثُمَّ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ فِي صِفَةِ الْبَحْرَيْنِ وَمَا عَلَّقَ بِهِمَا مِنْ نِعْمَتِهِ وَعَطَائِهِ: ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾[2]، أَيْ: وَمِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[3]، وَهُوَ السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾[4]، وَهِيَ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾[5] فِي كُلٍّ ﴿مَوَاخِرَ﴾[6] شَوَاقَّ لِلْمَاءِ بِجَرْيِهَا، يُقَالُ: مَخَرَتِ السَّفِينَةُ الْمَاءَ. وَيُقَالُ لِلسَّحَابِ: بَنَاتُ مَخْرٍ، لِأَنَّهَا تَمْخُرُ الْهَوَاءَ وَالسَّفَنُ الَّذِي اشْتُقَّتْ مِنْهُ السَّفِينَةُ قَرِيبٌ مِنَ الْمَخْرِ، لِأَنَّهَا تَسْفُنُ الْمَاءَ كَأَنَّهَا تَقْشُرُهُ، كَمَا تَمْخُرُهُ ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾[7] مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْآيَةِ، وَلَكِنْ فِيمَا قَبْلَهَا. وَلَوْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يُشْكِلْ، لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِ.

وَحَرْفُ الرَّجَاءِ مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الْإِرَادَةِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ لَامِ التَّعْلِيلِ، كَأَنَّمَا قِيلَ: لِتَبْتَغُوا، وَلِتَشْكُرُوا؟!

وَالْفُرَاتُ: الَّذِي يَكْسِرُ الْعَطَشَ.

وَالسَّائِغُ: الْمَرِيءُ السَّهْلُ الِانْحِدَارِ لِعُذُوبَتِهِ.

وَقُرِئَ: (سَيِّغٌ) بِوَزْنِ سَيِّدٍ، وَسَيْغٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَمِلْحٌ: عَلَى فِعْلٍ.

وَالْأُجَاجُ: الَّذِي يَحْرُقُ بِمُلُوحَتِهِ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَيُحْتَمَلُ غَيْرُ طَرِيقَةِ الِاسْتِطْرَادِ، وَهُوَ أَنْ يُشَبِّهَ الْجِنْسَيْنِ بِالْبَحْرَيْنِ.

ثُمَّ يُفَضِّلُ الْبَحْرَ الْأُجَاجَ عَلَى الْكَافِرِ، بِأَنَّهُ قَدْ شَارَكَ الْعَذْبَ فِي مَنَافِعَ مِنَ السَّمَكِ وَاللُّؤْلُؤِ، وَجَرَى الْفُلْكُ فيهِ وَالْكَافِرُ خَلْوٌ مِنَ النَّفْعِ، فَهُوَ فِي طَرِيقَةِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2].

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[3]

﴿ذَلِكُمْ﴾[4]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾[5]: أَخْبَارٌ مُتَرَادِفَةٌ، أَوْ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[6]: خَبَرَانِ.

وَ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾[7]: جُمْلَةٌ مُبْتَدَأَةٌ وَاقِعَةٌ فِي قِرَانِ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[8].

وَيَجُوزُ فِي حُكْمِ الْإِعْرَابِ إِيقَاعُ اسْمِ اللَّهِ صِفَةً لِاسْمِ الْإِشَارَةِ أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ، وَرَبُّكُمْ خَبَرًا، لَوْلَا أَنَّ الْمَعْنَى يَأْبَاهُ.

وَالْقِطْمِيرُ: لِفَافَةُ النَّوَاةِ، وَهِيَ الْقِشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الْمُلْتَفَّةُ عَلَيْهَا.

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

2 سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الآية 74.

3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

6 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

7 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

8 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1]

إِنْ تَدْعُوَا الْأَوْثَانَ ﴿لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾[2]، لِأَنَّهُمْ جَمَادٌ.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾[3] عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّمْثِيلِ لِـ ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[4]، لِأَنَّهُمْ لَا يَدَّعُونَ مَا تَدَّعُونَ لَهُمْ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ، وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْهَا.

وَقِيلَ: مَا نَفَعُوكُمْ.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[5]: وَلَا يُخْبِرُكَ بِالْأَمْرِ مُخْبِرٌ هُوَ مِثْلُ خَبِيرٍ عَالِمٍ بِهِ.

وَيُرِيدُ: أَنَّ الْخَبِيرَ بِالْأَمْرِ وَحْدَهُ، هُوَ الَّذِي يُخْبِرُكَ بِالْحَقِيقَةِ دُونَ سَائِرِ الْمُخْبِرِينَ بِهِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ حَالِ الْأَوْثَانِ هُوَ الْحَقُّ، لِأَنِّي خَبِيرٌ بِمَا أَخْبَرْتُ بِهِ.

وَقُرِئَ: (يَدْعُونَ)، بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[6]

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ عَرَّفَ الْفُقَرَاءَ؟

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

2 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

6 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قُلْتُ: قَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يُرِيَهُمْ أَنَّهُمْ لِشِدَّةِ افْتِقَارِهِمْ إِلَيْهِ هُمْ جِنْسُ الْفُقَرَاءِ، وَإِنْ كَانَتِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ مُفْتَقِرِينَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، لِأَنَّ الْفَقْرَ مِمَّا يَتْبَعُ الضَّعْفَ. وَكُلَّمَا كَانَ الْفَقِيرُ أَضْعَفَ كَانَ أَفْقَرَ، وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ– عَلَى الْإِنْسَانِ بِالضَّعْفِ في قَوْلِهِ: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[1]، وَقَالَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾[2]، وَلَوْ نُكِّرَ لَكَانَ الْمَعْنَى أَنْتُمْ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قُوبِلَ الْفُقَرَاءُ بِالْغِنَى، فَمَا فَائِدَةُ الْحَمِيدِ؟

قُلْتُ: لَمَّا أَثْبَتَ فَقْرَهُمْ إِلَيْهِ وَغِنَاهُ عَنْهُمْ –وَلَيْسَ كُلُّ غَنِيٍّ نَافِعًا بِغِنَاهُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَنِيُّ جَوَادًا مُنْعِمًا، فَإِذَا جَادَ وَأَنْعَمَ حَمِدَهُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَمْدَ– ذَكَرَ الْحَمِيدَ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ النَّافِعُ بِغِنَاهُ خَلْقَهُ، الْجَوَادُ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَحِقُّ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ، الْحَمِيدُ عَلَى أَلْسِنَةِ مُؤْمِنِيهِمْ ﴿بِعَزِيزٍ﴾[3] بِمُمْتَنِعٍ.

وَهَذَا غَضَبٌ عَلَيْهِمْ لِاتِّخَاذِهِمْ لَهُ أَنْدَادًا، وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ وَمَعَاصِيهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[4].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: يَخْلُقُ بَعْدَكُمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[5]

الْوِزْرُ وَالْوَقْرُ: أَخَوَانِ، وَوَزَرَ الشَّيْءَ إِذَا حَمَلَهُ. وَالْوَازِرَةُ: صِفَةٌ لِلنَّفْسِ.

---

[1] سُورَةُ النِّسَاءِ، الآية 28.

[2] سُورَةُ الرُّومِ، الآية 54.

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ مُحَمَّدٍ، الآية 38.

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَحْمِلُ إِلَّا وِزْرَهَا الَّذِي اقْتَرَفَتْهُ: لَا تُؤْخَذُ نَفْسٌ بِذَنْبِ نَفْسٍ، كَمَا تَأْخُذُ جَبَابِرَةُ الدُّنْيَا: الْوَلِيُّ بِالْوَلِيِّ، وَالْجَارُ بِالْجَارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَلَا تَزِرُ نَفْسٌ وِزْرَ أُخْرَى؟ وَلِمَ قِيلَ وَازِرَةٌ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ النُّفُوسَ الْوَازِرَاتِ لَا تَزِرُ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ إِلَّا حَامِلَةً وِزْرَهَا، لَا وِزْرَ غَيْرِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تُوَفِّقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: تِلْكَ الْآيَةُ فِي الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ، وَأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ أَثْقَالَ إِضْلَالِ النَّاسِ مَعَ أَثْقَالِ ضَلَالِهِمْ، وَذَلِكَ كُلُّهُ أَوْزَارُهُمْ مَا فيها شَيْءٌ مِنْ وِزْرِ غَيْرِهِمْ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ -تَعَالَى- فِي قَوْلِهِمْ: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [2]بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[3]؟

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[4] وَبَيْنَ مَعْنَى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾[5]؟

قُلْتُ:

- الْأَوَّلُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى عَدْلِ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي حُكْمِهِ، وَأَنَّهُ -تَعَالَى- لَا يُؤَاخِذُ نَفْسًا بِغَيْرِ ذَنْبِهَا.

- وَالثَّانِي: فِي أَنْ لَا غِيَاثَ يَوْمَئِذٍ لِمَنِ اسْتَغَاثَ، حَتَّى أَنَّ نَفْسًا قَدْ أَثْقَلَهَا الْأَوْزَارُ وَبَهَظَتْهَا، لَوْ دَعَتْ إِلَى أَنْ يُخَفَّفَ بَعْضُ وَقْرِهَا لَمْ تُجَبْ وَلَمْ تُغَثْ، وَإِنْ كَانَ الْمَدْعُوُّ بَعْضَ قَرَابَتِهَا مِنْ أَبٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ أَخٍ.

---

[1] سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الآية 13.

[2] سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الآية 12.

[3] سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الآية 12.

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: إِلَامَ أَسْنَدَ كَانَ فِي ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[1]؟

قُلْتُ: إِلَى الْمَدْعُوِّ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ:﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ تَرَكَ ذِكْرَ الْمَدْعُوِّ؟ قُلْتُ: لِيَعُمَّ، وَيَشْمَلَ كُلَّ مَدْعُوٍّ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اسْتَقَامَ إِضْمَارُ الْعَامِّ؟ وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْعَامُّ ذَا قُرْبَى لِلْمُثْقَلَةِ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنَ الْعُمُومِ الْكَائِنِ عَلَى طَرِيقِ الْبَدَلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَرَأَ: (وَلَوْ كَانَ ذُو قُرْبَى) عَلَى كَانَ التَّامَّةِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[3]؟

قُلْتُ: نَظْمُ الْكَلَامِ أَحْسَنُ مُلَاءَمَةً لِلنَّاقِصَةِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ الْمُثْقَلَةَ إِنْ دَعَتْ أَحَدًا إِلَى حَمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ كَانَ مَدْعُوُّهَا ذَا قُرْبَى، وَهُوَ مَعْنَى صَحِيحٌ مُلْتَئِمٌ.

وَلَوْ قُلْتَ: وَلَوْ وُجِدَ ذُو قُرْبَى، لَتَفَكَّكَ وَخَرَجَ مِنَ اتِّسَاقِهِ وَالْتِئَامِهِ، عَلَى أَنَّ هَا هُنَا مَا سَاغَ أَنْ يَسْتَتِرَ لَهُ ضَمِيرٌ فِي الْفِعْلِ بِخِلَافِ مَا أَوْرَدْتُهُ ﴿بِالْغَيْبِ﴾[4] حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ أَوِ الْمَفْعُولِ، أَيْ: يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ غَائِبِينَ عَنْ عَذَابِهِ أَوْ يَخْشَوْنَ عَذَابَهُ غَائِبًا عَنْهُمْ.

وَقِيلَ: بِالْغَيْبِ فِي السِّرِّ، وَهَذِهِ صِفَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ عَادَتُهُمُ الْمُسْتَمِرَّةُ أَنْ يَخْشَوُا اللَّهَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَتَرَكُوهَا مَنَارًا مَنْصُوبًا وَعَلَمًا مَرْفُوعًا، يَعْنِي: إِنَّمَا تَقْدِرُ عَلَى إِنْذَارِ هَؤُلَاءِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ قَوْمِكَ، وَعَلَى تَحْصِيلِ مَنْفَعَةِ الْإِنْذَارِ فِيهِمْ دُونَ مُتَمَرِّدِيهِمْ وَأَهْلِ عِنَادِهِمْ.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾[5]: وَمَنْ تَطَهَّرَ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي.

وَقُرِئَ: (مَنْ أَزْكَى فَإِنَّمَا يُزَكِّي)، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ مُؤَكِّدٌ لِخَشْيَتِهِمْ وَإِقَامَتِهِمُ الصَّلَاةَ، لِأَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ التَّزَكِّي.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سورة الْبَقَرَة، الآية 280.

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1]: وَعْدٌ لِلْمُتَزَكِّينَ بِالثَّوَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[2] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لَمَّا غَضِبَ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ:﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[3] أَتْبَعَهُ الْإِنْذَارَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَذِكْرِ أَهْوَالِهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[4]، كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَسْمَعَهُمْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَنْفَعْ، فَنَزَلَ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[5] أَوْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– بِعِلْمِهِ فِيهِمْ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ
وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ
وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[6]

﴿الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[7] مَثَلٌ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، كَمَا ضَرَبَ الْبَحْرَيْنِ مَثَلًا لَهُمَا أَوْ لِلصَّنَمِ وَاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ وَالظِّلُّ وَالْحَرُورُ: مَثَلَانِ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمَا يُؤَدِّيَانِ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَالْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ: مَثَلٌ لِلَّذِينِ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهِ، وَأَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ وَالْحَرُورُ: السَّمُومُ، إِلَّا أَنَّ السَّمُومَ يَكُونُ بِالنَّهَارِ. وَالْحَرُورَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَقِيلَ: بِاللَّيْلِ خَاصَّةً.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا الْمَقْرُونَةُ بِوَاوِ الْعَطْفِ مَا هِيَ؟

قُلْتُ: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاوُ فِي النَّفِي قُرِنَتْ بِهَا لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفِي.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[6] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
[7] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ هَذِهِ الْوَاوَاتِ؟

قُلْتُ: بَعْضُهَا ضُمَّتْ شَفْعًا إِلَى شَفْعٍ، وَبَعْضُهَا وَتْرًا إِلَى وَتْرٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، يَعْنِي: أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَنْ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ مِمَّنْ لَا يَدْخَلُ فِيهِ، فَيُهْدِي الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْهِدَايَةَ تَنْفَعُ فِيهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِيهِ.

وَأَمَّا أَنْتَ فَخَفِيَ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ، فَلِذَلِكَ تَحْرِصُ وَتَتَهَالَكُ عَلَى إِسْلَامِ قَوْمٍ مِنَ الْمَخْذُولِينَ.

وَمِثْلُكَ فِي ذَلِكَ مِثْلُ مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يُسْمِعَ الْمَقْبُورِينَ وَيُنْذِرَ، وَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ﴾[2]، أَيْ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَ وَتُنْذِرَ، فَإِنْ كَانَ الْمُنْذَرُ مِمَّنْ يَسْمَعُ الْإِنْذَارَ نَفَعَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُصِرِّينَ فَلَا عَلَيْكَ.

وَيُحْتَمَلُ: أَنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَهْدِيَ الْمَطْبُوعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْقَسْرِ وَالْإِلْجَاءِ، وَغَيْرَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ. وَأَمَّا أَنْتَ، فَلَا حِيلَةَ لَكَ فِي الْمَطْبُوعِ عَلَى قُلُوبِهِمُ الَّذِينَ هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتَى.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[3]

﴿بِالْحَقِّ﴾[4] حَالٌ مِنْ أَحَدِ الضَّمِيرَيْنِ، يَعْنِي: مُحِقًّا أَوْ مُحِقِّينَ، أَوْ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَيْ: إِرْسَالًا مَصْحُوبًا بِالْحَقِّ. أَوْ صِلَةٌ لِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ عَلَى: بَشِيرًا بِالْوَعْدِ الْحَقِّ، وَنَذِيرًا بِالْوَعِيدِ الْحَقِّ.

وَالْأُمَّةُ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ.

---

[1] سُورَةُ فَاطِر، الآية 22.

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾[1]، وَيُقَالُ لِأَهْلِ كُلِّ عَصْرٍ: أُمَّةٌ.

وَفِي حُدُودِ الْمُتَكَلِّمِينَ: الْأُمَّةُ هُمُ الْمُصَدِّقُونَ بِالرَّسُولِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دُونَ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يُعْتَبَرُ إِجْمَاعُهُمْ.

وَالْمُرَادُ هَا هُنَا: أَهْلُ الْعَصْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَمْ مِنْ أُمَّةٍ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ –عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، وَلَمْ يَخْلُ فيها نَذِيرٌ؟

قُلْتُ: إِذَا كَانَتْ آثَارُ النِّذَارَةِ بَاقِيَةً لَمْ تَخْلُ مِنْ نَذِيرٍ إِلَى أَنْ تَنْدَرِسَ، حِينَ انْدَرَسَتْ آثَارُ نِذَارَةِ عِيسَى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اكْتَفَى بِذِكْرِ النَّذِيرِ عَنِ الْبَشِيرِ فِي آخِرِ الْآيَةِ بَعْدَ ذِكْرِهِمَا؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَتِ النِّذَارَةُ مَشْفُوعَةً بِالْبِشَارَةِ لَا مَحَالَةَ، دَلَّ ذِكْرُهَا عَلَى ذِكْرِهَا، لَا سِيَّمَا قَدِ اشْتَمَلَتِ الْآيَةُ عَلَى ذِكْرِهِمَا.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[2]

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾[3]: بِالشَّوَاهِدِ عَلَى صِحَّةِ النُّبُوَّةِ، وَهِيَ الْمُعْجِزَاتُ، ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾[4]: وَبِالصُّحُفِ، ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[5] نَحْوَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ.

لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي جِنْسِهِمْ أَسْنَدَ الْمَجِيءَ بِهَا إِلَيْهِمْ إِسْنَادًا مُطْلَقًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا فِي جَمِيعِهِمْ: وَهِيَ الْبَيِّنَاتُ، وَبَعْضُهَا فِي بَعْضِهِمْ: وَهِيَ الزُّبُرُ وَالْكِتَابُ. وَفِيهِ مَسْلَاةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

---

[1] سُورَةُ القَصَصِ، الآية 23.

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]

﴿أَلْوَانُهَا﴾[2]: أَجْنَاسُهَا مِنَ الرُّمَّانِ وَالتُّفَّاحِ وَالتِّينِ وَالْعِنَبِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يُحْصَرُ أَوْ هَيْئَاتُهَا مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةِ وَالْخُضْرَةِ وَنَحْوِهَا.

وَالْجُدَدُ: الْخُطَطُ وَالطَّرَائِقُ.

قَالَ لَبِيدٌ:

أَوْ مَذْهَبٌ جُدَدٍ عَلَى أَلْوَاحِـــهِ

وَيُقَالُ: جِدَّةُ الْحِمَارِ لِلْخُطَّةِ السَّوْدَاءِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلظَّبْيِ جِدَّتَانِ مُسْكِيَتَانِ تَفْصِلَانِ بَيْنَ لَوْنَيْ ظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ.

"وَغَرَابِيبُ" مَعْطُوفٌ عَلَى بِيضٍ أَوْ عَلَى جُدَدٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمِنَ الْجِبَالِ مُخَطَّطٌ ذُو جُدَدٍ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ غَرَابِيبُ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: هِيَ الْجِبَالُ الطِّوَالُ السُّودُ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْغِرْبِيبُ تَأْكِيدٌ لِلْأَسْوَدِ. يُقَالُ: أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ، وَأَسْوَدُ حُلْكُوكٌ: وَهُوَ الَّذِي أَبْعَدَ فِي السَّوَادِ وَأَغْرَبَ فِيهِ، وَمِنْهُ الْغُرَابُ. وَمِنْ حَقِّ التَّأْكِيدِ أَنْ يَتْبَعَ الْمُؤَكَّدَ، كَقَوْلِكَ: أَصْفَرُ فَاقِعٌ، وَأَبْيَضُ يَقَقٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

قُلْتُ: وَجْهُهُ أَنْ يُضْمَرَ الْمُؤَكَّدُ قَبْلَهُ وَيَكُونُ الَّذِي بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لِمَا أُضْمِرَ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ:

وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِذَاتِ الطَّيْـــرِ

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِزِيَادَةِ التَّوْكِيدِ، حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ مِنْ طَرِيقَيِ الْإِظْهَارِ وَالْإِضْمَارِ جَمِيعًا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–:﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾[1]، بِمَعْنَى: وَمِنَ الْجِبَالِ ذُو جُدَدٍ بِيضٍ وَحُمْرٍ وَسُودٍ، حَتَّى يُؤَوَّلَ إِلَى قَوْلِكَ: وَمِنَ الْجِبَالِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[2]، يَعْنِي: وَمِنْهُمْ بَعْضٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ. وَقُرِئَ: (أَلْوَانُهَا).

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: (جُدُدٌ) بِالضَّمِّ جَمْعُ جَدِيدَةٍ، وَهِيَ الْجِدَةُ، يُقَالُ: جَدِيدَةٌ وَجُدُدٌ وَجَدَائِدُ، كَسَفِينَةٍ وَسُفُنٍ وَسَفَائِنَ.

وَقَدْ فُسِّرَ بِهَا قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ:

جُونُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَـــــــعُ

وَرُوِيَ عَنْهُ: جَدَدٌ بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْمُسْفِرُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الطَّرَائِقِ وَالْخُطُوطِ الْوَاضِحَةِ الْمُنْفَصِلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

وَقُرِئَ: (وَالدَّوَابُ) مُخَفَّفًا.

وَنَظِيرُ هَذَا التَّخْفِيفِ: قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: ﴿وَلَا الضَّأْلِينَ﴾[3]، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِرَارٌ مِنَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، فَحَرَّكَ ذَاكَ أَوَّلَهُمَا، وَحَذَفَ هَذَا آخِرَهُمَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ﴾[4]، أَيْ كَاخْتِلَافِ الثَّمَرَاتِ وَالْجِبَالِ.

وَالْمُرَادُ: الْعُلَمَاءُ بِهِ الَّذِينَ عَلِمُوهُ بِصِفَاتِهِ وَعَدْلِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَعَظَّمُوهُ وَقَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَخَشَوْهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ، وَمَنِ ازْدَادَ بِهِ عِلْمًا ازْدَادَ مِنْهُ خَوْفًا، وَمَنْ كَانَ عِلْمُهُ بِهِ أَقَلَّ كَانَ آمَنَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً".

وَعَنْ مَسْرُوقٍ: كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: أَفْتِنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ، فَقَالَ: الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، الآية 7.

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَقِيلَ: نَزَلَتْ في أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ –رَضِيَ الله عَنْهُ–، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ الْخَشْيَةُ حَتَّى عُرِفَتْ فيهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى إِذَا قُدِّمَ الْمَفْعُولُ في هَذَا الْكَلَامِ أَوْ أُخِّرَ؟

قُلْتُ: لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا قَدَّمْتَ اسْمَ اللَّهِ وَأَخَّرْتَ الْعُلَمَاءَ كَانَ الْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ هُمُ الْعُلَمَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ.

وَإِذَا عَمِلْتَ عَلَى الْعَكْسِ انْقَلَبَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–:﴿ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ﴾[1]، وَهُمَا مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِ هَذَا الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لِمَا قَالَ: "أَلَمْ تَرَ" بِمَعْنَى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، وَعَدَّدَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَعْلَامَ قُدْرَتِهِ وَآثَارَ صَنْعَتِهِ وَمَا خَلَقَ مِنَ الْفِطَرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَمَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى صِفَاتِهِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا يَخْشَاهُ مِثْلُكَ وَمَنْ عَلَى صِفَتِكَ: مِمَّنْ عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَعَلِمَهُ كُنْهَ عِلْمِهِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِهِ".

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ)، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ؟

قُلْتُ: الْخَشْيَةُ في هَذِهِ الْقِرَاءَةِ اسْتِعَارَةٌ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يُجِلُّهُمْ وَيُعَظِّمُهُمْ، كَمَا يُجَلُّ الْمَهِيبُ الْمَخْشِيُّ مِنَ الرِّجَالِ بَيْنَ النَّاسِ وَمِنْ بَيْنِ جَمِيعِ عِبَادِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3]: تَعْلِيلٌ لِوُجُوبِ الْخَشْيَةِ، لِدَلَالَتِهِ عَلَى عُقُوبَةِ الْعُصَاةِ، وَقَهْرِهِمْ وَإِثَابَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَالْمُعَاقِبُ الْمُثِيبُ: حَقُّهُ أَنْ يُخْشَى.

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية 39.

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]

﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾[2] يُدَاوِمُونَ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَهِيَ شَأْنُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ.

وَعَنْ مُطَرِّفٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: هِيَ آيَةُ الْقُرَّاءِ.

عَنِ الْكَلْبِيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: يَأْخُذُونَ بِمَا فِيهِ.

وَقِيلَ: يَعْلَمُونَ مَا فِيهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَرَضِيَ عَنْهُمْ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ.

﴿يَرْجُونَ﴾[3] خَبَرُ إِنَّ. وَالتِّجَارَةُ: طَلَبُ الثَّوَابِ بِالطَّاعَةِ.

وَ﴿لِيُوَفِيهُمْ﴾[4] مُتَعَلِّقٌ بِلَنْ تَبُورَ، أَيْ: تِجَارَةٌ يَنْتَفِي عَنْهَا الْكَسَادُ وَتُنْفَقُ عِنْدَ اللَّهِ لِيُوَفِيهُمْ عِنْدَهُ ﴿أُجُورَهُمْ﴾[5]، وَهِيَ مَا اسْتَحَقُّوهُ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾[6] مِنَ التَّفَضُّلِ عَلَى الْمُسْتَحَقِّ.

وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ ﴿يَرْجُونَ﴾[7] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ عَلَى: وَأَنْفَقُوا رَاجِينَ لِيُوَفِيهُمْ، أَيْ فَعَلُوا جَمِيعَ ذَلِكَ مِنَ التِّلَاوَةِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِهَذَا الْغَرَضِ، وَخَبَرُ إِنَّ

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

2 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

6 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

7 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1]، عَلَى مَعْنَى: غَفُورٌ لَهُمْ شَكُورٌ لِأَعْمَالِهِمْ. وَالشُّكْرُ مَجَازٌ عَنِ الْإِثَابَةِ.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[2]

"الْكِتَابُ": الْقُرْآنُ، وَمِنْ لِلتَّبْيِينِ أَوِ الْجِنْسِ. وَمِنْ لِلتَّبْعِيضِ ﴿مُصَدِّقًا﴾[3] حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ، لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْفَكُّ عَنْ هَذَا التَّصْدِيقِ: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[4] لِمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ.

﴿لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[5]، يَعْنِي أَنَّهُ خَبَرَكَ وَأَبْصَرَ أَحْوَالَكَ، فَرَآكَ أَهْلًا لِأَنْ يُوحِيَ إِلَيْكَ مِثْلَ هَذَا الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الَّذِي هُوَ عِيَارٌ عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[6]

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾[1]؟

قُلْتُ: فيهِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ ثُمَّ أَوْرَثْنَا مِنْ بَعْدِكَ أَيْ حَكَمْنَا بِتَوْرِيثِهِ.

أَوْ قَالَ: أَوْرَثْنَاهُ، وَهُوَ يُرِيدُ نُورِثُهُ، لِمَا عَلَيْهِ أَخْبَارُ اللَّهِ.

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، وَهُمْ أُمَّتُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُمْ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِكَرَامَةِ الِانْتِمَاءِ إِلَى أَفْضَلِ رُسُلِ اللَّهِ، وَحَمْلِ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ كُتُبِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَسَّمَهُمْ إِلَى ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ مُجْرِمٍ وَهُوَ الْمُرْجَأُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَمُقْتَصِدٍ: هُوَ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، وَسَابِقٍ مِنَ السَّابِقِينَ.

- وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ قَدَّمَ إِرْسَالَهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِرُسُلِهِمْ، وَقَدْ جَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَثْنَى عَلَى التَّالِينَ لِكُتُبِهِ الْعَامِلِينَ بِشَرَائِعِهِ مِنْ بَيْنِ الْمُكَذِّبِينَ بِهَا مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ، وَاعْتَرَضَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾[3].

ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[4]، أَيْ مِنْ بَعْدِ أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ، يُرِيدُ بِالْمُصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ: أَهْلَ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ جَعَلْتَ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[5] بَدَلًا مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ السَّبْقُ بِالْخَيْرَاتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ؟

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ السَّبَبُ فِي نَيْلِ الثَّوَابِ، نَزَّلَهُ مَنْزِلَةَ الْمُسَبَّبِ، كَأَنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ، فَأُبْدِلَتْ عَنْهُ جَنَّاتُ عَدْنٍ، وَفِي اخْتِصَاصِ السَّابِقِينَ بَعْدَ التَّقْسِيمِ بِذِكْرِ ثَوَابِهِمْ وَالسُّكُوتُ عَنِ الْآخَرِينَ مَا فِيهِ مِنْ وُجُوبِ الْحَذَرِ، فَلْيَحْذَرِ الْمُقْتَصِدُ، وَذَلِكَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ حَذَرًا وَعَلَيْهِمَا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ الْمُخْلِصَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وَلَا يَغْتَرَّا بِمَا رَوَاهُ عُمَرُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "سَابِقُنَا سَابِقٌ، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ"، فَإِنَّ شَرْطَ ذَلِكَ صِحَّةُ التَّوْبَةِ لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[2].

وَلَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ مَنِ اسْتَقْرَأَهَا اطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَمْ يُعَلِّلْ نَفْسَهُ بِالْخُدَعِ.

وَقُرِئَ: (سَبَّاقٌ).

وَمَعْنَى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3] بِتَيْسِيرِهِ وَتَوْفِيقِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّمَ الظَّالِمُ؟ ثُمَّ الْمُقْتَصِدُ ثُمَّ السَّابِقُ؟

قُلْتُ: لِلْإِيذَانِ بِكَثْرَةِ الْفَاسِقِينَ وَغَلَبَتِهِمْ، وَأَنَّ الْمُقْتَصِدِينَ قَلِيلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ وَالسَّابِقُونَ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ.

وَقُرِئَ: (جَنَّةَ عَدْنٍ) عَلَى الْإِفْرَادِ، كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالسَّابِقِينَ.

وَجَنَّاتُ عَدْنٍ: بِالنَّصْبِ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ، أَيْ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، وَيُدْخَلُونَهَا، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

﴿وَيُحَلَّوْنَ﴾[4]: مِنْ حَلِيَتِ الْمَرْأَةُ، فَهِيَ حَالٍ.

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾[5] مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ مِنْ أَسَاوِرَ، وَمِنْ دَاخِلَةٌ لِلتَّبْعِيضِ، أَيْ: يُحَلَّوْنَ بَعْضَ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، كَأَنَّهُ بَعْضٌ سَابِقٌ لِسَائِرِ الْأَبْعَاضِ، كَمَا سَبَقَ الْمُسَوَّرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ.

---

[1] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 102.

[2] سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية 106.

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ الذَّهَبَ في صَفَاءِ اللُّؤْلُؤِ.

وَقُرِئَ: (وَلُولُؤًا) بِتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ الْأُولَى.

وَقُرِئَ: (الْحُزْنَ) وَالْمُرَادُ: حُزْنُ الْمُتَّقِينَ، وَهُوَ مَا أَهَمَّهُمْ مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾[1].

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[2] .

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: حُزْنُ الْأَعْرَاضِ وَالْآفَاتِ. وَعَنْهُ: حُزْنُ الْمَوْتِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: حُزْنُ إِبْلِيسَ وَوَسْوَسَتُهُ.

وَقِيلَ: هَمُّ الْمَعَاشِ.

وَقِيلَ: حُزْنُ زَوَالِ النِّعَمِ، وَقَدْ أَكْثَرُوا حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: كِرَاءُ الدَّارِ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَعُمُّ كُلَّ حُزْنٍ مِنْ أَحْزَانِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا حَتَّى هَذَا.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ في قُبُورِهِمْ وَلَا في مَحْشَرِهِمْ وَلَا في مَسِيرِهِمْ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَهُمْ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ".

وَذِكْرُ الشَّكُورِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ كَثِيرُو الْحَسَنَاتِ، الْمُقَامَةُ: بِمَعْنَى الْإِقَامَةِ، يُقَالُ: أَقَمْتُ إِقَامَةً وَمُقَامًا وَمُقَامَةً.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾[3]: مِنْ عَطَائِهِ وَإِفْضَالِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: لِفُلَانٍ فُضُولٌ عَلَى قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي هُوَ التَّفَضُّلُ، لِأَنَّ الثَّوَابَ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْرِ الْمُسْتَحَقِّ، وَالتَّفَضُّلُ كَالتَّبَرُّعِ.

وَقُرِئَ: (لَغُوبٍ) بِالْفَتْحِ: وَهُوَ اسْمُ مَا يُلْغَبُ مِنْهُ، أَيْ: لَا تَتَكَلَّفُ عَمَلًا يَلْغُبُنَا: أَوْ مَصْدَرٌ كَالْقَبُولِ وَالْوُلُوغِ، أَوْ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ لُغُوبٌ لَغُوبٌ، كَقَوْلِكَ: مَوْتٌ مَائِتٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصَبِ وَاللُّغُوبِ؟

قُلْتُ: النَّصَبُ: التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ الَّتِي تُصِيبُ الْمُنْتَصِبَ لِلْأَمْرِ الْمُزَاوِلِ بِهِ.

---

[1] سُورَةُ الطُّورِ، الآيتان 26–27.

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَأَمَّا اللُّغُوبُ فَمَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْفُتُورِ بِسَبَبِ النَّصَبِ، فَالنَّصَبُ: نَفْسُ الْمَشَقَّةِ وَالْكُلْفَةِ.
وَاللُّغُوبُ: نَتِيجَتُهُ وَمَا يَحْدُثُ مِنْهُ مِنَ الْكَلَالِ وَالْفَتْرَةِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مَنْ نَصِيرٍ﴾[1]

﴿فيمُوتُوا﴾[2] جَوَابُ النَّفى، وَنَصْبُهُ بِإِضْمَارِ أَنَّ، وَقُرِئَ: (فيمُوتُونَ) عَطْفًا عَلَى يَقْضِي، وَإِدْخَالًا لَهُ في حُكْمِ النَّفى، أَيْ: لَا يَقْضِي عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[3].

﴿كَذَلِكَ﴾[4] مِثْلُ ذَلِكَ الْجَزَاءِ "يَجْزِي" وَقُرِئَ: (يُجَازَى)، (وَنَجْزِي).

﴿كُلَّ كَفُورٍ﴾[5] بِالنُّونِ ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾[6] يَتَصَارَخُونَ: يَفْتَعِلُونَ مِنَ الصُّرَاخِ، وَهُوَ الصِّيَاحُ بِجُهْدٍ وَشَدَّةٍ.

قَالَ:

كَصَرْخَةِ حُبْلَى أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَـــــا

وَاسْتُعْمِلَ في الِاسْتِغَاثَةِ لِجَهْدِ الْمُسْتَغِيثِ صَوْتَهُ.

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
2 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
6 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا اكْتَفى بِـ "صَالِحًا"، كَمَا أَكْتَفى بِهِ في قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[1]؟ وَمَا فَائِدَةُ زِيَادَةِ ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[2] عَلَى أَنَّهُ يُؤْذِنُ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ صَالِحًا آخَرَ غَيْرَ الصَّالِحِ الَّذِي عَمِلُوهُ؟

قُلْتُ: فَائِدَتُهُ زِيَادَةُ التَّحَسُّرِ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِ مَعَ الِاعْتِرَافِ بِهِ.

وَأَمَّا الْوَهْمُ فَزَائِلٌ لِظُهُورِ حَالِهِمْ في الْكُفْرِ وَرُكُوبِ الْمَعَاصِي، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى سِيرَةٍ صَالِحَةٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3]، فَقَالُوا: أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَحْسَبُهُ صَالِحًا فَنَعْمَلَهُ.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾[4] تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ يَعْنِي: فَنَقُولُ لَهُمْ. وَقُرِئَ: (وَمَا يَذَّكَّرُ فيهِ) مِنْ ادَّكَرَ عَلَى الْإِدْغَامِ وَهُوَ مُتَنَاوِلٌ لِكُلِّ عُمُرٍ تَمَكَّنَ فيهِ الْمُكَلَّفُ مِنْ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ وَإِنْ قَصُرَ، إِلَّا أَنَّ التَّوْبِيخَ في الْمُتَطَاوِلِ أَعْظَمُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً".

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مَا بَيْنَ الْعِشْرِينَ إِلَى السِّتِّينَ. وَقِيلَ: ثَمَانِيَ عَشَرَ وَسَبْعَ عَشَرَ.

وَ﴿النَّذِيرُ﴾[5]: الرَّسُولُ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–. وَقِيلَ: الشَّيْبُ.

وَقُرِئَ: (وَجَاءَتْكُمُ النُّذُرُ).

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ؟

قُلْتُ: عَلَى مَعْنَى: أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ، لِأَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ اسْتِخْبَارٍ.

وَمَعْنَاهُ: مَعْنَى إِخْبَارٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ عَمَّرْنَاكُمْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية 104.

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1]

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2] كَالتَّعْلِيلِ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ أَخْفَى مَا يَكُونُ، فَقَدْ عَلِمَ غَيْبَ مَا فِي الْعَالَمِ.

وَذَاتُ الصُّدُورِ: مُضْمَرَاتُهَا، وَهِيَ تَأْنِيثُ ذُو فِي نَحْوِ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– : ذُو بَطْنٍ خَارِجَةٍ جَارِيَةٍ.

وَقَوْلُهُ:

لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَـــا

الْمَعْنَى: مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْحَبَلِ، وَمَا فِي إِنَائِكَ مِنَ الشَّرَابِ، لِأَنَّ الْحَبَلَ وَالشَّرَابَ يَصْحَبَانِ الْبَطْنَ وَالْإِنَاءَ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: مَعَهَا حَبَلٌ، وَكَذَلِكَ الْمُضْمَرَاتُ تَصْحَبُ الصُّدُورَ، وَهِيَ مَعَهَا وَذُو: مَوْضُوعٌ لِمَعْنَى الصُّحْبَةِ؟

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[3]

يُقَالُ لِلْمُسْتَخْلَفِ: خَلِيفَةٌ وَخَلِيفٌ، فَالْخَلِيفَةُ تُجْمَعُ خَلَائِفَ، وَالْخَلِيفُ: خُلَفَاءُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَهُ فِي أَرْضِهِ قَدْ مَلَّكَكُمْ مَقَالِيدَ التَّصَرُّفِ فِيهَا وَسَلَّطَكُمْ عَلَى مَا فِيهَا، وَأَبَاحَ لَكُمْ مَنَافِعَهَا لِتَشْكُرُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾[1] مِنْكُمْ وَغَمَطَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ السَّنِيَّةِ، فَوَبَالُ كُفْرِهِ رَاجِعٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَقْتُ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ خِزْيٌ وَصَغَارٌ وَخَسَارُ الْآخِرَةِ الَّذِي مَا بَقِيَ بَعْدَهُ خَسَارٌ، وَالْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ.

وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ يَنْكِحُ امْرَأَةَ أَبِيهِ: مَقْتِيٌّ، لِكَوْنِهِ مَمْقُوتًا فِي كُلِّ قَلْبٍ، وَهُوَ خِطَابٌ لِلنَّاسِ.

وَقِيلَ: خِطَابٌ لِمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "جَعَلَكُمْ أُمَّةً خَلَفَتْ مَنْ قَبْلَهَا، وَرَأَتْ وَشَاهَدَتْ فِيمَنْ سَلَفَ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرَ بِهِ. فَمَنْ كَفَرَ مِنْكُمْ، فَعَلَيْهِ جَزَاءُ كُفْرِهِ مِنْ مَقْتِ اللَّهِ وَخَسَارِ الْآخِرَةِ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ مَنْ قَبْلَكُمْ".

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾[2]

﴿أَرُونِي﴾[3] بَدَلٌ مِنْ أَرَأَيْتُمْ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَرَأَيْتُمْ أَخْبِرُونِي، كَأَنَّهُ قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءِ وَعَمَّا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْإِلَهِيَّةَ وَالشَّرِكَةَ، أَرُونِي أَيَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ اسْتَبَدُّوا بِخَلْقِهِ دُونَ اللَّهِ أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ شَرِكَةٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، أَمْ مَعَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَنْطِقُ بِأَنَّهُمْ شُرَكَاؤُهُ، فَهُمْ عَلَى حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ.

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

أَوْ يَكُونُ الضَّمِيرُ في ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾[1] لِلْمُشْرِكِينَ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾[2]، بَلْ إِنْ يَعِدُ بَعْضُهُمْ، وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ، ﴿بَعْضًا﴾[3]، وَهُمُ الْأَتْبَاعُ.

﴿إِلا غُرُورًا﴾[4]، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[5].

وَقُرِئَ: (بَيِّنَاتٌ) .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[6]

﴿أَنْ تَزُولا﴾[7] كَرَاهَةَ أَنْ تَزُولَا. أَوْ يَمْنَعُهُمَا مِنْ أَنْ تَزُولَا، لِأَنَّ الْإِمْسَاكَ مَنْعٌ.

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[8] غَيْرُ مُعَاجِلٍ بِالْعُقُوبَةِ، حَيْثُ يُمْسِكُهُمَا، وَكَانَتَا جَدِيرَتَيْنِ بِأَنْ تُهَدَّا هَدًّا، لِعِظَمِ كَلِمَةِ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ﴾[9].

وَقُرِئَ: (وَلَوْ زَالَتَا).

وَإِنْ أَمْسَكَهُمَا: جَوَابُ الْقَسَمِ في ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾[10] سَدَّ مَسَدَّ الْجَوَابَيْنِ.

وَمِنَ الْأُولَى مَزِيدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفي، وَالثَّانِيَةُ: لِلِابْتِدَاءِ.

---

1 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
2 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
3 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
4 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
5 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
6 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
7 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
8 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .
9 سورة مَرْيَمَ، الآية 90.
10 سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

وَمِنْ بَعْدِهِ: مِنْ بَعْدِ إِمْسَاكِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مُقْبِلٍ مِنَ الشَّامِ: مَنْ لَقِيتَ بِهِ؟ قَالَ: كَعْبًا. قَالَ: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ. قَالَ: كَذَبَ كَعْبٌ، أَمَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ بَعْدُ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ؟!

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[1]

بَلَغَ قُرَيْشًا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَقَالُوا: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَتَتْهُمُ الرُّسُلُ فَكَذَّبُوهُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ أَتَانَا رَسُولٌ لَنَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ"، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَذَّبُوهُ.

وَفِي ﴿إِحْدَى الأُمَمِ﴾ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: مِنْ بَعْضِ الْأُمَمِ، وَمِنْ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ.

– وَالثَّانِي: مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا إِحْدَى الْأُمَمِ، تَفْضِيلًا لَهَا عَلَى غَيْرِهَا فِي الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ.

﴿مَا زَادَهُمْ﴾[2] إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ، لِأَنَّهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنْ زَادُوا أَنْفُسَهُمْ. نُفُورًا عَنِ الْحَقِّ وَابْتِعَادًا عَنْهُ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[3].

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

﴿اسْتِكْبَارًا﴾[1] بَدَلٌ مِنْ نُفُورًا. أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، عَلَى مَعْنَى: فَمَا زَادَهُمْ إِلَّا أَنْ نَفَرُوا اسْتِكْبَارًا وَعُلُوًّا ﴿فِي الأَرْضِ﴾[2] أَوْ حَالٌ بِمَعْنَى: مُسْتَكْبِرِينَ وَمَاكِرِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ مَعْطُوفًا عَلَى نُفُورًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؟

قُلْتُ: أَصْلُهُ: وَإِنْ مَكَرُوا السَّيِّئَ، أَيِ: الْمَكْرَ السَّيِّئَ، ثُمَّ وَمَكْرَ السَّيِّئِ، ثُمَّ وَمَكْرَ السَّيِّئِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾[3]. وَمَعْنَى يَحِيقُ: يُحِيطُ وَيَنْزِلُ.

وَقُرِئَ: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ)، أَيْ: لَا يَحِيقُ اللَّهَ، وَلَقَدْ حَاقَ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَا تَمْكُرُوا وَلَا تُعِينُوا مَاكِرًا، فَإِنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يَقُولُ:﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[4]، وَلَا تَبْغُوا وَلَا تُعِينُوا بَاغِيًا، يَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[5]".

وَعَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ الله عَنْهُمَا–: "قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ: مَنْ حَفَرَ مَغْوَاةً وَقَعَ فِيهَا". قَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ"، وَقَرَأَ الْآيَةَ.

وَفِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ: مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ جُبًّا وَقَعَ فِيهِ مُنْكَبًّا.

وَقَرَأَ حَمْزَةُ: (وَمَكْرَ السِّيءْ) بِإِسْكَانِ الْهَمْزَةِ، وَذَلِكَ لِاسْتِثْقَالِهِ الْحَرَكَاتِ مَعَ الْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَلَعَلَّهُ اخْتَلَسَ، فَظُنَّ سُكُونًا أَوْ وَقَفَ وَقْفَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ ابْتَدَأَ "وَلَا يَحِيقُ".

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَكْرًا سَيِّئًا.

﴿سُنَّتَ الأَوَّلِينَ﴾[6]: إِنْزَالُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَذَّبُوا بِرُسُلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، وَجَعَلَ اسْتِقْبَالَهُمْ لِذَلِكَ انْتِظَارًا لَهُ مِنْهُمْ، وَبَيَّنَ أَنَّ عَادَتَهُ الَّتِي هِيَ الِانْتِقَامُ مِنْ مُكَذِّبِي الرُّسُلِ عَادَةٌ لَا يُبَدِّلُهَا وَلَا يُحَوِّلُهَا، أَيْ: لَا يُغَيِّرُهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ مَفْعُولٌ لَهُ لَا مَحَالَةَ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ يُونُسَ، الآية 23.

[6] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

يُشَاهِدُونَهُ فِي مَسَايِرِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي رَحْلِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ: مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ وَعَلَامَاتِ هَلَاكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ.

﴿لِيُعْجِزَهُ﴾[1]: لِيَسْبِقَهُ وَيَفُوتَهُ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[2]

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾[3]: بِمَا اقْتَرَفُوا مِنْ مَعَاصِيهِمْ

﴿عَلَى ظَهْرِهَا﴾[4]: عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾[5]: مِنْ نَسَمَةٍ تَدِبُّ عَلَيْهَا، يُرِيدُ بَنِي آدَمَ.

وَقِيلَ: مَا تَرَكَ بَنِي آدَمَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ الدَّوَابِّ بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: كَادَ الْجُعْلُ يُعَذَّبُ فِي جُحْرِهِ يُعَذَّبُ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

وَعَنْ أَنَسٍ: إِنَّ الضَّبَّ لَيَمُوتُ هُزَالًا فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ.

وَقِيلَ: يَحْبِسُ الْمَطَرَ فَيَهْلَكُ كُلُّ شَيْءٍ ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[6] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[7] وَعِيدٌ بِالْجَزَاءِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمَلَائِكَةِ دَعَتْهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: أَنِ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ بَابٍ شِئْتَ".

---

[1] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[2] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[3] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[4] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[5] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[6] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

[7] سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ، الآية .

سورة يس

سُورَةُ يَـٰسٓ

مَكِّيَّةٌ، [إِلَّا آيَةَ 45 فَمَدَنِيَّةٌ] وَآيَاتُهَا 83
نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

قُرِئَ: (يس) بِالْفَتْحِ، كَأَيْنَ وَكَيْفَ، أَوْ بِالنَّصْبِ عَلَى: اتْلُ يس، وَبِالْكَسْرِ عَلَى الْأَصْلِ كَجِيرِ، وَبِالرَّفْعِ عَلَى هَذِهِ يس، أَوْ بِالضَّمِّ كَحَيْثُ، وَفُخِّمَتِ الْأَلِفُ وَأُمِيلَتْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–مَا: مَعْنَاهُ يَا إِنْسَانُ فِي لُغَةِ طَيْءٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ؛ وَإِنْ صَحَّ، فَوَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ يَا أُنَيْسِينُ، فَكَثُرَ النِّدَاءُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّى اقْتَصَرُوا عَلَى شَطْرِهِ، كَمَا قَالُوا فِي الْقَسَمِ: مَ اللَّهِ فِي أَيْمَنُ اللَّهِ.

﴿الْحَكِيمِ﴾[2]: ذِي الْحِكْمَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ دَلِيلٌ نَاطِقٌ بِالْحِكْمَةِ كَالْحَيِّ، أَوْ لِأَنَّهُ كَلَامٌ حَكِيمٌ، فَوُصِفَ بِصِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]: خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، أَوْ صِلَةٌ لِلْمُرْسَلِينَ.

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ حَاجَةٍ إِلَيْهِ خَبَرًا كَانَ أَوْ صِلَةً، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ لَا يَكُونُونَ إِلَّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟

قُلْتُ: لَيْسَ الْغَرَضُ بِذِكْرِهِ مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ مِنْ تَمْيِيزِ مَنْ أُرْسِلَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ عَلَى صِفَتِهِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ وَصْفُهُ وَوَصْفُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ الثَّابِتِينَ عَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ أُرْسِلَ مِنْ بَيْنِ الصُّرُطِ الْمُسْتَقِيمَةِ لَا يَكْتَنِهُ وَصْفُهُ.

وَقُرِئَ: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[1] بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى أَعْنِي، وَبِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْقُرْآنِ.

﴿قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[2]: قَوْمًا غَيْرَ مُنْذَرٍ آبَاؤُهُمْ عَلَى الْوَصْفِ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[3]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[4].

وَقَدْ فُسِّرَ: ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[5] عَلَى إِثْبَاتِ الْإِنْذَارِ.

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ ﴿مَا﴾[6] مَصْدَرِيَّةً، لِتُنْذِرَ قَوْمًا إِنْذَارَ آبَائِهِمْ، أَوْ مَوْصُولَةً وَمَنْصُوبَةً عَلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَهُ آبَاؤُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[7].

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ تَعَلُّقِ قَوْلِهِ: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[8] عَلَى التَّفْسِيرَيْنِ؟

---

1 سُورَةُ يَسٍ، الآية .

2 سُورَةُ يَسٍ، الآية .

3 سُورَةُ الْقَصَصِ، الآية 46.

4 سُورَةُ سَبَإٍ، الآية 44.

5 سُورَةُ يَسٍ، الآية .

6 سُورَةُ يَسٍ، الآية .

7 سُورَةُ النَّبَإِ، الآية 40.

8 سُورَةُ يَسٍ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ عَلَى الْأَوَّلِ مُتَعَلِّقٌ بِالنَّفى، أَيْ: لَمْ يُنْذَرُوا فَهُمْ غَافِلُونَ، عَلَى أَنَّ عَدَمَ إِنْذَارِهِمْ هُوَ سَبَبُ غَفْلَتِهِمْ، وَعَلَى الثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] لِتُنْذِرَ، كَمَا تَقُولُ: أَرْسَلْتُكَ إِلَى فُلَانٍ لِتُنْذِرَهُ، فَإِنَّهُ غَافِلٌ، أَوْ فَهُوَ غَافِلٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُونَ مُنْذِرِينَ غَيْرَ مُنْذِرِينَ لِمُنَاقِضَةِ هَذَا مَا فِي الْآيِ الْأُخَرِ؟

قُلْتُ: لَا مُنَاقَضَةَ، لِأَنَّ الْآيَ فِي نَفى إِنْذَارِهِمْ لَا فِي نَفى إِنْذَارِ آبَائِهِمْ، وَآبَاؤُهُمُ الْقُدَمَاءُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَكَانَتِ النِّذَارَةُ فِيهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَفِى أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ أَنَّ آبَاءَهُمْ لَمْ يُنْذَرُوا وَهُوَ الظَّاهِرُ، فَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟

قُلْتُ: أُرِيدَ آبَاؤُهُمُ الْأَدْنَوْنَ دُونَ الْأَبَاعِدِ "الْقَوْلُ" قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2]، يَعْنِي: تَعَلَّقَ بِهِمْ هَذَا الْقَوْلُ، وَثَبَتَ عَلَيْهِمْ وَوَجَبَ، لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[3]

ثُمَّ مَثَّلَ تَصْمِيمَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى ارْعِوَائِهِمْ بِأَنْ جَعَلَهُمْ كَالْمَغْلُولِينَ الْمُقْمَحِينَ، فِي أَنَّهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَا يَعْطِفُونَ أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهُ، وَلَا يُطَأْطِئُونَ رُءُوسَهُمْ لَهُ، وَكَالْحَاصِلِينَ بَيْنَ سَدَّيْنِ لَا يُبْصِرُونَ مَا قُدَّامَهُمْ وَلَا مَا خَلْفَهُمْ، فِي أَنْ لَا تَأَمُّلَ لَهُمْ وَلَا تَبَصُّرَ، وَأَنَّهُمْ مُتَعَامُونَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾[4]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: فَالْأَغْلَالُ وَاصِلَةٌ إِلَى الْأَذْقَانِ مَلْزُوزَةٌ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ طَوْقَ الْغِلِّ الَّذِي فِي عُنُقِ الْمَغْلُولِ، يَكُونُ مُلْتَقَى طَرَفَيْهِ تَحْتَ الذَّقَنِ حَلْقَةً فِيهَا رَأْسُ الْعَمُودِ، نَادِرًا مِنَ الْحَلْقَةِ إِلَى الذَّقَنِ. فَلَا تُخَلِّيهِ يُطَاطِئُ رَأْسَهُ وَيُوَطِّئُ قَذَالَهُ، فَلَا يَزَالُ مُقْمَحًا. وَالْمُقْمَحُ: الَّذِي يَرْفَعُ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية 13.

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

رَأْسَهُ وَيَغُضُّ بَصَرَهُ. يُقَالُ: قَمَحَ الْبَعِيرُ فَهُوَ قَامِحٌ: إِذَا رَوِيَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَمِنْهُ شَهْرًا قِمَاحُ، لِأَنَّ الْإِبِلَ تَرْفَعُ رُءُوسَهَا عَنِ الْمَاءِ لِبَرْدِهِ فِيهِمَا، وَهُمَا الْكَانُونَانِ. وَمِنْهُ: اقْتَحَمْتُ السَّوِيقَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا قَوْلُكَ فِيمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ لِلْأَيْدِي، وَزَعَمَ أَنَّ الْغِلَّ لَمَّا كَانَ جَامِعًا لِلْيَدِ وَالْعُنُقِ –وَبِذَلِكَ يُسَمَّى جَامِعَةً– كَانَ ذِكْرُ الْأَعْنَاقِ دَالًّا عَلَى ذِكْرِ الْأَيْدِي؟

قُلْتُ: الْوَجْهُ مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[1].

أَلَا تَرَى كَيْفَ جَعَلَ الْإِقْمَاحَ نَتِيجَةَ قَوْلِهِ: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾[2]؟!

وَلَوْ كَانَ الضَّمِيرُ لِلْأَيْدِي، لَمْ يَكُنْ مَعْنَى التَّسَبُّبِ فِي الْإِقْمَاحِ ظَاهِرًا، عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِضْمَارَ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّعَسُّفِ وَتَرْكِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَدْعُوهُ الْمَعْنَى إِلَى نَفْسِهِ إِلَى الْبَاطِنِ الَّذِي يَجْفُو عَنْهُ وَتَرْكِ الْحَقِّ الْأَبْلَجِ إِلَى الْبَاطِلِ اللَّجْلَجِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–مَا: (فِي أَيْدِيهِمْ)، وَابْنُ مَسْعُودٍ: (فِي أَيْمَانِهِمْ)، فَهَلْ تَجُوزُ عَلَى هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ أَنْ تَجْعَلَ الضَّمِيرَ لِلْأَيْدِي أَوْ لِلْأَيْمَانِ؟

قُلْتُ: يَأْبَى ذَلِكَ وَإِنْ ذَهَبَ الْإِضْمَارُ الْمُتَعَسَّفُ ظُهُورَ كَوْنِ الضَّمِيرِ لِلْأَغْلَالِ، وَسَدَادُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْتُ. وَقُرِئَ: (سَدًّا) بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ. وَقِيلَ: مَا كَانَ مِنْ عَمَلِ النَّاسِ فَبِالْفَتْحِ، وَمَا كَانَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَبِالضَّمِّ.

﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾[3]: فَأَغْشَيْنَا أَبْصَارَهُمْ، أَيْ: غَطَّيْنَاهَا، وَجَعَلْنَا عَلَيْهَا غِشَاوَةً عَنْ أَنْ تَطْمَحَ إِلَى مَرْئِيٍّ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾[4]: فَأَلْبَسْنَا أَبْصَارَهُمْ غِشَاوَةً.

وَقُرِئَ: بِالْعَيْنِ مِنَ الْعَشَا.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي مَخْزُومٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ حَلَفَ لَئِنْ رَأَى مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَيَرْضَخَنَّ رَأْسَهُ، فَأَتَاهُ، وَهُوَ يُصَلِّي وَمَعَهُ حَجَرٌ لِيَدْمَغَهُ بِهِ. فَلَمَّا رَفَعَ يَدَهُ أُثْبِتَتْ إِلَى عُنُقِهِ وَلَزِقَ الْحَجَرُ بِيَدِهِ، حَتَّى فَكُّوهُ عَنْهَا بِجُهْدٍ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ مَخْزُومِيٌّ آخَرُ: "أَنَا أَقْتُلُهُ بِهَذَا الْحَجَرِ"، فَذَهَبَ، فَأَعْمَى اللَّهُ عَيْنَيْهِ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ إِيمَانِهِمْ مَعَ ثُبُوتِ الْإِنْذَارِ، ثُمَّ قَفَّاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[2]، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَصِحُّ هَذِهِ التَّقْفِيةُ لَوْ كَانَ الْإِنْذَارُ مَنْفِيا.

قُلْتُ: هُوَ كَمَا قُلْتَ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ نَفِيا لِلْإِيمَانِ مَعَ وُجُودِ الْإِنْذَارِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ: أَنَّ الْبُغْيَةَ الْمَرُومَةَ بِالْإِنْذَارِ غَيْرُ حَاصِلَةٍ، وَهِيَ الْإِيمَانُ، قَفى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[3] عَلَى مَعْنَى: إِنَّمَا تَحْصُلُ الْبُغْيَةُ بِإِنْذَارِكَ مِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الْمُنْذَرِينَ، وَهُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِلذِّكْرِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ أَوِ الْوَعْظُ، الْخَاشُونَ رَبَّهُمْ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[4]

﴿نُحْيِي الْمَوْتَى﴾[5] نَبْعَثُهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: إِحْيَاؤُهُمْ: أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿وَنَكْتُبُ مَا﴾[6] أَسْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَغَيْرِهَا، وَمَا هَلَكُوا عَنْهُ مِنْ أَثَرٍ حَسَنٍ، كَعِلْمٍ عَلِمُوهُ، أَوْ كِتَابٍ صَنَّفُوهُ، أَوْ حَبِيسٍ حَبَسُوهُ، أَوْ بِنَاءٍ بَنَوْهُ، مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ رِبَاطٍ أَوْ قَنْطَرَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. أَوْ سَيِّئٍ كَوَظِيفَةٍ وَظَّفَهَا بَعْضُ الظُّلَّامِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَسِكَّةٍ أُحْدِثَ فِيهَا تَخْسِيرُهُمْ، وَشَيْءٍ أُحْدِثَ فِيهِ صَدٌّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، مِنْ أَلْحَانٍ وَمَلَاهٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ يُسْتَنُّ بِهَا.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1]، أَيْ: قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالِهِ، وَأَخَّرَ مِنْ آثَارِهِ.

وَقِيلَ: هِيَ آثَارُ الْمَشَّائِينَ إِلَى الْمَسَاجِدِ.

وَعَنْ جَابِرٍ:" أَرَدْنَا النَّقْلَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالْبِقَاعُ حَوْلَهُ خَالِيَةٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَتَانَا فِي دِيَارِنَا، وَقَالَ: "يَا بَنِي سَلَمَةَ، بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ النَّقْلَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ"، فَقُلْنَا: "نَعَمْ، بَعُدَ عَلَيْنَا الْمَسْجِدُ وَالْبِقَاعُ حَوْلَهُ خَالِيَةٌ"، فَقَالَ: "عَلَيْكُمْ دِيَارَكُمْ. فَإِنَّمَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ". قَالَ: "فَمَا وَدِدْنَا حَضْرَةَ الْمَسْجِدِ لِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–".

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَوْ كَانَ اللَّهُ مُغْفِلًا شَيْئًا لَأَغْفَلَ هَذِهِ الْآثَارَ الَّتِي تُعْفِيهَا الرِّيَاحُ.

وَالْإِمَامُ: اللَّوْحُ.

وَقُرِئَ: (وَيُكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ) عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، (وَكُلُّ شَيْءٍ) بِالرَّفْعِ.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[2]

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا﴾[3]: وَمَثِّلْ لَهُمْ مَثَلًا، مِنْ قَوْلِهِمْ: عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَذَا، أَيْ: مِنْ هَذَا الْمِثَالِ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ضَرْبٍ وَاحِدٍ، أَيْ عَلَى مِثَالٍ وَاحِدٍ.

وَالْمَعْنَى: وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مَثَلَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، أَيِ: اذْكُرْ لَهُمْ قِصَّةً عَجِيبَةً قِصَّةَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ. وَالْمَثَلُ الثَّانِي بَيَانٌ لِلْأَوَّلِ.

وَانْتِصَابُ: ﴿إِذْ﴾[4] بِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ.

---

[1] سُورَةُ الْقِيَامَةِ، الآية 13.

[2] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسِ، الآية .

وَالْقَرْيَةُ: أَنْطَاكِيَةُ.

وَ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾[1]: رُسُلُ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلاَم– إِلَى أَهْلِهَا، بَعَثَهُمْ دُعَاةً إِلَى الْحَقِّ وَكَانُوا عَبَدَةَ أَوْثَانٍ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ. فَلَمَّا قَرُبَا مِنَ الْمَدِينَةِ رَأَيَا شَيْخًا يَرْعَى غُنَيْمَاتٍ لَهُ، وَهُوَ حَبِيبٌ النَّجَّارُ صَاحِبُ يس، فَسَأَلَهُمَا فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَمَعَكُمَا آيَةٌ؟"، فَقَالَا: "نَشْفِي الْمَرِيضَ وَنُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ"، وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مَرِيضٌ مِنْ سَنَتَيْنِ، فَمَسَحَاهُ، فَقَامَ، فَآمَنَ حَبِيبٌ وَفَشَا الْخَبَرُ، فَشُفِي عَلَى أَيْدِيهِمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَرَقَى حَدِيثُهُمَا إِلَى الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُمَا: "أَلَنَا إِلَهٌ سِوَى آلِهَتِنَا؟"، قَالَا: "نَعَمْ مَنْ أَوْجَدَكَ وَآلِهَتَكَ"، فَقَالَ: "حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِكُمَا"، فَتَبِعَهُمَا النَّاسُ وَضَرَبُوهُمَا. وَقِيلَ: حُبِسَا.

ثُمَّ بَعَثَ عِيسَى –عَلَيْهِ السَّلاَم– شَمْعُونَ، فَدَخَلَ مُتَنَكِّرًا، وَعَاشَرَ حَاشِيَةَ الْمَلِكِ حَتَّى اسْتَأْنَسُوا بِهِ، وَرَفَعُوا خَبَرَهُ إِلَى الْمَلِكِ، فَأَنِسَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: "بَلَغَنِي أَنَّكَ حَبَسْتَ رَجُلَيْنِ، فَهَلْ سَمِعْتَ مَا يَقُولَانِهِ؟"، فَقَالَ: "لَا، حَالَ الْغَضَبُ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ"، فَدَعَاهُمَا، فَقَالَ شَمْعُونُ: "مَنْ أَرْسَلَكُمَا؟"، قَالَا: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ"، فَقَالَ: "صِفَاهُ وَأَوْجِزَا". قَالَا: "يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ". قَالَ: "وَمَا آيَتُكُمَا؟"، قَالَا: "مَا يَتَمَنَّى الْمَلِكُ".

فَدَعَا بِغُلَامٍ مَطْمُوسِ الْعَيْنَيْنِ، فَدَعَوَا اللَّهَ حَتَّى انْشَقَّ لَهُ بَصَرٌ، وَأَخَذَا بُنْدُقَتَيْنِ، فَوَضَعَاهُمَا فِي حَدَقَتَيْهِ، فَكَانَتَا مُقْلَتَيْنِ يَنْظُرُ بِهِمَا؛ فَقَالَ لَهُ شَمْعُونُ: "أَرَأَيْتَ لَوْ سَأَلْتَ إِلَهَكَ حَتَّى يَصْنَعَ مِثْلَ هَذَا، فيكُونُ لَكَ وَلَهُ الشَّرَفُ؟". قَالَ: "لَيْسَ لِي عَنْكَ سِرٌّ، إِنَّ إِلَهَنَا لَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ"، وَكَانَ شَمْعُونُ يَدْخُلُ مَعَهُمْ عَلَى الصَّنَمِ، فيصَلِّي وَيَتَضَرَّعُ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ مِنْهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: إِنْ قَدَرَ إِلَاهُكُمَا عَلَى إِحْيَاءِ مَيِّتٍ آمَنَّا بِهِ، فَدَعَوَا بِغُلَامٍ مَاتَ مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَقَامَ وَقَالَ: "إِنِّي أُدْخِلْتُ فِي سَبْعَةِ أَوْدِيَةٍ مِنَ النَّارِ، وَأَنَا أُحَذِّرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ فَآمَنُوا"، وَقَالَ: "فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَرَأَيْتُ شَابًّا حَسَنَ الْوَجْهِ يَشْفَعُ لِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ"، قَالَ الْمَلِكُ: "وَمَنْ هُمْ؟"، قَالَ شَمْعُونُ:" وَهَذَانِ"، فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ.

فَلَمَّا رَأَى شَمْعُونُ أَنَّ قَوْلَهُ قَدْ أَثَّرَ فِيهِ نَصَحَهُ، فَآمَنَ وَآمَنَ مَعَهُ قَوْمٌ؛ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ صَاحَ عَلَيْهِمْ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلاَم– صَيْحَةً، فَهَلَكُوا.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

﴿فَعَزَّزْنَا﴾[1]: فَقَوَّيْنَا. يُقَالُ: الْمَطَرُ يُعَزِّزُ الْأَرْضَ إِذَا لَبَّدَهَا وَشَدَّهَا، وَتَعَزَّزَ لَحْمُ النَّاقَةِ.

وَقُرِئَ: بِالتَّخْفِيفِ مِنْ عَزَهَ يَعْزَهُ: إِذَا غَلَبَهُ، أَيْ: فَغَلَبْنَا وَقَهَرْنَا ﴿بِثَالِثٍ﴾[2]، وَهُوَ شَمْعُونُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ تَرَكَ ذِكْرَ الْمَفْعُولِ بِهِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْغَرَضَ ذِكْرُ الْمُعَزَّزِ بِهِ وَهُوَ شَمْعُونُ، وَمَا لَطُفَ فِيهِ مِنَ التَّدْبِيرِ حَتَّى عَزَّ الْحَقُّ وَذَلَّ الْبَاطِلُ، وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ مُنْصَبًّا إِلَى غَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ، جُعِلَ سِيَاقُهُ لَهُ وَتَوَجُّهُهُ إِلَيْهِ، كَأَنَّ مَا سِوَاهُ مَرْفُوضٌ مُطَّرَحٌ.

وَنَظِيرُهُ: قَوْلُكَ: حَكَمَ السُّلْطَانُ الْيَوْمَ بِالْحَقِّ، الْغَرَضُ الْمَسُوقُ إِلَيْهِ: قَوْلُكَ بِالْحَقِّ، فَلِذَلِكَ رَفَضْتُ ذِكْرَ الْمَحْكُومِ لَهُ وَالْمَحْكُومِ عَلَيْهِ.

إِنَّمَا رُفِعَ ﴿بَشَرٌ﴾[3] وَنُصِبَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[4]، لِأَنَّ ﴿إِلَّا﴾[5] تَنْقُضُ النَّفْيَ، فَلَا يَبْقَى لِمَا الْمُشَبَّهَةِ بِلَيْسَ شَبَهٌ، فَلَا يَبْقَى لَهُ عَمَلٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[6] أَوَّلًا، ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[7] آخِرًا؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْأَوَّلَ ابْتِدَاءُ إِخْبَارٍ، وَالثَّانِي جَوَابٌ عَنْ إِنْكَارٍ.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[8]

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾[9] جَارٍ مَجْرَى الْقَسَمِ فِي التَّوْكِيدِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: شَهِدَ اللَّهُ، وَعَلِمَ اللَّهُ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يُوسُفَ، الآية 31.

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[7] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[8] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[9] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَإِنَّمَا حَسُنَ مِنْهُمْ هَذَا الْجَوَابُ الْوَارِدُ عَلَى طَرِيقِ التَّوْكِيدِ وَالتَّحْقِيقِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[1]، أَيِ: الظَّاهِرُ الْمَكْشُوفُ بِالْآيَاتِ الشَّاهِدَةِ لِصِحَّتِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ قَالَ الْمُدَّعِي: "وَاللَّهِ إِنِّي لَصَادِقٌ فيمَا أَدَّعِي"، وَلَمْ يُحْضِرِ الْبَيِّنَةَ، كَانَ قَبِيحًا.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[2]

﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[3]: تَشَاءَمْنَا بِكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَرِهُوا دِينَهُمْ وَنَفَرَتْ مِنْهُمْ نُفُوسُهُمْ، وَعَادَةُ الْجُهَّالِ: أَنْ يَتَيَمَّنُوا بِكُلِّ شَيْءٍ مَالُوا إِلَيْهِ وَاشْتَهَوْهُ وَآثَرُوهُ وَقَبِلَتْهُ طِبَاعُهُمْ، وَيَتَشَاءَمُوا بِمَا نَفَرُوا عَنْهُ وَكَرِهُوهُ، فَإِنْ أَصَابَهُمْ نِعْمَةٌ أَوْ بَلَاءٌ قَالُوا بِبَرَكَةِ هَذَا وَبِشُؤْمِ هَذَا، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنِ الْقِبْطِ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾[4]، وَعَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ﴾[5].

وَقِيلَ: حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ فَقَالُوا ذَلِكَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: إِنْ أَصَابَنَا شَيْءٌ كَانَ مِنْ أَجْلِكُمْ ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾[6].

وَقُرِئَ: (طَيْرُكُمْ)، أَيْ: سَبَبُ شُؤْمِكُمْ مَعَكُمْ وَهُوَ كُفْرُهُمْ، أَوْ أَسْبَابُ شُؤْمِكُمْ مَعَكُمْ، وَهِيَ كُفْرُهُمْ وَمَعَاصِيهِمْ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (أَطْيُرُكُمْ)، أَيْ تَطَيُّرُكُمْ.

وَقُرِئَ: (أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ) بِهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ وَحَرْفِ الشَّرْطِ، وَ(آئِنْ) بِأَلِفٍ بَيْنَهُمَا، بِمَعْنَى: أَتُطَيَّرُونَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ؟

وَقُرِئَ: (أَأَنْ ذُكِّرْتُمْ) بِهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ وَأَنِ النَّاصِبَةِ، يَعْنِي: أَتَطَيَّرْتُمْ لِأَنْ ذُكِّرْتُمْ؟

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[4] سُورَةُ الْأَعْرَافِ، الآية 131.

[5] سُورَةُ النِّسَاءِ، الآية 78.

[6] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

وَقُرِئَ: أَنْ، وَإِنْ بِغَيْرِ اسْتِفْهَامٍ لِمَعْنَى الْإِخْبَارِ، أَيْ تَطَيَّرْتُمْ لِأَنْ ذُكِّرْتُمْ، أَوْ إِنْ ذُكِّرْتُمْ تَطَيَّرْتُمْ.

وَقُرِئَ: (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ): عَلَى التَّخْفِيفِ، أَيْ: شُؤْمُكُمْ مَعَكُمْ حَيْثُ جَرَى ذِكْرُكُمْ، وَإِذَا شُئِمَ الْمَكَانُ بِذِكْرِهِمْ كَانَ بِحُلُولِهِمْ فِيهِ أَشْأَمَ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[1] فِي الْعِصْيَانِ، وَمِنْ ثَمَّ أَتَاكُمُ الشُّؤْمُ، لَا مِنْ قِبَلِ رُسُلِ اللَّهِ وَتَذْكِيرُهُمْ، أَوْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ فِي ضَلَالِكُمْ مُتَمَادُونَ فِي غَيِّكُمْ، حَيْثُ تَتَشَاءَمُونَ بِمَنْ يَجِبُ التَّبَرُّكُ بِهِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[2]

﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾[3] هُوَ حَبِيبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ النَّجَّارُ، وَكَانَ يَنْحِتُ الْأَصْنَامَ، وَهُوَ مِمَّنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَبَيْنَهُمَا سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ، كَمَا آمَنَ بِهِ تُبَّعٌ الْأَكْبَرُ وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَغَيْرُهُمَا، وَلَمْ يُؤْمِنْ بَنِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ.

وَقِيلَ: كَانَ فِي غَارٍ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ الرُّسُلِ أَتَاهُمْ وَأَظْهَرَ دِينَهُ وَقَاوَلَ الْكَفَرَةَ، فَقَالُوا: "أَوَأَنْتَ تُخَالِفُ دِينَنَا؟"، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ، فَقَتَلُوهُ.

وَقِيلَ: تَوَطَّئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى خَرَجَ قَصَبُهُ مِنْ دُبُرِهِ.

وَقِيلَ: رَجَمُوهُ وَهُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي"، وَقَبْرُهُ فِي سُوقِ أَنْطَاكِيَّةَ. فَلَمَّا قُتِلَ، غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَهْلَكُوا بِصَيْحَةِ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَام–.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ، لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَصَاحِبُ يس، وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ".

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

﴿مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[1]: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ في التَّرْغِيبِ وَفيهِمْ، أَيْ: لَا تَخْسَرُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ، وَتَرْبَحُونَ صِحَّةَ دِينِكُمْ، فيَنْتَظِمُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ؛ ثُمَّ أَبْرَزَ الْكَلَامَ في مَعْرِضِ الْمُنَاصَحَةِ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ يُرِيدُ مُنَاصَحَتَهُمْ لِيَتَلَطَّفَ بِهِمْ وَيُدَارِيَهُمْ، وَلِأَنَّهُ أَدْخَلُ في إِمْحَاضِ النُّصْحِ حَيْثُ لَا يُرِيدُ لَهُمْ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِرُوحِهِ.

وَلَقَدْ وُضِعَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[2] مَكَانَ قَوْلِهِ: وَمَا لَكُمَ لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]؟

وَلَوْلَا أَنَّهُ قَصَدَ ذَلِكَ لَقَالَ: الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ، وَقَدْ سَاقَهُ ذَلِكَ الْمَسَاقَ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[4]، يُرِيدُ: فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَأَطِيعُونِي، فَقَدْ نَبَّهْتُكُمْ عَلَى الصَّحِيحِ الَّذِي لَا مَعْدِلَ عَنْهُ، أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا لِمَنْ مِنْهُ مُبْتَدَؤُكُمْ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ، وَمَا أَدْفَعَ الْعُقُولَ وَأَنْكَرَهَا لِأَنْ تَسْتَحِبُّوا عَلَى عِبَادَتِهِ عِبَادَةَ أَشْيَاءَ، إِنْ أَرَادَكُمْ هُوَ بِضُرٍّ وَشَفَعَ لَكُمْ هَؤُلَاءِ، لَمْ تَنْفَعْ شَفَاعَتُهُمْ، وَلَمْ يُمَكَّنُوا مِنْ أَنْ يَكُونُوا شُفَعَاءَ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِنْقَاذِكُمْ مِنْهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، إِنَّكُمْ في هَذَا الِاسْتِحْبَابِ لَوَاقِعُونَ في ضَلَالٍ ظَاهِرٍ بَيِّنٍ لَا يَخْفى عَلَى ذِي عَقْلٍ وَتَمْيِيزٍ.

وَقِيلَ: لَمَّا نَصَحَ قَوْمَهُ أَخَذُوا يَرْجُمُونَهُ، فَأَسْرَعَ نَحْوَ الرُّسُلِ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[5]، أَيِ اسْمَعُوا إِيمَانِيَ تَشْهَدُوا لِي بِهِ.

وَقُرِئَ: (إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) بِمَعْنَى: إِنْ يُورِدْنِي ضُرًّا، أَيْ يَجْعَلُنِي مَوْرِدًا لِلضُّرِّ.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[6]

---

1 سُورَةُ يَسِ، الآية .
2 سُورَةُ يَسِ، الآية .
3 سُورَةُ يَسِ، الآية .
4 سُورَةُ يَسِ، الآية .
5 سُورَةُ يَسِ، الآية .
6 سُورَةُ يَسِ، الآية .

أَيْ: لَمَّا قُتِلَ ﴿قِيلَ﴾[1] لَهُ: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾[2].

وَعَنْ قَتَادَةَ: أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَهُوَ فيها حَيٌّ يُرْزَقُ، أَرَادَ قَوْلَهُ -تَعَالَى-: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾[3].

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الْبُشْرَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ مَخْرَجُ هَذَا الْقَوْلِ في عِلْمِ الْبَيَانِ؟

قُلْتُ: مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ الِاسْتِئْنَافِ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ مَظَانِّ الْمَسْأَلَةِ عَنْ حَالِهِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: "كَيْفَ كَانَ لِقَاءُ رَبِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ التَّصَلُّبِ في نُصْرَةِ دِينِهِ، وَالتَّسَخِّي لِوَجْهِهِ بِرُوحِهِ؟"، فَقِيلَ: "قِيلَ: "ادْخُلِ الْجَنَّةَ"، وَلَمْ يَقُلْ: "قِيلَ لَهُ"، لِانْصِبَابِ الْغَرَضِ إِلَى الْمَقُولِ وَعِظَمِهِ، لَا إِلَى الْمَقُولِ لَهُ مَعَ كَوْنِهِ مَعْلُومًا.

وَكَذَلِكَ ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾[4] مُرَتَّبٌ عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِ سَائِلٍ عَمَّا وُجِدَ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ ذَلِكَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَإِنَّمَا تَمَنَّى عِلْمَ قَوْمِهِ بِحَالِهِ، لِيَكُونَ عِلْمُهُمْ بِهَا سَبَبًا لِاكْتِسَابِ مِثْلِهَا لِأَنْفُسِهِمْ، بِالتَّوْبَةِ عَنِ الْكُفْرِ، وَالدُّخُولِ في الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُفْضِيَيْنِ بِأَهْلِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ.

وَفى حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ: "نَصَحَ قَوْمَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا".

وَفِيهِ: تَنْبِيهٌ عَظِيمٌ عَلَى وُجُوبِ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَالْحِلْمِ عَنْ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَالتَّرَؤُّفِ عَلَى مَنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ في غِمَارِ الْأَشْرَارِ وَأَهْلِ الْبَغْيِ، وَالتَّشَمُّرِ في تَخْلِيصِهِ وَالتَّلَطُّفِ في افْتِدَائِهِ، وَالِاشْتِغَالِ بِذَلِكَ عَنِ الشَّمَاتَةِ بِهِ وَالدُّعَاءِ عَلَيْهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ تَمَنَّى الْخَيْرَ لِقَتَلَتِهِ وَالْبَاغِينَ لَهُ الْغَوَائِلَ، وَهُمْ كَفَرَةٌ عَبَدَةُ أَصْنَامٍ؟

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَمَنَّى ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى خَطَأٍ عَظِيمٍ في أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى صَوَابٍ وَنَصِيحَةٍ وَشَفَقَةٍ، وَأَنَّ عَدَاوَتَهُمْ إِلَّا فَوْزًا وَلَمْ تَعْقُبْهُ إِلَّا سَعَادَةً، لِأَنَّ في ذَلِكَ زِيَادَةَ غِبْطَةٍ لَهُ وَتَضَاعُفَ لَذَّةٍ وَسُرُورٍ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ. وَقُرِئَ: (الْمُكَرَّمِينَ).

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ آل عِمْرَانَ، الآيتان 169-170.

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: "مَا" في قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾[1] أَيُّ الْمَآتِ هِيَ؟

قُلْتُ: الْمَصْدَرِيَّةُ أَوِ الْمَوْصُولَةُ، أَيْ: بِالَّذِي غَفَرَهُ لِي مِنَ الذُّنُوبِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامِيَّةً، يَعْنِي: بِأَيِّ شَيْءٍ غَفَرَ لِي رَبِّي؟ يُرِيدُ بِهِ: مَا كَانَ مِنْهُ مَعَهُمْ مِنَ الْمُصَابَرَةِ لِإِعْزَازِ الدِّينِ حَتَّى قُتِلَ. إِلَّا أَنَّ قَوْلَكَ: "بِمَ غَفَرَ لِي" بِطَرْحِ الْأَلِفِ أَجْوَدُ، وَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُهَا جَائِزًا، يُقَالُ: قَدْ عَلِمْتُ بِمَا صَنَعْتَ هَذَا، أَيْ: بِأَيِّ شَيْءٍ صَنَعْتَ وَبِمَ صَنَعْتَ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[2]

الْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ كَفى أَمْرَهُمْ بِصَيْحَةِ مَلَكٍ، وَلَمْ يُنْزِلْ لِإِهْلَاكِهِمْ جُنْدًا مِنْ جُنُودِ السَّمَاءِ، كَمَا فَعَلَ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْخَنْدَقِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾[3]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَمَا كَانَ يَصِحُّ فِي حِكْمَتِنَا أَنْ نُنَزِّلَ فِي إِهْلَاكِ قَوْمِ حَبِيبٍ جُنْدًا مِنَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– أَجْرَى هَلَاكَ كُلِّ قَوْمٍ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ دُونَ الْبَعْضِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِنَاءً عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ وَأَوْجَبَتْهُ الْمَصْلَحَةُ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾[4]؟!

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ، الآية 40.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ أَنْزَلَ الْجُنُودَ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْخَنْدَقِ؟ قَالَ –تَعَالَى–: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[1]، ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2]، ﴿بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾[3]، ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[4]؟

قُلْتُ: إِنَّمَا كَانَ يَكْفِي مَلَكٌ وَاحِدٌ، فَقَدْ أُهْلِكَتْ مَدَائِنُ قَوْمِ لُوطٍ بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِ جِبْرِيلَ، وَبِلَادُ ثَمُودَ وَقَوْمِ صَالِحٍ بِصَيْحَةٍ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى كِبَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَأُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَضْلًا عَنْ حَبِيبٍ النَّجَّارِ، وَأَوْلَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْكَرَامَةِ وَالْإِعْزَازِ مَا لَمْ يُولِهِ أَحَدًا.

فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ أَنْزَلَ لَهُ جُنُودًا مِنَ السَّمَاءِ، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾[5]، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾[6] إِلَى أَنَّ إِنْزَالَ الْجُنُودِ مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُؤَهَّلُ لَهَا إِلَّا مِثْلُكَ، وَمَا كُنَّا نَفْعَلُهُ بِغَيْرِكَ.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[7]: إِنْ كَانَتِ الْآخِذَةُ أَوِ الْعُقُوبَةُ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً.

وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ بِالرَّفْعِ عَلَى كَانَ التَّامَّةِ، أَيْ: مَا وَقَعَتْ إِلَّا صَيْحَةً، وَالْقِيَاسُ وَالِاسْتِعْمَالُ عَلَى تَذْكِيرِ الْفِعْلِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: مَا وَقَعَ شَيْءٌ إِلَّا صَيْحَةً، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَأَنَّ الصَّيْحَةَ فِي حُكْمِ فَاعِلِ الْفِعْلِ.

وَمِثْلُهَا: قِرَاءَةُ الْحَسَنِ: (فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)، وَبَيْتُ ذِي الرُّمَّةِ:

وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (إِلَّا زَقْيَةٌ وَاحِدَةٌ) مِنْ زَقَا الطَّائِرُ يَزْقُو وَيَزْقِي، إِذَا صَاحَ. وَمِنْهُ الْمَثَلُ: أَثْقَلُ مِنَ الزَّوَاقِي.

﴿خَامِدُونَ﴾[8]: خَمَدُوا كَمَا تَخْمُدُ النَّارُ، فَتَعُودُ رَمَادًا، كَمَا قَالَ لَبِيدٌ:

---

[1] سُورَةُ الْأَحْزَابِ، الآية 9.

[2] سُورَةُ الْأَنْفَالِ، الآية 9.

[3] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 124.

[4] سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية 125.

[5] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[7] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[8] سُورَةُ يَسِ، الآية .

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِـــعُ

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[2] نِدَاءٌ لِلْحَسْرَةِ عَلَيْهِمْ، كَأَنَّمَا قِيلَ لَهَا: تَعَالَيْ يَا حَسْرَةُ، فَهَذِهِ مِنْ أَحْوَالِكِ الَّتِي حَقُّكَ أَنْ تَحْضُرِي فيها، وَهِيَ حَالُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالرُّسُلِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِأَنْ يَتَحَسَّرَ عَلَيْهِمُ الْمُتَحَسِّرُونَ، وَيَتَلَهَّفَ عَلَى حَالِهِمُ الْمُتَلَهِّفُونَ. أَوْ هُمْ مُتَحَسَّرٌ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ فِي مَعْنَى تَعْظِيمِ مَا جَنَوْهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمَحَنُوهَا بِهِ، وَفَرْطِ إِنْكَارِهِ لَهُ وَتَعْجِيبِهِ مِنْهُ.

وَقِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (يَا حَسْرَتَا) تُعَضِّدُ هَذَا الْوَجْهَ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: يَا حَسْرَتِي.

وَقُرِئَ: (يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ)، عَلَى الْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ لِاخْتِصَاصِهَا بِهِمْ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مُوَجَّهَةٌ إِلَيْهِمْ، وَيَا حَسْرَةُ عَلَى الْعِبَادِ: عَلَى إِجْرَاءِ الْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[3]

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾[4]: أَلَمْ يَعْلَمُوا، وَهُوَ مُعَلَّقٌ عَنِ الْعَمَلِ فِي ﴿كَمْ﴾[5]، لِأَنَّ كَمْ لَا يَعْمَلُ فيها عَامِلٌ قَبْلَهَا، كَانَتْ لِلِاسْتِفْهَامِ أَوْ لِلْخَبَرِ، لِأَنَّ أَصْلَهَا الِاسْتِفْهَامُ، إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهُ نَافِذٌ فِي الْجُمْلَةِ، كَمَا نَفَذَ فِي قَوْلِكَ: أَلَمْ يَرَوْا إِنَّ زَيْدًا لَمُنْطَلِقٌ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ فِي لَفْظِهِ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[1] بَدَلٌ مِنْ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾[2] عَلَى الْمَعْنَى، لَا عَلَى اللَّفْظِ، تَقْدِيرُهُ: أَلَمْ يَرَوْا كَثْرَةَ إِهْلَاكِنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَوْنُهُمْ غَيْرَ رَاجِعِينَ إِلَيْهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: كَسْرُ إِنَّ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أَهْلَكْنَا)، وَالْبَدَلُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بَدَلُ اشْتِمَالٍ، وَهَذَا مِمَّا يَرُدُّ قَوْلَ أَهْلِ الرَّجْعَةِ.

وَيُحْكَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: بِئْسَ الْقَوْمُ نَحْنُ إِذَنْ، نَكَحْنَا نِسَاءَهُ وَقَسَّمْنَا مِيرَاثَهُ.

﴿لَمَّا﴾[3] قُرِئَ: (لَمَا) بِالتَّخْفِيفِ، عَلَى أَنَّ (مَا) صِلَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَإِنْ: مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَهِيَ مُتَلَقَّاةٌ بِاللَّامِ لَا مَحَالَةَ.

وَ﴿لَمَّا﴾[4] بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى إِلَّا، كَالَّتِي فِي مَسْأَلَةِ الْكِتَابِ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَا فَعَلْتَ، وَإِنْ نَافِيَةٌ.

وَالتَّنْوِينُ فِي ﴿كُلٌّ﴾[5] هُوَ الَّذِي يَقَعُ عِوَضًا مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِكُلٍّ قَائِمًا. وَالْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّهُمْ مَحْشُورُونَ مَجْمُوعُونَ مُحْضَرُونَ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقِيلَ: مُحْضَرُونَ مُعَذَّبُونَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أَخْبَرَ عَنْ كُلٍّ بِجَمِيعٍ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ؟

قُلْتُ: لَيْسَ وَاحِدٌ، لِأَنَّ كُلًّا يُفِيدُ مَعْنَى الْإِحَاطَةِ، وَأَنْ لَا يَنْفَلِتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَالْجَمِيعُ: مَعْنَاهُ: الِاجْتِمَاعُ، وَأَنَّ الْمَحْشَرَ يَجْمَعُهُمْ.

وَالْجَمِيعُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، يُقَالُ: حَيٌّ جَمِيعٌ، وَجَاءُوا جَمِيعًا.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

أَفَلا يَشْكُرونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾[1]

الْقِرَاءَةُ بِالْمَيْتَةِ عَلَى الْخِفَّةِ أَشْيَعُ، لِسَلَسِهَا عَلَى اللِّسَانِ.

وَ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾[2]: اسْتِئْنَافُ بَيَانٍ لِكَوْنِ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ آيَةً، كَذَلِكَ نَسْلَخُ.

وَيَجُوزُ أَنْ تُوصَفَ الْأَرْضُ وَاللَّيْلُ بِالْفِعْلِ، لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِمَا الْجِنْسَانِ مُطْلَقَيْنِ لَا أَرْضٌ وَلَيْلٌ بِأَعْيَانِهِمَا، فَعُومِلَا مُعَامَلَةَ النَّكِرَاتِ فِي وَصْفِهِمَا بِالْأَفْعَالِ.

وَنَحْوُهُ:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِـــــــــي

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[3] بِتَقْدِيمِ الظَّرْفِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْحُبَّ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ مُعْظَمُ الْعَيْشِ، وَيَقُومُ بِالِارْتِزَاقِ مِنْهُ صَلَاحُ الْإِنْسِ، وَإِذَا قَلَّ جَاءَ الْقَحْطُ وَوَقَعَ الضُّرُّ، وَإِذَا فُقِدَ جَاءَ الْهَلَاكُ وَنَزَلَ الْبَلَاءُ.

وَقُرِئَ: (وَفَجَّرْنَا) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ، وَالْفَجْرُ وَالتَّفْجِيرُ، كَالْفَتْحِ وَالتَّفْتِيحِ لَفْظًا وَمَعْنًى.

وَقُرِئَ: (ثَمَرِهِ) بِفَتْحَتَيْنِ وَضَمَّتَيْنِ وَضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –تَعَالَى–.

وَالْمَعْنَى: لِيَأْكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنَ الثَّمَرِ ﴿وَ﴾[4] مِنْ ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[5] مِنَ الْغَرْسِ وَالسَّقْيِ وَالْآبَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَى أَنْ بَلَغَ الثَّمَرُ مُنْتَهَاهُ وَإِبَّانَ أُكُلِهِ، يَعْنِي أَنَّ الثَّمَرَ فِي نَفْسِهِ فِعْلُ اللَّهِ وَخَلْقُهُ، وَفِيهِ آثَارٌ مِنْ كَدِّ بَنِي آدَمَ، وَأَصْلُهُ مِنْ ثَمَرِنَا كَمَا قَالَ: وَجَعَلْنَا، وَفَجَّرْنَا، فَنَقَلَ الْكَلَامَ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرْجَعَ إِلَى النَّخِيلِ، وَتُتْرَكُ الْأَعْنَابُ غَيْرَ مَرْجُوعٍ إِلَيْهَا، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهَا فِي حُكْمِ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

النَّخِيلِ فيمَا عَلِقَ بِهِ مِنْ أَكْلِ ثَمَرِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مِنْ ثَمَرِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ الْجَنَّاتُ، كَمَا قَالَ رُؤْبَةُ:

فيها خُطُوطٌ مِنْ بَيَاضٍ وَبَلَقِ كَأَنَّهُ في الْجِلْدِ تَوْلِيعُ الْبَهَقْ

فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَرَدْتُ كَأَنَّ ذَاكَ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ ﴿مَا﴾[1] نَافِيَةً عَلَى أَنَّ الثَّمَرَ خَلْقُ اللَّهِ، وَلَمْ تَعْمَلْهُ أَيْدِي النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ.

وَقُرِئَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ غَيْرِ رَاجِعٍ، وَهِيَ في مَصَاحِفِ أَهْلِ الْكُوفَةِ كَذَلِكَ، وَفي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ مَعَ الضَّمِيرِ.

﴿الْأَزْوَاجُ﴾[2]: الْأَجْنَاسُ وَالْأَصْنَافُ.

﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾[3]: وَمِنْ أَزْوَاجٍ لَمْ يُطْلِعْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَلَا تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهَا بِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْعِلْمِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ –تَعَالَى– مِنَ الْخَلَائِقِ الْحَيَوَانَ وَالْجَمَادَ مَا لَمْ يَجْعَلْ لِلْبَشَرِ طَرِيقًا إِلَى الْعِلْمِ بِهِ، لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِمْ في دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْعِلْمِ، وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ لَأَعْلَمَهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، كَمَا أَعْلَمَهُمْ بِوُجُودِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: لَمْ يُسَمِّهِمْ.

وَفي الْحَدِيثِ: "مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلَهْ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ"، فَأَعْلَمَنَا بِوُجُودِهِ وَإِعْدَادِهِ، وَلَمْ يُعْلِمْنَا بِهِ مَا هُوَ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[4]، وَفي الْإِعْلَامِ بِكَثْرَةِ مَا خَلَقَ مِمَّا عَلِمُوهُ وَمِمَّا جَهِلُوهُ مَا دَلَّ عَلَى عِظَمِ قُدْرَتِهِ وَاتِّسَاعِ مُلْكِهِ.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[5]

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[4] سُورَةُ السَّجْدَةِ، الآية 17.

[5] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

سَلَخَ جِلْدَ الشَّاةِ: إِذَا كَشَطَهُ عَنْهَا وَأَزَالَهُ. وَمِنْهُ: سَلْخُ الْحَيَّةِ لِخَرْشَائِهَا، فَاسْتُعِيرَ لِإِزَالَةِ الضَّوْءِ وَكَشْفِهِ عَنْ مَكَانِ اللَّيْلِ وَمُلْقَى ظِلِّهِ.

﴿مُظْلِمُونَ﴾[1] دَاخِلُونَ فِي الظَّلَامِ، يُقَالُ: أَظْلَمْنَا، كَمَا تَقُولُ: أَعْتَمْنَا وَأَذْجَيْنَا.

﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[2] لِحَدٍّ لَهَا مُؤَقَّتٍ مُقَدَّرٍ تَنْتَهِي إِلَيْهِ مِنْ فَلَكِهَا فِي آخِرِ السَّنَةِ، شُبِّهَ بِمُسْتَقَرِّ الْمُسَافِرِ إِذَا قَطَعَ مَسِيرَهُ، أَوْ لِمُنْتَهَى لَهَا مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، لِأَنَّهَا تَتَقَصَّاهَا مَشْرِقًا مَشْرِقًا، وَمَغْرِبًا مَغْرِبًا حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَاهَا، ثُمَّ تَرْجِعُ، فَذَلِكَ حَدُّهَا وَمُسْتَقَرُّهَا، لِأَنَّهَا لَا تَعْدُوهُ، أَوْ لِحَدٍّ لَهَا مِنْ مَسِيرِهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي مَرْأَى عُيُونِنَا وَهُوَ الْمَغْرِبُ.

وَقِيلَ: مُسْتَقَرُّهَا أَجَلُهَا الَّذِي أَقَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهَا فِي جَرْيِهَا، فَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ آخِرُ السَّنَةِ.

وَقِيلَ: الْوَقْتُ الَّذِي تَسْتَقِرُّ فِيهِ وَيَنْقَطِعُ جَرْيُهَا، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3]

وَقُرِئَ: (تَجْرِي إِلَى مُسْتَقَرٍّ لَهَا).

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا) أَيْ: لَا تَزَالُ تَجْرِي لَا تَسْتَقِرُّ.

وَقُرِئَ: (لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا) عَلَى أَنَّ "لَا" بِمَعْنَى لَيْسَ "ذَلِكَ " الْجَرْيُ عَلَى ذَلِكَ التَّقْدِيرِ وَالْحِسَابِ الدَّقِيقِ الَّذِي تَكَلُّ الْفِطَنُ عَنِ اسْتِخْرَاجِهِ وَتَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ فِي اسْتِنْبَاطِهِ، مَا هُوَ إِلَّا تَقْدِيرُ الْغَالِبِ بِقُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ، الْمُحِيطُ عِلْمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

قُرِئَ: (وَالْقَمَرُ) رَفْعًا عَلَى الِابْتِدَاءِ، أَوْ عَطْفًا عَلَى اللَّيْلِ، يُرِيدُ: مِنْ آيَاتِهِ الْقَمَرُ، وَنَصْبًا بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ قَدَّرْنَاهُ، وَلَا بُدَّ فِي ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[1] مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِتَقْدِيرِ نَفْسِ الْقَمَرِ مَنَازِلَ.

وَالْمَعْنَى: قَدَّرْنَا مَسِيرَهُ مَنَازِلَ وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلًا، يَنْزِلُ الْقَمَرُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَتَقَاصَرُ عَنْهُ، عَلَى تَقْدِيرٍ مُسْتَوٍ لَا يَتَفَاوَتُ، يَسِيرُ فِيهَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنَ الْمُسْتَهَلِّ إِلَى الثَّامِنَةِ وَالْعِشْرِينَ، ثُمَّ يَسْتَتِرُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ لَيْلَةً إِذَا نَقَصَ الشَّهْرُ.

وَهَذِهِ الْمَنَازِلُ هِيَ مَوَاقِعُ النُّجُومِ الَّتِي نَسَبَتْ إِلَيْهَا الْعَرَبُ الْأَنْوَاءَ الْمُسْتَمْطَرَةَ، وَهِيَ: الشَّرَطَانِ، الْبُطَيْنُ، الثُّرَيَّا، الدَّبَرَانِ، الْهَقْعَةُ، الْهَنْعَةُ، الذِّرَاعُ، النَّثْرَةُ، الطَّرْفُ، الْجَبْهَةُ، الزُّبْرَةُ، الصَّرْفَةُ، الْعَوَا، السِّمَاكُ، الْغَفْرُ، الزِّبَانِيُّ، الْإِكْلِيلُ، الْقَلْبُ، الشَّوْلَةُ، النَّعَائِمُ، الْبَلْدَةُ، سَعْدُ الذَّابِحُ، سَعْدُ بَلْعَ، سَعْدُ السُّعُودِ، سَعْدُ الْأَخْبِيَةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ الْمُقَدَّمِ، فَرْغُ الدَّلْوِ الْمُؤَخَّرِ، الرِّشَا. فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ مَنَازِلِهِ دَقَّ وَاسْتَقْوَسَ.

وَ﴿عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[2]، وَهُوَ عُودُ الْعَذْقِ، مَا بَيْنَ شَمَارِيخِهِ إِلَى مَنْبِتِهِ مِنَ النَّخْلَةِ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ "فَعْلُونُ" مِنَ الِانْعِرَاجِ وَهُوَ الِانْعِطَافُ.

وَقُرِئَ: (الْعِرْجُونِ) بِوَزْنِ الْفِرْجُونِ، وَهُمَا لُغَتَانِ، كَالْبُزْيُونِ وَالْبِزْيُونِ، وَالْقَدِيمُ الْمُحَوَّلُ، وَإِذَا قَدِمَ دَقَّ فَانْحَنَى وَاصْفَرَّ، فَشُبِّهَ بِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ.

وَقِيلَ: أَقَلُّ مُدَّةِ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ الْحَوْلُ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: كُلُّ مَمْلُوكٍ لِي قَدِيمٍ فَهُوَ حُرٌّ. أَوْ كَتَبَ ذَلِكَ فِي وَصِيَّتِهِ، عَتَقَ مِنْهُمْ مَنْ مَضَى لَهُ حَوْلٌ أَوْ أَكْثَرُ.

وَقُرِئَ: (سَابِقُ النَّهَارِ) عَلَى الْأَصْلِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَسَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَتَيْهِمَا قَسْمًا مِنَ الزَّمَانِ، وَضَرَبَ لَهُ حَدًّا مَعْلُومًا، وَدَبَّرَ أَمْرَهُمَا عَلَى التَّعَاقُبِ؛ فَلَا يَنْبَغِي لِلشَّمْسِ، أَيْ: لَا يَتَسَهَّلُ لَهَا وَلَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ لِوُقُوعِ التَّدْبِيرِ عَلَى الْمُعَاقَبَةِ، وَإِنْ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

النَّيِّرَيْنِ سُلْطَانٌ عَلَى حِيَالِهِ ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾[1]، فَتَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَتُدَاخِلُهُ فِي سُلْطَانِهِ، فَتَطْمِسُ نُورَهُ، وَلَا يَسْبِقُ اللَّيْلُ النَّهَارَ، يَعْنِي: آيَةُ اللَّيْلِ آيَةَ النَّهَارِ وَهُمَا النَّيِّرَانِ.

وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ إِلَى أَنْ يُبْطِلَ اللَّهُ مَا دَبَّرَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَنْقَضَّ مَا أَلَّفَ، فيجْمَعُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَيُطْلِعُ الشَّمْسَ مِنْ مَغْرِبِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جُعِلَتِ الشَّمْسُ غَيْرَ مُدْرِكَةٍ، وَالْقَمَرُ غَيْرَ سَابِقٍ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الشَّمْسَ لَا تَقْطَعُ فَلَكَهَا إِلَّا فِي سَنَةٍ، وَالْقَمَرُ يَقْطَعُ فَلَكَهُ فِي شَهْرٍ، فَكَانَتِ الشَّمْسُ جَدِيرَةً بِأَنْ تُوصَفَ بِالْإِدْرَاكِ لِتَبَاطُؤِ سَيْرِهَا عَنْ سَيْرِ الْقَمَرِ، خَلِيقًا بِأَنْ يُوصَفَ بِالسَّبْقِ لِسُرْعَةِ سَيْرِهِ.

﴿وَكُلٌّ﴾[2] التَّنْوِينُ فِيهِ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: وَكُلُّهُمْ، وَالضَّمِيرُ لِلشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[3]

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[4]: أَوْلَادُهُمْ وَمَنْ يَهُمُّهُمْ حَمْلُهُ.

وَقِيلَ: اسْمُ الذُّرِّيَّةِ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ، لِأَنَّهُنَّ مَزَارِعُهَا.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ قَتْلِ الذَّرَارِي، يَعْنِي النِّسَاءَ.

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾[5]: مِنْ مِثْلِ الْفُلْكِ.

﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾[6] مِنَ الْإِبِلِ، وَهِيَ سَفَائِنُ الْبَرِّ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَقِيلَ: ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[1]: سَفِينَةُ نُوحٍ.

وَمَعْنَى حَمْلِ اللَّهِ ذُرِّيَّاتِهِمْ فيها: أَنَّهُ حَمَلَ فيها آبَاءَهُمُ الْأَقْدَمِينَ، وَفى أَصْلَابِهِمْ هُمْ وَذُرِّيَّاتُهُمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ذُرِّيَّاتِهِمْ دُونَهُمْ، لِأَنَّهُ أَبْلَغُ في الِامْتِنَانِ عَلَيْهِمْ، وَأَدْخَلُ في التَّعْجِيبِ مِنْ قُدْرَتِهِ، في حَمْلِ أَعْقَابِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ في سَفِينَةِ نُوحٍ.

وَ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾[2]: مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْفُلْكِ مَا يَرْكَبُونَ مِنَ السُّفُنِ وَالزَّوَارِقِ.

﴿فَلا صَرِيخَ﴾[3]: لَا مُغِيثَ، أَوْ لَا إِغَاثَةَ. يُقَالُ: أَتَاهُمُ الصَّرِيخُ.

﴿وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[4]: لَا يَنْجُونَ مِنَ الْمَوْتِ بِالْغَرَقِ.

﴿إِلاَّ رَحْمَةً﴾[5]: إِلَّا لِرَحْمَةٍ مِنَّا وَلِتَمْتِيعٍ بِالْحَيَاةِ.

﴿إِلَى حِينٍ﴾[6]: إِلَى أَجَلٍ يَمُوتُونَ فيهِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهُ بَعْدَ النَّجَاةِ مِنْ مَوْتِ الْغَرَقِ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

وَلَمْ أَسْلَمْ لِكَيْ أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

وَقَرَأَ الْحَسَنُ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: (نُغَرِّقْهُمْ).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[7]

﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾[8]، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[9].

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[7] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[8] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[9] سورة سَبَأ، الآية 9.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي خَلَتْ، يَعْنِي: مِنْ مِثْلِ الْوَقَائِعِ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ بِأَنْبِيَائِهَا، وَمَا خَلَّفَكُمْ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]: لِتَكُونُوا عَلَى رَجَاءِ رَحْمَةِ اللَّهِ.

وَجَوَابُ "إِذَا" مَحْذُوفٌ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[2]، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: اتَّقُوا أَعْرَضُوا.

ثُمَّ قَالَ: وَدَأْبُهُمُ الْإِعْرَاضُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[3]

كَانَتِ الزَّنَادِقَةُ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَلِّقُونَ أَفْعَالَ اللَّهِ –تَعَالَى– بِمَشِيئَتِهِ، فيقُولُونَ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَى فُلَانًا، وَلَوْ شَاءَ لَأَعَزَّهُ، وَلَوْ شَاءَ لَكَانَ كَذَا، فَأَخْرَجُوا هَذَا الْجَوَابَ مَخْرَجَ الِاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَبِمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ مِنْ تَعْلِيقِ الْأُمُورِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

وَمَعْنَاهُ: أَنُطْعِمُ الْمَقُولَ فيهِ هَذَا الْقَوْلُ بَيْنَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا دَافِعِينَ أَنْ يَكُونَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ مُعَطِّلَةٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِالصَّانِعِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–مَا: كَانَ بِمَكَّةَ زَنَادِقَةٌ، فَإِذَا أُمِرُوا بِالصَّدَقَةِ عَلَى الْمَسَاكِينِ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ، أَيُفْقِرُهُ اللَّهُ وَنُطْعِمُهُ نَحْنُ؟

وَقِيلَ: كَانُوا يُوهِمُونَ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى إِطْعَامِهِ وَلَا يَشَاءُ إِطْعَامَهُ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

نَزَلَتْ في مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ قَالَ فُقَرَاءُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَعْطُونَا مِمَّا زَعَمْتُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَنَّهَا لِلَّهِ، يَعْنُونَ قَوْلَهُ:﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾[1]، فَحَرَّمُوهُمْ وَقَالُوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَطْعَمَكُمْ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[3] قَوْلٌ اللَّهِ لَهُمْ، أَوْ حِكَايَةُ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ، أَوْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قُرِئَ: (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بِإِدْغَامِ التَّاءِ في الصَّادِ مَعَ فَتْحِ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا، وَإِتْبَاعِ الْيَاءِ الْخَاءَ في الْكَسْرِ، وَ"يَخْتَصِمُونَ" عَلَى الْأَصْلِ. وَ"يَخْصِمُونَ" مِنْ خَصَمَهُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَبْغَتُهُمْ وَهُمْ في أَمْنِهِمْ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا، لَا يُخْطِرُونَهَا بِبَالِهِمْ مُشْتَغِلِينَ بِخُصُومَاتِهِمْ في مَتَاجِرِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَسَائِرِ مَا يَتَخَاصَمُونَ فيهِ وَيَتَشَاجَرُونَ.

وَمَعْنَى يَخْصِمُونَ: يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَقِيلَ: تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَخْصِمُونَ في الْحُجَّةِ في أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[4] أَنْ يُوَصُّلُوا في شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ "تَوْصِيَةً" وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ، بَلْ يَمُوتُونَ بِحَيْثُ تَفْجَؤُهُمُ الصَّيْحَةُ.

---

[1] سُورَةُ الْأَنْعَامِ، الآية 136.

[2] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسِ، الآية .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مَنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[1]

قُرِئَ: (الصُّورِ) بِسُكُونِ الْوَاوِ وَهُوَ الْقَرْنُ، أَوْ جَمْعُ صُورَةٍ، وَحَرَّكَهَا بَعْضُهُمْ، وَ"الْأَجْدَاثُ" الْقُبُورُ، وَقُرِئَ بِالْفَاءِ.

﴿يَنْسِلُونَ﴾[2] يَعْدُونَ بِكَسْرِ السِّينِ وَضَمِّهَا، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

وَقُرِئَ: (يَا وَيْلَتَنَا).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: مَنْ أَهَبَّنَا، مِنْ هَبَّ مِنْ نَوْمِهِ إِذَا انْتَبَهَ، وَأَهَبَّهُ غَيْرُهُ.

وَقُرِئَ: (مَنْ هَبَّنَا) بِمَعْنَى أَهَبَّنَا: وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَرَادَ هَبَّ بِنَا، فَحُذِفَ الْجَارُّ وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ.

وَقُرِئَ: (مِنْ بَعْثِنَا) وَ (مِنْ هَبِّنَا)، عَلَى مِنَ الْجَارَّةِ وَالْمَصْدَرِ.

وَ﴿هَذَا﴾[3] مُبْتَدَأٌ، وَ﴿مَا وَعَدَ﴾[4] خَبَرُهُ، وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا صِفَةً لِلْمَرْقَدِ، وَمَا وَعَدَ: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هَذَا وَعْدُ الرَّحْمَنِ، أَيْ: مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفُ الْخَبَرِ، أَيْ مَا وَعَدَ ﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[5] حَقٌّ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لِلْكَفَّارِ هَجْعَةٌ يَجِدُونَ فيها طَعْمَ النَّوْمِ، فَإِذَا صِيحَ بِأَهْلِ الْقُبُورِ قَالُوا: مَنْ بَعَثَنَا.

وَأَمَّا ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾[6]، فَكَلَامُ الْمَلَائِكَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنِ الْحَسَنِ: كَلَامُ الْمُتَّقِينَ .

وَقِيلَ: كَلَامُ الْكَافِرِينَ يَتَذَكَّرُونَ مَا سَمِعُوهُ مِنَ الرُّسُلِ فيجِيبُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَوْ بَعْضَهُمْ بَعْضًا.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .
[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا جَعَلْتَ ﴿مَا﴾[1] مَصْدَرِيَّةً، كَانَ الْمَعْنَى: هَذَا وَعْدُ الرَّحْمَنِ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ، عَلَى تَسْمِيَةِ الْمَوْعُودِ وَالْمَصْدُوقِ فيهِ بِالْوَعْدِ وَالصِّدْقِ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[2] إِذَا جَعَلْتَهَا مَوْصُولَةً؟

قُلْتُ: تَقْدِيرُهُ: هَذَا الَّذِي وَعَدَهُ الرَّحْمَنُ وَالَّذِي صَدَّقَهُ الْمُرْسَلُونَ، بِمَعْنَى: وَالَّذِي صَدَقَ فيهِ الْمُرْسَلُونَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: صَدَقُوهُمُ الْحَدِيثَ وَالْقِتَالَ. وَمِنْهُ: صَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ:﴿ مَنْ بَعَثَنَا مَنْ مَرْقَدِنَا﴾[3]؟ سُؤَالٌ عَنِ الْبَاعِثِ، فَكَيْفَ طَابَقَهُ ذَلِكَ جَوَابًا؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: بَعَثَكُمُ الرَّحْمَنُ الَّذِي وَعَدَكُمُ الْبَعْثَ وَأَنْبَأَكُمْ بِهِ الرُّسُلُ، إِلَّا أَنَّهُ جِيءَ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ: سِيئَتْ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَنُعِيَتْ إِلَيْهِمْ أَحْوَالُهُمْ، وَذَكَرُوا كُفْرَهُمْ وَتَكْذِيبَهُمْ، وَأُخْبِرُوا بِوُقُوعِ مَا أُنْذِرُوا بِهِ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: لَيْسَ بِالْبَعْثِ الَّذِي عَرَفْتُمُوهُ، وَهُوَ بَعْثُ النَّائِمِ مِنْ مَرْقَدِهِ، حَتَّى يَهُمُّكُمُ السُّؤَالُ عَنِ الْبَاعِثِ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَعْثُ الْأَكْبَرُ ذُو الْأَهْوَالِ وَالْأَفْزَاعِ، وَهُوَ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ فِي كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ الصَّادِقِينَ.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[4]

﴿إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[5] قُرِئَتْ مَنْصُوبَةً وَمَرْفُوعَةً (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا..... إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ) حِكَايَةَ مَا يُقَالُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ زِيَادَةُ تَصْوِيرٍ لِلْمَوْعُودِ، وَتَمْكِينٌ لَهُ فِي النُّفُوسِ، وَتَرْغِيبٌ فِي الْحِرْصِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا يُثْمِرُهُ ﴿فِي شُغُلٍ﴾ فِي أَيِّ شُغْلٍ وَفِي شُغْلٍ لَا يُوصَفُ، وَمَا ظَنُّكَ بِشُغْلِ مَنْ سُعِدَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْمُتَّقِينَ، وَوَصَلَ إِلَى نَيْلِ تِلْكَ الْغِبْطَةِ وَذَلِكَ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ وَالنَّعِيمِ

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

الْمُقِيمِ، وَوَقَعَ فِي تِلْكَ الْمَلَاذِّ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُرْتَضِينَ مِنْ عِبَادِهِ، ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مَعَ كَرَامَةٍ وَتَعْظِيمٍ. وَذَلِكَ بَعْدَ الْوَلَهِ وَالصَّبَابَةِ، وَالتَّفَضِّي مِنْ مَشَاقِّ التَّكْلِيفِ وَمَضَايِقِ التَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ، وَتَخَطِّي الْأَهْوَالِ، وَتَجَاوُزِ الْأَخْطَارِ وَجَوَازِ الصِّرَاطِ. وَمُعَايَنَةِ مَا لَقِيَ الْعُصَاةُ مِنَ الْعَذَابِ،

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي افْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ. وَعَنْهُ: فِي ضَرْبِ الْأَوْتَارِ. وَعَنِ ابْنِ كِيسَانَ: فِي التَّزَاوُرِ. وَقِيلَ: فِي ضِيَافَةِ اللَّهِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: شَغَلَهُمْ عَمَّا فِيهِ أَهْلُ النَّارِ التَّنَعُّمُ بِمَا هُمْ فِيهِ. وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: هُمْ شُغُلٌ عَنْ أَهَالِيهِمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَا يَهُمُّهُمْ أَمْرُهُمْ وَلَا يَذْكُرُونَهُمْ، لِئَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ تَنْغِيصٌ فِي نَعِيمِهِمْ.

قُرِئَ: (فِى شُغُلٍ) بِضَمَّتَيْنِ وَضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَفَتْحَتَيْنِ، وَفَتْحَةٍ وَسُكُونٍ.

وَالْفَاكِهُ وَالْفَكِهُ: الْمُتَنَعِّمُ وَالْمُتَلَذِّذُ: وَمِنْهُ الْفَاكِهَةُ، لِأَنَّهَا مِمَّا يُتَلَذَّذُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْفُكَاهَةُ، وَهِيَ الْمُزَاحَةُ.

وَقُرِئَ: (فَاكِهُونَ) وَ (فَكِهُونَ)، بِكَسْرِ الْكَافِ وَضَمِّهَا، وَكَقَوْلِهِمْ: رَجُلٌ حَذَثٌ وَحُذُثٌ، وَنَطَسٌ وَنُطُسٌ.

وَقُرِئَ: (فَاكِهِينَ) وَ (فَكِهِينَ)، عَلَى أَنَّهُ حَالٌ وَالظَّرْفُ مُسْتَقِرٌّ.

﴿هُمْ﴾[1] يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَأَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِلضَّمِيرِ فِي ﴿فِي شُغُلٍ﴾[2] وَفِى ﴿فَاكِهُونَ﴾[3] عَلَى أَنَّ أَزْوَاجَهُمْ يُشَارِكْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الشُّغْلِ وَالتَّفَكُّهِ وَالِاتِّكَاءِ عَلَى الْأَرَائِكِ تَحْتَ الظِّلَالِ.

وَقُرِئَ: (فِى ظُلَلٍ)، وَالْأَرِيكَةُ: السَّرِيرُ فِي الْحَجْلَةِ. وَقِيلَ: الْفِرَاشُ فِيهَا.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (مُتَّكِينَ)

﴿يَدَّعُونَ﴾[4] يَفْتَعِلُونَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَيْ: يَدْعُونَ بِهِ لِأَنْفُسِهِمْ، كَقَوْلِكَ: اشْتَوَى وَاجْتَمَلَ، إِذَا شَوَى وَجَمَلَ لِنَفْسِهِ.

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

قَالَ لَبِيدٌ:

فَاشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ وَاجْتَمَلْ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى يَتَدَاعُونَهُ، كَقَوْلِكَ: ارْتَمَوْهُ، وَتَرَامَوْهُ. وَقِيلَ: يَتَمَنَّوْنَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ادْعُ عَلَيَّ مَا شِئْتَ، بِمَعْنَى تَمَنَّهُ عَلَيَّ، وَفُلَانٌ فِي خَيْرِ مَا ادَّعَى، أَيْ: فِي خَيْرِ مَا تَمَنَّى.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهُوَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَيْ: مَا يَدْعُو بِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ.

وَ﴿سَلَامٌ﴾[1] بَدَلٌ مِمَّا يَدَّعُونَ، كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: سَلَامٌ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿قَوْلًا مِنْ﴾[2] جِهَةِ ﴿رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[3]، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِمْ وَذَلِكَ مُتَمَنَّاهُمْ، وَلَهُمْ ذَلِكَ لَا يُمْنَعُونَهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ بِالتَّحِيَّةِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقِيلَ: ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾[4]، مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ ﴿سَلَامٌ﴾[5]، بِمَعْنَى: وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَالِمٌ خَالِصٌ لَا شَوْبَ فِيهِ.

وَ﴿قَوْلًا﴾[6] مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلَامٌ﴾[7]، أَيْ: عِدَةٌ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ.

وَالْأَوْجَهُ: أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، وَهُوَ مِنْ مَجَازِهِ.

وَقُرِئَ: (سَلْمٌ)، وَهُوَ بِمَعْنَى السَّلَامُ فِي الْمَعْنَيَيْنِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "سَلَامًا" نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: لَهُمْ مُرَادُهُمْ خَالِصًا.

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[8]

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[7] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[8] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

﴿وَامْتَازُوا﴾[1]: وَانْفَرِدُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُونُوا عَلَى حِدَةٍ، وَذَلِكَ حِينَ يُحْشَرُ الْمُؤْمِنُونَ وَيُسَارُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2] ... الْآيَةَ. يُقَالُ: مَازَهُ فَانْمَازَ وَامْتَازَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: اعْتَزِلُوا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: لِكُلِّ كَافِرٍ بَيْتٌ مِنَ النَّارِ يَكُونُ فيهِ، لَا يَرَى وَلَا يُرَى. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ بَعْضَهُمْ يَمْتَازُ مِنْ بَعْضٍ.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[3]

الْعَهْدُ: الْوَصِيَّةُ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ: إِذَا وَصَّاهُ، وَعَهْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ: مَا رَكَزَهُ فيهِمْ مِنْ أَدِلَّةِ الْعَقْلِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَلَائِلِ السَّمْعِ.

وَعِبَادَةُ الشَّيْطَانِ: طَاعَتُهُ فيمَا يُوَسْوِسُ بِهِ إِلَيْهِمْ وَيُزَيِّنُهُ لَهُمْ.

وَقُرِئَ: (إِعْهَدْ) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ. وَبَابُ "فَعِلَ" كُلُّهُ يَجُوزُ في حُرُوفِ مُضَارَعَتِهِ الْكَسْرُ، إِلَّا في الْيَاءِ.

وَ(أَعْهِدْ) بِكَسْرِ الْهَاءِ، وَقَدْ جَوَّزَ الزَّجَّاجُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ نَعِمَ يَنْعَمُ وَضَرَبَ يَضْرِبُ. وَ (أَحْهَدُ) بِالْحَاءِ، وَأَحْدُ: وَهِيَ لُغَةُ تَمِيمٍ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَحَا مُحًّا.

﴿هَذَا﴾[4] إِشَارَةٌ إِلَى مَا عُهِدَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ، إِذْ لَا صِرَاطَ أَقْوَمَ مِنْهُ، وَنَحْوَ التَّنْكِيرِ فيهِ مَا في قَوْلِ كَثِيرٍ:

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلَا لَأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سورة الرُّومَ، الآيات 14 إلى 16.

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

أَرَادَ: إِنَّنِي لَفَقِيرٌ بَلِيغُ الْفَقْرِ، حَقِيقٌ بِأَنْ أُوصَفَ بِهِ لِكَمَالِ شَرَائِطِهِ فِي، وَإِلَّا لَمْ يَسْتَقِمْ مَعْنَى الْبَيْتِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1] يُرِيدُ: صِرَاطٌ بَلِيغٌ فِي بَابِهِ، بَلِيغٌ فِي اسْتِقَامَتِهِ، جَامِعٌ لِكُلِّ شَرْطٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: هَذَا بَعْضُ الصُّرُطِ الْمُسْتَقِيمَةِ، تَوْبِيخًا لَهُمْ عَلَى الْعُدُولِ عَنْهُ، وَالتَّفَادِي عَنْ سُلُوكِهِ، كَمَا يَتَفَادَى النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُعْوَجِّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الضَّلَالَةِ وَالتَّهْلُكَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَقَلُّ أَحْوَالِ الطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ، أَنْ يَعْتَقِدَ فِيهِ كَمَا يَعْتَقِدُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَا يُضِلُّ السَّالِكَ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِوَلَدِهِ وَقَدْ نَصَحَهُ النُّصْحَ الْبَالِغَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ: هَذَا فِيمَا أَظُنُّ قَوْلٌ نَافِعٌ غَيْرُ ضَارٍّ، تَوْبِيخًا لَهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ نَصَائِحِهِ.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2]

قُرِئَ: (جُبُلًّا) بِضَمَّتَيْنِ، وَضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَضَمَّتَيْنِ وَتَشْدِيدَةٍ، وَكَسْرَتَيْنِ، وَكَسْرَةٍ وَسُكُونٍ، وَكَسْرَتَيْنِ وَتَشْدِيدَةٍ. وَهَذِهِ اللُّغَاتُ فِي مَعْنَى الْخَلْقِ.

وَقُرِئَ: (جُبُلًّا) جَمْعُ جِبِلَّةٍ، كَفِطْرٍ وَخَلْقٍ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: (جِيلًا) وَاحِدًا، لَا أَجْيَالٌ.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3]

يُرْوَى أَنَّهُمْ يَجْحَدُونَ وَيُخَاصِمُونَ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جِيرَانُهُمْ وَأَهَالِيهِمْ وَعَشَائِرُهُمْ، فَيَحْلِفُونَ مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَحِينَئِذٍ يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ.

---

[1] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسِ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسِ، الآية .

وَفِي الْحَدِيثِ: "يَقُولُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فيخْتَمُ عَلَى فيهِ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ فيقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ".

وَقُرِئَ: (يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ).

وَقُرِئَ: (وَلِتُكَلِّمَنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدَ) بِلَامِ كَيْ وَالنَّصْبِ عَلَى مَعْنَى: وَلِذَلِكَ تُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ.

وَقُرِئَ: (وَلِتُكَلِّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَلِتَشْهَدْ) بِلَامِ الْأَمْرِ وَالْجَزْمِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الْأَعْضَاءَ بِالْكَلَامِ وَالشَّهَادَةِ.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ﴾[1]

الطَّمْسُ: تَعْفِيةُ شِقِّ الْعَيْنِ حَتَّى تَعُودَ مَمْسُوحَةً.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾[2] لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ الْجَارِّ وَإِيصَالِ الْفِعْلِ. وَالْأَصْلُ: فَاسْتَبَقُوا إِلَى الصِّرَاطِ، أَوْ يُضَمَّنُ مَعْنَى ابْتَدَرُوا، أَوْ يُجْعَلُ الصِّرَاطُ مَسْبُوقًا لَا مَسْبُوقًا إِلَيْهِ، أَوْ يُنْتَصَبُ عَلَى الظَّرْفِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَمَسَحَ أَعْيُنَهُمْ، فَلَوْ رَامُوا أَنْ يَسْتَبِقُوا إِلَى الطَّرِيقِ الْمَهِيعِ الَّذِي اعْتَادُوا سُلُوكَهُ إِلَى مَسَاكِنِهِمْ وَإِلَى مَقَاصِدِهِمُ الْمَأْلُوفَةِ الَّتِي تَرَدَّدُوا إِلَيْهَا كَثِيرًا –كَمَا كَانُوا يَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ سَاعِينَ فِي مُتَصَرَّفَاتِهِمْ مَوْضِعَيْنِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُمْ– لَمْ يَقْدِرُوا، وَتَعَايَى عَلَيْهِمْ أَنْ يُبْصِرُوا وَيَعْلَمُوا جِهَةَ السُّلُوكِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ. أَوْ لَوْ شَاءَ لَأَعْمَاهُمْ، فَلَوْ أَرَادُوا أَنْ يَمْشُوا مُسْتَبِقِينَ فِي الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ –كَمَا كَانَ ذَلِكَ هَجِيرَاهُمْ– لَمْ يَسْتَطِيعُوا. أَوْ لَوْ شَاءَ لَأَعْمَاهُمْ، فَلَوْ طَلَبُوا أَنْ يَخْلُفُوا الصِّرَاطَ الَّذِي اعْتَادُوا الْمَشْيَ فِيهِ لَعَجَزُوا وَلَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقًا، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُعْتَادِ دُونَ مَا وَرَاءَهُ مِنْ سَائِرِ الطُّرُقِ وَالْمَسَالِكِ، كَمَا تَرَى الْعُمْيَانَ يَهْتَدُونَ فِيمَا أَلِفُوا وَضَرُوا بِهِ مِنَ الْمَقَاصِدِ دُونَ غَيْرِهَا.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾[1]، وَقُرِئَ: (عَلَى مَكَانَاتِهِمْ) وَالْمَكَانَةُ وَالْمَكَانُ وَاحِدٌ، كَالْمُقَامَةِ وَالْمُقَامِ. أَيْ: لَمَسَخْنَاهُمْ مَسْخًا يُجَمِّدُهُمْ مَكَانَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَبْرَحُوهُ بِإِقْبَالٍ وَلَا إِدْبَارٍ وَلَا مُضِيٍّ وَلَا رُجُوعٍ.

وَاخْتُلِفَ فِي الْمَسْخِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَسَخْنَاهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ. وَقِيلَ: حِجَارَةً.

عَنْ قَتَادَةَ: لَأَقْعَدْنَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَأَزْمَنَاهُمْ.

وَقُرِئَ: (مُضِيًّا) بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، فَالْمُضِيُّ وَالْمِضِيُّ كَالْعِتِيِّ وَالْعُتِيِّ. وَالْمَضِيُّ كَالصَّبِيِّ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[2]

﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾[3]: نَقْلُبُهُ فِيهِ فَنَخْلُقُهُ عَلَى عَكْسِ مَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ، وَذَلِكَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ عَلَى ضَعْفٍ فِي جَسَدِهِ، وَخُلُوٍّ مِنْ عَقْلٍ وَعِلْمٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ يَتَزَايَدُ وَيَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَيَرْتَقِي مِنْ دَرَجَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَيَسْتَكْمِلَ قُوَّتَهُ، وَيَعْقِلَ وَيَعْلَمَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ، فَإِذَا انْتَهَى نَكَّسْنَاهُ فِي الْخَلْقِ فَجَعَلْنَاهُ يَتَنَاقَصُ، حَتَّى يَرْجِعَ فِي حَالٍ شَبِيهَةٍ بِحَالِ الصَّبِيِّ فِي ضَعْفِ جَسَدِهِ وَقِلَّةِ عَقْلِهِ وَخُلُوِّهِ مِنَ الْعِلْمِ، كَمَا يُنَكَّسُ السَّهْمُ فَيُجْعَلُ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ.

قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[4]، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[5].

وَهَذِهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ يَنْقُلُهُمْ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى الْهَرَمِ، وَمِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الضَّعْفِ، وَمِنْ رَجَاحَةِ الْعَقْلِ إِلَى الْخَرَفِ وَقِلَّةِ التَّمْيِيزِ، وَمِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْجَهْلِ بَعْدَ مَا نَقَلَهُمْ خِلَافَ

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ الْحَجِّ، الآية 5.

[5] سُورَةُ التِّينِ، الآية 5.

هَذَا النَّقْلِ وَعَكَسَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَطْمِسَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ، وَيَمْسَخَهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ وَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا شَاءَ وَأَرَادَ، وَقُرِئَ بِكَسْرِ الْكَافِ.

وَ(نُنْكِسُهُ) وَ(نُنَكِّسُهُ) مِنَ التَّنْكِيسِ وَالْإِنْكَاسِ.

﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[1]، بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]

كَانُوا يَقُولُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: شَاعِرٌ، وَرَوِيَ أَنَّ الْقَائِلَ: عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيطٍ، فَقِيلَ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[3]، أَيْ: وَمَا عَلَّمْنَاهُ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الشِّعْرَ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشِعْرٍ وَمَا هُوَ مِنَ الشِّعْرِ فِي شَيْءٍ، وَأَيْنَ هُوَ عَنِ الشِّعْرِ، وَالشِّعْرُ إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَوْزُونٌ مُقَفى، يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، فَأَيْنَ الْوَزْنُ؟ وَأَيْنَ التَّقْفِيةُ؟ وَأَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَنْتَحِيهَا الشُّعَرَاءُ عَنْ مَعَانِيهِ؟ وَأَيْنَ نَظْمُ كَلَامِهِمْ مِنْ نَظْمِهِ وَأَسَالِيبِهِ؟ فَإِذًا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشِّعْرِ إِذَا حَقَّقْتَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنَّ هَذَا لَفْظَهُ عَرَبِيٌّ، كَمَا أَنَّ ذَاكَ كَذَلِكَ.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾:[4] وَمَا يَصِحُّ لَهُ وَلَا يُتَطَلَّبُ لَوْ طَلَبَهُ، أَيْ: جَعَلْنَاهُ بِحَيْثُ لَوْ أَرَادَ قَرْضَ الشِّعْرِ لَمْ يَتَأَتَّ لَهُ وَلَمْ يَتَسَهَّلْ، كَمَا جَعَلْنَاهُ أُمِّيًّا لَا يَتَهَدَّى لِلْخَطِّ وَلَا يُحْسِنُهُ، لِتَكُونَ الْحَجَّةُ أَثْبَتَ وَالشُّبْهَةُ أَدْحَضَ.

وَعَنِ الْخَلِيلِ: كَانَ الشِّعْرُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَكِنْ كَانَ لَا يَتَأَتَّى لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَوْلُهُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَقَوْلُهُ:

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ

قُلْتُ: مَا هُوَ إِلَّا كَلَامٌ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ الَّذِي كَانَ يَرْمِي بِهِ عَلَى السَّلِيقَةِ، مِنْ غَيْرِ صَنْعَةٍ وَلَا تَكَلُّفٍ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى ذَلِكَ وَلَا الْتِفَاتٍ مِنْهُ إِلَيْهِ إِنْ جَاءَ مَوْزُونًا، كَمَا يَتَّفِقُ فِي كَثِيرٍ مِنْ إِنْشَاآتِ النَّاسِ فِي خُطَبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ أَشْيَاءُ مَوْزُونَةٌ لَا يُسَمِّيهَا أَحَدٌ شِعْرًا وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْمُتَكَلِّمِ وَلَا السَّامِعِ أَنَّهَا شِعْرٌ، وَإِذَا فَتَّشْتَ فِي كُلِّ كَلَامٍ عَنْ نَحْوِ ذَلِكَ وَجَدْتَ الْوَاقِعَ فِي أَوْزَانِ الْبُحُورِ غَيْرَ عَزِيزٍ، عَلَى أَنَّ الْخَلِيلَ مَا كَانَ يُعِدُّ الْمَشْطُورَ مِنَ الرَّجَزِ شِعْرًا.

وَلَمَا نَفى أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مِنْ جِنْسِ الشِّعْرِ، قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1]، يَعْنِي: مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– يُوعَظُ بِهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، وَمَا هُوَ إِلَّا قُرْآنٌ كِتَابٌ سَمَاوِيٌّ، يُقْرَأُ فِي الْمَحَارِيبِ، وَيُتْلَى فِي الْمُتَعَبَّدَاتِ، وَيُنَالُ بِتِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ فَوْزُ الدَّارَيْنِ، فَكَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشِّعْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ؟

﴿لِيُنْذِرَ﴾[3] الْقُرْآنُ أَوِ الرَّسُولُ، وَقُرِئَ: (لِتُنْذِرَ) بِالتَّاءِ. وَلِيُنْذَرَ: مِنْ نُذِرَ بِهِ إِذَا عَلِمَهُ.

﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾[4]، أَيْ عَاقِلًا مُتَأَمِّلًا، لِأَنَّ الْغَافِلَ كَالْمَيِّتِ، أَوْ مَعْلُومًا مِنْهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ فيحْيَا بِالْإِيمَانِ.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾[5]: وَتَجِبُ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[6] الَّذِي لَا يَتَأَمَّلُونَ وَلَا يُتَوَقَّعُ مِنْهُمُ الْإِيمَانُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[7]

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سورة التَّكْوِيرَ، الآية 27.

[3] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[7] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[1] مِمَّا تَوَلَّيْنَا نَحْنُ إِحْدَاثَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَوَلِّيهِ غَيْرُنَا، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِبَائِعِ الْفِطْرَةِ وَالْحِكْمَةِ فيها، الَّتِي لَا يَصِحُّ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهَا إِلَّا هُوَ.

وَعَمَلُ الْأَيْدِي: اسْتِعَارَةٌ مِنْ عَمَلِ مَنْ يَعْمَلُونَ بِالْأَيْدِي.

﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[2]، أَيْ: خَلَقْنَاهَا لِأَجْلِهِمْ فَمَلَّكْنَاهَا إِيَّاهُمْ، فَهُمْ مُتَصَرِّفُونَ فيها تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ، مُخْتَصُّونَ بِالِانْتِفَاعِ فيها لَا يُزَاحَمُونَ، أَوْ فَهُمْ لَهَا ضَابِطُونَ قَاهِرُونَ، مِنْ قَوْلِهِ:

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

أَيْ: لَا أَضْبُطُهُ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ، وَإِلَّا فَمَنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا لَوْلَا تَذْلِيلُهُ وَتَسْخِيرُهُ لَهَا، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِ وَجْهٍ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ

وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى فَلَا غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيـــــــرُ

وَلِهَذَا أَلْزَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الرَّاكِبَ أَنْ يَشْكُرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيُسَبِّحَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[3].

وَقُرِئَ: (رَكُوبُهُمْ)، وَ(رَكُوبَتُهُمْ). وَهُمَا مَا يُرْكَبُ، كَالْحَلُوبِ وَالْحَلُوبَةِ. وَقِيلَ: الرَّكُوبَةُ جَمْعٌ.

وَقُرِئَ: (رُكُوبُهُمْ)، أَيْ: ذُو رُكُوبِهِمْ، أَوْ فَمِنْ مَنَافِعِهَا رُكُوبُهُمْ ﴿مَنَافِعُ﴾[4] مِنَ الْجُلُودِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَصْوَافِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَمَشَارِبُ﴾[5] مِنَ اللَّبَنِ، ذَكَرَهَا مُجْمَلَةً، وَقَدْ فَصَّلَهَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾[6] ...الْآيَةَ، وَالْمَشَارِبُ: جَمْعُ مَشْرَبٍ، وَهُوَ مَوْضِعُ الشُّرْبِ، أَوِ الشُّرْبُ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سورة الزُّخْرُفَ، الآية 13.

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[6] سُورَةُ النَّحْلِ، الآية 80.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1]

اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ طَمَعًا في أَنْ يَتَقَوَّوْا بِهِمْ وَيَتَعَضَّدُوا بِمَكَانِهِمْ، وَالْأَمْرُ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوا حَيْثُ هُمْ جُنْدٌ لِآلِهَتِهِمْ مُعَدُّونَ ﴿مُحْضَرُونَ﴾[2] يَخْدِمُونَهُمْ وَيَذُبُّونَ عَنْهُمْ، وَيَغْضَبُونَ لَهُمْ، وَالْآلِهَةُ لَا اسْتِطَاعَةَ بِهِمْ وَلَا قُدْرَةَ عَلَى النَّصْرِ، أَوِ اتَّخَذُوهُمْ لِيَنْصُرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيَشْفَعُوا لَهُمْ، وَالْأَمْرُ عَلَى خِلَافِ مَا تَوَهَّمُوا، حَيْثُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنْدٌ مُعَدُّونَ لَهُمْ مُحْضَرُونَ لِعَذَابِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يُجْعَلُونَ وَقُودًا لِلنَّارِ. وَقُرِئَ: (فَلَا يَحْزُنْكَ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا، مِنْ: حَزَنَهُ أَحْزَنَهُ.

وَالْمَعْنَى: فَلَا يَهُمَّنَّكَ تَكْذِيبُهُمْ وَأَذَاهُمْ وَجَفَاؤُهُمْ، فَإِنَّا عَالِمُونَ بِمَا يُسِرُّونَ لَكَ مِنْ عَدَاوَتِهِمْ.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[3] وَإِنَّا مُجَازُوهُمْ عَلَيْهِ، فَحَقُّ مِثْلِكَ أَنْ يَتَسَلَّى بِهَذَا الْوَعِيدِ وَيَسْتَحْضِرَ في نَفْسِهِ صُورَةَ حَالِهِ وَحَالِهِمْ في الْآخِرَةِ حَتَّى يَنْقَشِعَ عَنْهُ الْهَمُّ وَلَا يُرْهِقَهُ الْحُزْنُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا تَقُولُ فيمَنْ يَقُولُ: إِنْ قَرَأَ قَارِئٌ: (أَنَّا نَعْلَمُ) بِالْفَتْحِ: انْتَقَضَتْ صِلَاتُهُ، وَإِنِ اعْتَقَدَ مَا يُعْطِيهِ مِنَ الْمَعْنَى: كَفَرَ؟

قُلْتُ: فيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ لَامِ التَّعْلِيلِ، وَهُوَ كَثِيرٌ في الْقُرْآنِ وَفى الشِّعْرِ، وَفى كُلِّ كَلَامٍ وَقِيَاسٍ مُطَّرِدٍ، وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَعْنَى الْكَسْرِ سَوَاءٌ.

وَعَلَيْهِ تَلْبِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ"، كَسَرَ أَبُو حَنِيفَةَ وَفَتَحَ الشَّافِعِيُّ، وَكِلَاهُمَا تَعْلِيلٌ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿قَوْلُهُمْ﴾[4]، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَلَا يَحْزُنْكَ، إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[4] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَهَذَا الْمَعْنَى قَائِمٌ مَعَ الْمَكْسُورَةِ إِذَا جَعَلْتَهَا مَفْعُولَةً لِلْقَوْلِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ تَعَلُّقَ الْحُزْنِ بِكَوْنِ اللَّهِ عَالِمًا وَعَدَمَ تَعَلُّقِهِ لَا يَدُورَانِ عَلَى كَسْرِ "إِنَّ" وَفَتْحِهَا، وَإِنَّمَا يَدُورَانِ عَلَى تَقْدِيرِكَ، فَتَنْفَصِلُ إِنْ فُتِحَتْ، بِأَنْ تُقَدِّرَ مَعْنَى التَّعْلِيلِ وَلَا تُقَدِّرَ الْبَدَلَ، كَمَا أَنْ تَفْصِلَ بِتَقْدِيرِ مَعْنَى التَّعْلِيلِ إِذَا كُسِرَتْ وَلَا تُقَدِّرُ مَعْنَى الْمَفْعُولِيَّةِ، ثُمَّ إِنْ قَدَّرْتَهُ كَاسِرًا أَوْ فَاتِحًا عَلَى مَا عَظُمَ فِيهِ الْخَطْبُ ذَلِكَ الْقَائِلُ، فَمَا فِيهِ إِلَّا نَهْيُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الْحُزْنِ عَنْ كَوْنِ اللَّهِ عَالِمًا بِسِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَلَيْسَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ شَيْئًا.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[1]، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[3]؟

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4]

قَبَّحَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– إِنْكَارَهُمُ الْبَعْثَ تَقْبِيحًا لَا تَرَى أَعْجَبَ مِنْهُ وَأَبْلَغَ، وَدَلَّ عَلَى تَمَادِي كُفْرِ الْإِنْسَانِ وَإِفْرَاطِهِ فِي جُحُودِ النِّعَمِ وَعُقُوقِ الْأَيَادِي، وَتَوَغُّلِهِ فِي الْخِسَّةِ وَتَغَلْغُلِهِ فِي الْقِحَةِ، حَيْثُ قَرَّرَهُ بِأَنَّ عُنْصُرَهُ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْهُ هُوَ أَخَسُّ شَيْءٍ وَأَمْهَنُهُ، وَهُوَ النُّطْفَةُ الْمَذِرَةُ الْخَارِجَةُ مِنَ الْإِحْلِيلِ الَّذِي هُوَ قَنَاةُ النَّجَاسَةِ، ثُمَّ عَجِبَ مِنْ حَالِهِ بِأَنْ يَتَصَدَّى مِثْلُهُ عَلَى مَهَانَةِ أَصْلِهِ وَدَنَاءَةِ أَوَّلِهِ لِمُخَاصَمَةِ الْجَبَّارِ، وَشَرَرِ صَفْحَتِهِ لِمُجَادَلَتِهِ، وَيَرْكَبُ مَتْنَ الْبَاطِلِ وَيَلُجُّ، وَيَمْحُكَ وَيَقُولُ: مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَيِّتِ بَعْدَ مَا رَمَتْ عِظَامُهُ، ثُمَّ يَكُونُ

---

[1] سورة الْقَصَصَ، الآية 86.

[2] سورة الْقَصَصَ، الآية 87.

[3] سورة الْقَصَصَ، الآية 88.

[4] سُورَةُ يَسِ، الآية .

خِصَامُهُ فِي أَلْزَمِ وَصْفٍ لَهُ وَأَلْصَقِهِ بِهِ، وَهُوَ كَوْنُهُ مُنْشَأً مِنْ مَوَاتٍ، وَهُوَ يُنْكِرُ إِنْشَاءَهُ مِنْ مَوَاتٍ، وَهِيَ الْمُكَابَرَةُ الَّتِي لَا مَطْمَحَ وَرَاءَهَا.

وَرُوِيَ: أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ وَأَبُو جَهْلٍ وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ أُبَيٌّ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ، إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْأَمْوَاتَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَأَصِيرَنَّ إِلَيْهِ وَلَأَخْصِمَنَّهُ، وَأَخَذَ عَظْمًا بَالِيًا فَجَعَلَ يَفُتُّهُ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَرَى اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَّ؟! قَالَ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ وَيُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ".

وَقِيلَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[1] فَإِذَا هُوَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاءً مَهِينًا رَجُلٌ مُمَيِّزٌ مُنْطَبِقٌ قَادِرٌ عَلَى الْخِصَامِ، مُبِينٌ: مُعْرِبٌ عَمَّا فِي نَفْسِهِ فَصِيحٌ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ سَمَّى قَوْلَهُ: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[3] مَثَلًا؟

قُلْتُ: لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْمَثَلِ، وَهِيَ إِنْكَارُ قُدْرَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، أَوْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ مَا أُنْكِرَ مِنْ قَبِيلِ مَا يُوصَفُ اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، بِدَلِيلِ النَّشْأَةِ الْأُولَى.

فَإِذَا قِيلَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ لِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا يُوصَفُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَيْهِ، كَانَ تَعْجِيزًا لِلَّهِ وَتَشْبِيهًا لَهُ بِخَلْقِهِ فِي أَنَّهُمْ غَيْرُ مَوْصُوفِينَ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

وَالرَّمِيمُ: اسْمٌ لِمَا بَلِيَ مِنَ الْعِظَامِ غَيْرِ صِفَةٍ، كَالرِّمَّةِ وَالرُّفَاتِ، فَلَا يُقَالُ: لِمَ لَمْ يُؤَنَّثْ وَقَدْ وَقَعَ خَبَرَ الْمُؤَنَّثِ؟ وَلَا هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ، وَلَقَدِ اسْتَشْهَدَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يُثْبِتُ الْحَيَاةَ فِي الْعِظَامِ، وَيَقُولُ: إِنَّ عِظَامَ الْمَيْتَةِ نَجِسَةٌ، لِأَنَّ الْمَوْتَ يُؤَثِّرُ فِيهَا مِنْ قِبَلِ أَنَّ الْحَيَاةَ تُحِلُّهَا.

---

[1] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

[2] سُورَةُ الزُّخْرُفِ، الآية 18.

[3] سُورَةُ يَسٍ، الآية .

وَأَمَّا أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ طَاهِرَةٌ، وَكَذَلِكَ الشَّعَرُ وَالْعَصَبُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَيَاةَ لَا تُحِلُّهَا فَلَا يُؤَثِّرُ فيها الْمَوْتُ، وَيَقُولُونَ: الْمُرَادُ بِإِحْيَاءِ الْعِظَامِ في الْآيَةِ رَدُّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ غَضَّةً رَطْبَةً في بَدَنٍ حَيٍّ حَسَّاسٍ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]: يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْلُقُ، لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِ الْمُنْشَآتِ وَالْمُعَادَّاتِ وَمِنْ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَجَلَائِلِهَا وَدَقَائِقِهَا. ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ بَدَائِعِ خَلْقِهِ انْقِدَاحَ النَّارِ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ، مَعَ مُضَادَّةِ النَّارِ الْمَاءَ وَانْطِفَائِهَا بِهِ، وَهِيَ الزِّنَادُ الَّتِي تَرَى بِهَا الْأَعْرَاضَ وَأَكْثَرَهَا مِنَ الْمَرْخِ وَالْعِفَارِ، وَفِي أَمْثَالِهِمْ: "فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٍ، وَاسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ وَالْعِفَارُ"، يَقْطَعُ الرَّجُلُ مِنْهُمَا غُصْنَيْنِ مِثْلَ السِّوَاكَيْنِ وَهُمَا خَضْرَاوَانِ، يَقْطُرُ مِنْهُمَا الْمَاءَ فيسْحَقُ الْمَرْخَ وَهُوَ ذَكَرٌ، عَلَى الْعِفَارِ وَهِيَ أُنْثَى فَتَنْقَدِحُ النَّارُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: لَيْسَ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَّا وَفيها النَّارُ إِلَّا الْعُنَّابَ. قَالُوا: وَلِذَلِكَ تَتَّخِذُ مِنْهُ كَذَيْنَقَاتِ الْقَصَّارِينَ. قُرِئَ: (الْأَخْضَرُ) عَلَى اللَّفْظِ. وَقُرِئَ: (الْخَضْرَاءُ) عَلَى الْمَعْنَى، وَنَحْوَ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[2]. مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ عِظَمِ شَأْنِهِمَا فَهُوَ عَلَى خَلْقِ الْأَنَاسِيِّ أَقْدَرُ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[3]. وَقُرِئَ: (يَقْدِرُ).

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[4] يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ في الصِّغَرِ وَالْقَمَاءَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَوْ أَنْ يُعِيدَهُمْ، لِأَنَّ الْمَعَادَ مَثَلٌ لِلْمُبْتَدَأِ وَلَيْسَ بِهِ ﴿وَهُوَ الْخَلاقُ﴾[5] الْكَثِيرُ الْمَخْلُوقَاتِ.

﴿الْعَلِيمُ﴾[6] الْكَثِيرُ الْمَعْلُومَاتِ. وَقُرِئَ: (الْخَالِقُ).

---

[1] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[2] سورة الْوَاقِعَةَ، الآية 54.

[3] سورة غَافِرَ، الآية 57.

[4] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[5] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

[6] سُورَةُ يَسٓ، الآية .

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾[1]: إِنَّمَا شَأْنُهُ ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾[2] إِذَا دَعَاهُ دَاعِي حِكْمَةٍ إِلَى تَكْوِينِهِ وَلَا صَارِفٍ ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ أَنْ يَكُونَهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ، ﴿فيكُونُ﴾[3] فيحْدُثُ، أَيْ: فَهُوَ كَائِنٌ مَوْجُودٌ لَا مَحَالَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا حَقِيقَةُ قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4]؟

قُلْتُ: هُوَ مَجَازٌ مِنَ الْكَلَامِ وَتَمْثِيلٌ، لِأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُكَوَّنَاتِ، وَأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْآمِرِ الْمُطَاعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ الْقِرَاءَتَيْنِ فِي ﴿فيكُونُ﴾[5]؟

قُلْتُ: أَمَّا الرَّفْعُ فَلِأَنَّهَا جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهَا: فَهُوَ يَكُونُ، مَعْطُوفَةً عَلَى مِثْلِهَا، وَهِيَ أَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ.

وَأَمَّا النَّصْبُ فَلِلْعَطْفِ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾[6]، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَجُوزُ عَلَى الْأَجْسَامِ إِذَا فَعَلْتَ شَيْئًا مِمَّا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، مِنَ الْمُبَاشَرَةِ بِمُحَالِ الْقُدْرَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ وَاللُّغُوبِ، إِنَّمَا أَمْرُهُ وَهُوَ الْقَادِرُ الْعَالِمُ لِذَاتِهِ أَنْ يَخْلُصَ دَاعِيهِ إِلَى الْفِعْلِ، فيتَكَوَّنُ، فَمِثْلُهُ كَيْفَ يَعْجَزُ عَنْ مَقْدُورٍ حَتَّى يَعْجَزَ عَنِ الْإِعَادَةِ؟!

﴿فَسُبْحَانَ﴾[7] تَنْزِيهٌ لَهُ مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، وَتَعْجِيبٌ مِنْ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ مَا قَالُوا: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[8] هُوَ مَالِكٌ كُلَّ شَيْءٍ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِ بِمُوَاجِبِ مَشِيئَتِهِ وَقَضَايَا حِكْمَتِهِ. وَقُرِئَ: (مَلَكَةُ كُلِّ شَيْءٍ) وَ(مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ)، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ﴿تُرْجَعُونَ﴾[9] بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا.

---

[1] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[2] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[3] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[4] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[5] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[6] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[7] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[8] سُورَةُ يَسِ، الآية .
[9] سورة ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–: كُنْتُ لَا أَعْلَمُ مَا رُوِيَ في فَضَائِلِ يس وَقِرَاءَتِهَا كَيْفَ خُصَّتْ بِذَلِكَ، فَإِذَا أَنَّهُ لِهَذِهِ الْآيَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس، مَنْ قَرَأَ يس يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، غَفَرَ اللَّهُ –تَعَالَى– لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قُرِئَ عِنْدَهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ سُورَةُ يس، نَزَلَ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا عَشَرَةُ أَمْلَاكٍ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْهَدُونَ غُسْلَهُ وَيَتْبَعُونَ جِنَازَتَهُ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ يس، وَهُوَ في سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، لَمْ يَقْبِضْ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ حَتَّى يُحْيِيَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ بِشَرْبَةٍ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فيقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيَمْكُثُ في قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى حَوْضٍ مِنْ حِيَاضِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّانُ".

وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "إِنَّ في الْقُرْآنِ سُورَةً يُشْفَعُ لِقَارِئِهَا، وَيُغْفَرُ لِمُسْتَمِعِهَا، أَلَا وَهِيَ سُورَةُ يس".

محتويات الكتاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء الرّابع عشر 19 – 52

سُورَةُ الْأَحْقَافِ		36 – 7
﴿حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾		9
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾		10
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾		11 – 10
﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾		13 – 11
﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾		14 – 13
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهِ لَا		17 – 15

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		19 – 17
﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾		21 – 19
﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾		23 – 21
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾		23
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾		24 – 23
﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ		25 – 24

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾		
﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾		25
﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾		26
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾		28 – 26
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾		29 – 28
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾		30 – 29
﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾		30
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾		33 – 30

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنَّ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		33
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾		34 – 33
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا سَاعَةً مِنَ نَهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾		35 – 34
سُورَةُ السَّجْدَةِ		56 – 37
﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾		41 – 39
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾		42 – 41
﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾		43 – 42
﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ﴾		44 – 43
﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾		45 – 44

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾		47 – 45
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		49 – 47
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارُ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾		51 – 49
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾		51
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾		53 – 52
﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾		53
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾		54 – 53

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾		55 – 54
سُورَةُ الْأَحْزَابِ		126 – 57
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾		62 – 59
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾		66 – 62
﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾		68 – 66
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾		69 – 68
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا﴾		72 – 69

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاّ غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاّ فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاّ يَسِيرًا﴾		73 – 72
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهَ مَسْؤُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾		74 – 73
﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مَنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مَنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾		74
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهُ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾		77 – 74
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهِ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾		78 – 77
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾		78
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ		81 – 78

مِنَ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مِنَ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾		84 – 82
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾		85 – 84
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾		86 – 85
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾		87 – 86
﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾		88 – 87
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ		89 – 88

وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾		
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾		90 – 89
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾		94 – 90
﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾		95 – 94
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾		97 – 96
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾		98 – 97
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾		99 – 98
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾		100 – 99

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾		101 – 100
﴿وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾		101
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾		103 – 102
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾		108 – 103
﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾		110 – 108
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنَ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ		113 – 110

وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنَ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾		
﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾		113
﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾		114 – 113
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾		116 – 114
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾		117 – 116
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾		118 – 117
﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾		119 – 118
﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةِ تَكُونُ قَرِيبًا﴾		120
﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾		121 – 120
﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾		122 – 121

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾		123 – 122
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾		126 – 123
سُورَةُ سَبَإٍ		174 – 127
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾		130 – 129
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾		133 – 131
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾		133
﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾		133
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا		135 – 134

مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾		
﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾		136 – 135
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾		141 – 137
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾		143 – 141
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾		147 – 143
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَفَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ		148 – 147

شَكُورٍ﴾		
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مِنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾		149 – 148
﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾		151 – 150
﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾		153 – 151
﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾		154 – 153
﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾		154
﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾		155
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾		156 – 155
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾		156
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾		157 – 156

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		159 – 157
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾		160 – 159
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾		160
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾		161 – 160
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾		162 – 161
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾		163 – 162
﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾		163
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾		164

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾		165 – 164
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾		167 – 166
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾		168 – 167
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾		169 – 168
﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾		169
﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾		170
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾		171 – 170
﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾		174 – 172
سُورَةُ الْمَلَائِكَةِ		216 – 175
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		179 – 177
﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾		180 – 179
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ		182 – 180

غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾		
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾		182
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾		184 – 183
﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾		185 – 184
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾		186 – 185
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾		189 – 186
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾		190 – 189
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		192 – 191
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ		193 – 192

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾		
﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾		193
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾		194 – 193
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾		197 – 194
﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾		198 – 197
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾		199 – 198
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾		200 – 199
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾		203 – 200
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا		204

﴿رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾		
﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾		204
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾		208 – 205
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مَنْ نَصِيرٍ﴾		210 – 208
﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾		211 – 210
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾		211
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾		212

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾		213 – 212
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾		215 – 213
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾		216 – 215
سُورَةُ يَسٍ		260 – 217
﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾		221 – 219
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾		222 – 221
﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾		222
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ		224 – 223

﴿شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾		
﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾		226 – 224
﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلاّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾		227 – 226
﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾		228 – 227
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾		229 – 228
﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾		231 – 230
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾		233 – 231
﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾		233
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾		235 – 233
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا		236 – 235

مِنْ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾		237
﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾		239 – 237
﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾		240 – 239
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾		241 – 240
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾		242 – 241
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾		242
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾		242
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مَنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾		244 – 243

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾		247 – 244
﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾		247
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾		248 – 247
﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾		248
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾		249 – 248
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ﴾		250 – 249
﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾		251 – 250
﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾		252 – 251
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾		254 – 253
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾		255 – 254
﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ		259 – 255

وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾		

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع